تايغيتا

اسم الكتاب: **تايغيتا**

اسم المؤلف: **فاطمة سليم**

تدقيق لغوي: **شيماء عز الدين**

تصميم الغلاف: **ضياء إبراهيم**

تنسيق داخلي: **مينا تادرس**

رقم الإيداع: **٢٠٢١/٢٢٧٦**

الترقيم الدولي: **٩٧٨٩٧٧٨٤٤١٠٥٧**

جميع الحقوق محفوظة للناشر©

أى اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمسائلة القانونية والآراء والمادة الواردة.
وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير.

إبهار
للنشر و التوزيع

Email: ebharpuplishing@gmail.com

تليفون: ٠١٠٦٠٢٦٧٤٠١

فاطمة سليم

تايخيتا

إبهار
للنشر و التوزيع

إهــداء

حروبنا الخاسرة وعالمنا البائس ولكننا مازالنا نضيء باختلافنا.

لأولئك الشــجعان الذين يحاربون من أجل الســلام على الرغم من خوفهم .

وأخيراً إهداء إلى أخي مصطفى سليم، وأختي إيمان سليم.

وكل التقدير لعائلتي التي داعمتني وأ صدقائي رفاق الطريق والذين تركوني في منتصف الطريق .

بقلم \ فاطمة سليم

الساعة الرابعة صباحًا في شوارع القاهرة:

تخجل الشمس من ظهور أشعتها في الفجر، لتتحول السماء لبحر من اللون الأزرق في تناغم من غيومها، تحلق نغمات هامدة من الطيور المتحررة، السكون يركض في أرجاء الشارع، شمس مزيفة تتزين في أحد أعمدة الإضاءة، لتزعج وجه الطفل ذات التاسعة أعوام وتتداعب عيناه القهوتان وهو يلجأ لرصيف الشارع، لاحت عينيه على يديه التي كانت تحمل أخته وهي لم تتم يومها الثاني في تلك الحياة البائسة بعدما اعتاد على هلوسات أمه التي تصل لتعنيفه وإخراجه لخارج المنزل ولكن تلك المرة اختلفت لقد أنجبت روح بريئة ولم تهتم عند وصولها ولم تتوقف عن هلوستها والتخلي عن صغارها، تسارعت ضربات قلبه التي كادت تكسر قفصه الصدري فلا وجود لأخته، حملق في كل شيء وهو يبحث عنها حتى توقفت أنفاسه حينما تذكر ذلك الرجل مرتدي اللون الأسود التي استغلى نومه العميق وأخذها بين ضلوعه لقد أدرك أنها ضاعت..ذهبت لمصيرها المجهول وكل هذا بسبب استسلامه للنوم، ابتلع ريقه بصعوبة وتبعثرت الصدمة التي أفقدته الشعور بنظرات الأشخاص من حوله مطالبين مساعدته وهو يصرخ صرخة بأحباله، تشيب لها الرأس ويتوقف عندها الزمن...

قبضت ضحى يديها على فارس بقوة التي باد عليه دلائل الصرع.
تتساقط قطرات العرق من جبينه هو يتلوى يمينًا ويسارًا وتسافر عينه إلى أعلى ثم هدأ عندما وضعت ضحى الدواء المخصص لحالته في فمه فابتلعه واستيقظ وهو يستعيد اتزان جسمه، مد يديه لتناول الماء من يدي ضحى التي شحب وجهها إلى اللون الأزرق وهي ترتمي في حضنه و تتسارع معها دموعها وقلقها، المتعشش في أفكارها، حدقت في ملامح وجهه وهي تمرر يديها على لحيته الخفيفة المتبللة ووجهه ووجنته وصولًا لشعره الأسود الكثيف
قائلة:
– هل أنت بخير؟ ماذا حدث؟
أزاحها عن حضنه منتفضًا وعلامات الخوف تحجب وجهه وهو يقول:
– أنا بخير.. اذهبي رجاءً
ابتسمت ضحى ابتسامة رضا فلقد اعتادت منه على جفاء القلب ولكنها تعلم أنه ليس بيده وربما أن متعجرف قليل في إظهار حبه ولينه ولكنها تحبه فهو في النهاية زوجها! سارت بخطوات بطيئة إلى باب الغرفة في شقة ذات طراز قديم لتمسك يديها قبضة الباب وتتسارع معها دموعها، لفت رأسها تطالعه بنظرات بائسة وهي تجبر الابتسامة على وجهها بينما تراه يحتضن ركبتيه ويتمتم في قلق، اتجهت مسرعة بعدما أغلقت الباب، حتى ابتعدت وهي متجه إلى المطبخ أخرجت البصل وبدأت بتقطيعه في شراسة، وهي تتذكر ما تعانيه مع مرض وهلوسات فارس مقابل ذلك الحب القاتل بداخلها!، أمطار من الدم تتساقط من يديها بعد أن جرحت يديها وهي تفرغ غضبها، ليأتي صوت الجرس يقطع حبل أفكارها و يبدل وجه ضحى، فوضعت المنشفة على يديها

النازفة وخرجت لتفتح الباب وتتفاجىء ب(سيلين) التي اختبئت في حضن ضحى وكأنه طفل يشتاق لأمه، وضعت ضحى يديها على ضهر سيلين وهي تمرها بلطف و تبادلها سيلين بالقبلات، أخفت ضحى حزنها وسألت سيلين:

– هل من الضروري أن تغيبي عني؟

ابتسمت سيلين بملامحها الطفولية ثم قالت:

– إنه العمل ولكنني لست قادرة أن أغيب عنك ضربتها ضحى ضربة خفيفة على كتفها وهي تأخذها إلى غرفة الاستقبال ويتبادلان الضحك سويًا حتى توقفت سيلين وأمسكت بيد ضحى وهي تقول:

– ماذا حدث ليديكِ؟

أرتعشت يد ضحى وهي تواري دموعها قائلة:

– جرحت يدي وأنا أقطع البصل لا تهتمي

انفعلت سيلين بحرارة وهي تقول:

– هل تمزحيني؟ هل آذاكِ؟ كيف يفعل فارس شيء كهذا؟!

بادت ملامح الغضب على ضحى وردت بنبرة قاسية:

– سيلين أعلم إنكِ صديقتي وتخافين علي ولكنني أحب فارس حقًا

قبضت سيلين على يد ضحى وأجلستها باللطف ثم تقربت منها وأظهرت ملامح الطمئنينة وهي تقول:

– يا ضحى أنا أعلم جيدًا حبك لفارس، منذ خمس سنوات ونحن نحاول ومازالت حالة فارس في تدهور بدون تقدمات

انسابت دموع رقيقه من عيون ضحى الخضراء كاللون أوراق الشجر، وهي تزيح خصلات شعرها الشقراء من وجهها البديع وكأنها غارقة في بحر المصائب، شردت برهة ثم قالت:

– أرى تعبك ومجهودك معه ولكنني أرفض اليأس.. سيعود يومًا ما

أصدر باب الغرفة رنين وفارس يخرج منه حتى انتبه لصوت في غرفة الاستقبال، ألقى بنظره ليجد طبيبته النفسية وصديقة زوجته سيلين في الغرفة وقف ليتعمد التصنت إليهما وضحى تقول لسيلين بتفاؤل:

– يكفي حبي له وأنا على يقين بأنه سيتخطى قصة أخته والآن يجب أن أطفيء الطعام

ضحكت سيلين لأجل صبر ضحى وهي تركض إلى المطبخ بينما حاول فارس أن ينشغل بشرب الماء كي يخفي جريمة تصنته، ولكن لاحظته ضحى ثم وقفت لجواره وهي تبتسم قائلة:

– سيلين هنا

اصتنع فارس الدهشة وهو يقول:

– حقًا.! سأذهب

أكملت ضحى طريقها ولكن أوقفها فارس وهو يقول:

– انتظري.. أريد قول شيء

قالت ضحى بلطف:

– تفضل

فنظر إليها قائلًا بندم:

– أنا آسف

ابتسمت ضحى ابتسامة رضا وهي تقول:

- ليست الأول.. سأذهب

مضت ضحى في طريقها بينما دخل فارس لسيلين فاعتدلت في جلستها وهي تحملق في وجهه بعينيها السوداء البارزة، تتفحص حالة وجهه وتسأله عن حاله والاعتياد الدائم منه على نفس الإجابات التي لاترضي ولاتوحي بكونه مريض، وبعد أن أنهت سيلين أسالتها أضاف فارس جملة وحيدة قد تكون تكررت دائمًا على سيلين وهو يخبرها أن أخته مازالت حية وغيرها من الادعاءات الغريبة إلا أن تلك الجملة شتت عقل سيلين، أضاف فارس وهو يميل رأسه اتجاه السماء من نافذة غرفة الاستقبال المشرقة بعنان الصباح وهو يقول:

- كنت أدعي أن أختي معي.. كنت كاذب

ثم نظر إلى عينيها وهو يبتلع ريقه:

- إلا هذه المرة

* * *

تايغيتا

ضربت الموجات الرعدية المنزل الكهفي في قمة التل، تأرجحت النوافذ الزجاجية، انحجب القمر بين السحب المتراكمة تبدل لون السماء إلى الأحمر الغامق كبحر من الدم إحتد المطر وتضاعفت أصوات الرعد كمشهد في فيلم رعب مع نيران البراكين المشتدة، فزعت تايغيتا من نومها المتقلب و فتحت عينيها الممزوجة باللون الأزرق السماوي والرصاصي مع خطوط من اللون الذهبي محاطة قزحية عينيها باللون الأسود، رموشها مكثفة وطويلة كأنها مرسومة لأميرات الخيال للدرجة التي لاتصدق أنها في الثامنة عشر من عمرها، يتبعثر منها الشعر البرتقالي الغامق كأوراق الخريف، ترتدي سترة سوداء اللون مع بنطال أسود، هرولت من غرفتها المظلمة وهي تركض إلى غرفة أبيها وعينيها ممتلئة بالإضطراب وينتفض قلبها من الخوف، تجاوزت السلام بسرعة هائلة والظل الأسود يلاحقها خطوة بخطوة حتى تصل إلى غرفة أبيها وهي تصرخ بإسمه:

-أبي أطلس.... أبي أطلس

فتحت الباب في ارتعاب وعينيها تنظر إلى الخلف كإنسان خائف من ماضيه الأسود، إلتفت وهي تبحث عن أبيها لتتجمد في هلع، وقفت متصلبة كالتمثال يتصبب جسمها عرق، توقف الزمن من حولها،انحنت على ركبتيها وبقيت عينيها ترصد جسد أبيها الملقى على الأرض غائص في دمه الأزرق، ركضت نحوه وأمسكته بقوة، لاتصدق ربما عينيها تخونها وأنه مجرد كابوس، وأن الأب الذي ضمها إلى أحضانه لم يتركها، ضمته إلى أحضانها وهي تشهق لتلاحق أنفاسها وتهطل الدموع البريئة من غيوم حزنها، الخوف يختلج جسمها وهي تصرخ وتردد قائلة:

-لا تذهب..أرجوك لا تذهب

على حين الحزن المقتحم قلب تايغيتا وهي تفقد ما لديها في تلك الحياة وضع أحدهم يديه على كتف تايغيتا، تبدوا كالمقاتلة يغلب على شعرها اللون الأبيض وهو لا يكاد يصل إلى أذنيها على الرغم أنها في عمر تايغتا إلا أن عينيها الواسعتان الغارقتان في اللون الضبابي كالدخان ليس لها لون كالرعد في ليلة كاحلة الظلمة تقف ثابتة كالصقر ثم صرخت قائلة في وجه تايغيتا بصدمة:

– تايغيتا، ليس هناك المزيد من الوقت يجب أن نذهب الآن

لم تهتم لكلامها ظلت تحتضن أبيها وتتأوه وتنوح، أمسكتها سالينو في شراسة ومن ثم حملتها من خصرها وهي تنهد وتصرخ تريد العودة إلى جسمان أبيها حتى تركتها سالينو على فجأة فأوقعتها أرضًا وهي هائجة في البكاء، ولكن نظرات سالينو تحدثت بقسوة وهي تردد:

تايغيتا..والدك أطلس توفي لا فائدة من البكاء يجب علينا الهروب ..استمعي عزيزتي يجب أن ننجو..

ثم نطقت بلطافة تخاطب دموع وجه تايغيتا المتساقطة:

أرجوكِ ..

وقفت تايغيتا قالت بصوت مكسور:

– سوف أودعه سريعًا..وأعود

هزت سالينو رأسها موافقة في رأفة بحالة تايغيتا التي أسرعت إلى جثمان والدها لتقبله القبلة الأخيرة وهمست في أذنه وهي تعده بحقه الضائع من الذين أهدروا دمائه بين الظلام، نهضت في عزم وأمسكت بيد سالينو وتقذف السماء على رأس صداقتهم التي حطمت كل القواعد وهما متماسكتان ببعض منذ تلك اللحظة التي رأت فيها سالينو تايغيتا مختبأة في منزلها المهجور وهي ترتجف قلب سالينو الصغير أمسك بيد تايغيتا ببراءة لتخفف عنها ألم لا تعلم عنه مثقال ذرة، ولكنها شعرت أن أحدًا ما بحاجتها..فلتذهب البغضاء والعدواة بين سكان ذلك الكوكب للجحيم!!

يعلو آنين في أذنيها وهي تركض في عدو وكل الأعين والأجساد تلاحقها لتمسك بها، جميعهم أشخاص باهتون يكسروا الخوف ملامحهم يتحدد اللون الأسود أسفل أعينهم ولكن تلك الميزة التي كانت لجميع الكوكب بفخر حتى قدوم تايغيتا وهم يفتقروا لها هي السبب الوحيد لركضهم ورائها ظننًا منهم أن روحها ستنهى اللعنة التي أصباتهم من النجوم التي ثمتل كل حياتهم منذ ولادتهم واسمائهم ترتبط بها وأعمارهم وطاقتهم حتى قصصهم، فلكل فرد في هذا الكوكب نجمة..ولكن تبقى الحلقة المفقودة التي جمعت بينهم وبين النجوم في أجسادهم، هي قلوبهم المضيئة بوماض أبيض يشبه إضاءة النجوم وتلك العقدة التي تسمي تايغيتا منذ ولادتها وهم فقدوا قلوبهم ولعنوا

بالظلام الذي تركض فيه سالينو الخائنة في نظرهم بيد تايغيتا، حتى قبضت فجأة على يديها وقالت في فطانة:

لا تنظري..أنتِ لست لعنة.. أنتِ معجزة فأنتِ الوحيدة التي مازالت مضيئة من قلبها

ولسوء الحظ أنه لم يكن تشبيه تمثيلي عن الخير مثلًا فأنها كانت تعني كلمة الضوء المشع من قلبها حرفيًا..! بلعت تايغيتا ريقها الجاف وملامح الخوف تسيطر عليها فالحقيقة التي خبأت لثمانة عشر سنوات تُكشف الآن وهي تربط أحداث وحدتها الدائمة ورفض أباها أطلس أن تخرج من غرفة القبو، لولا الخطأ الذي ارتكبه فضول سالينو للنزول والتفقد في يوم يشدد به العواصف ولا تجد غير منزل بائس يداويها أعلى قمة تل، كان يقين قلبها بأن عائلتها الملكية ستبحث عنها بالتأكيد دفعها للتسلل ومواجهة تايغيتا كأصدقاء لطالما عانت سالينو من الوحدة بسب تربص عائلتها وانشغالهم بالبحث عن طريقة لتحرري كوكبهم، فلم تعلم سالينو أنها تتعرف على الطريقة التي يبحث عنها الجميع وضوء بداخل سالينو أضاء لتصبح هي رفيقتها وسرها وحارستها وكلما ضاق بها الظلام تسللت إلى ذلك البيت ولتلك الغرفة حتى أنها اكتشفت في سن السادسة عشر، إن وجدانها انفطر عندما علمت أن تايغيتا هي المقصودة فوقفت في عزم وهي تتعهد بحميتها ولن تهتم أبدًا و في قلبها نور الحب الذي يكفي ليمحوا كراهية الكوكب كله لتايغيتا، وهاهي السماء تتشقق مرة أخرى مثل ما تشققت هذا اليوم لتصل إلى النهر السرمدي ذلك النهر الذي يحمل كل تراث الأرض،فهنا تولد الأطفال على سطح ذلك النهر لتستقبلهم الأمهات بفرح وسرور، ويقف المنجمين ليخبروا كل أم وطفلها

عن أي نجم يتنمي ولدها الذي جاء من رحم النهر وفي ذلك النهر يفنى الأفراد الذين يبدأ نور قلبهم بانطفاء فيقذفون في النهر ولا أحد يعود وتكاثرت الأساطير حول ما يحدث بعد ذلك هل هو يفني في ثقب أسود أم يقيد أسير لكوكب أخرى تطعمه لأطفالها أو كدروع ضد جيش العدو بين شعوب الكواكب؟، ففي النهاية المصير هو الهلاك

بدأ النهر يصدر أصوات شهيق وزفير، وقفت سالينو بجوار تايغيتا تتلاشى أفكارها وتتذكر كل ما تعلمته في ثواني عن هذا النهر، تقف على الضفة وعقلها يشت من رأسها كدخان المتصاعد، نظرت إليها تايغيتا وهي تمسك بأطراف يدها بجوار النهر وملامح الصدمة والخوف لا تختفي من وجهها وهي ليست مدركة لما يحدث، بدأت سالينو وهي تهمس في أذنيها وقلبها يتمزق قائلة:

– أنتِ ليست صديقة..أنتِ روحي الثانية لن أسمح بأحد أن يؤذي نجمتي المضيئة يا نجمتي هذا الكوكب محطم بدرجة الهلاك لن أتركك تسبحي في الظلام ولن أترك موتك يسيل على أرض هذا الكوكب...بدأت الأصوات تقترب وبدأت نيران الحقد تتسارع تكاد تصل لهما، أصوات أنينهم يتزايد ويقترب، حتى أضافت سالينو مسرعة وعيونها تلاحق ظلهم وفمها مقترب من أذن تايغيتا قائلة في وهن:

– أنا آسفة على ما سأفعله الآن ولكنه سيحسن حياتك وَتَذَكري دائمًا أن مهما كانت النتائج فعلينا تقبلها..

تساقطت بعض القطرات المضيئة من عين تايغتا على كتف سالينو،كانت حقًا نجمة منطفئة تغرق في صدمتها الأخيرة بين كلام سالينو الذي يبدوا كالوداع، لم تستطيع أن تتفوه بكلمة حتى دفعتها سالينو إلى النهر بيد من حديد وقلب

قاسي، واستسلمت صرخات تايغيتا الأخيرة فلم تتوقع أن يحدث هذا وليس هناك مكان للوقت في هذه اللحظة فيديها تترك يد سالينو وهي تسقط للوراء، تستنجد بهواء أن يمسكها ولكن وجدت مصرعها في النهر والمياه تُغطي نظرات الصدمة الأخيرة، لتسقط سالينو على الأرض وهي تبكي بشدة لاتصدر دموع فقط تنهيدة تتبع تنهيدة تكسر حزن فراقها وكأنها تلعن نفسها وتلعن أنها ولدت، تمسك برأسها وخصلات شعرها الذي يشبه شعر الرجال في قصره وهي تتمنى أن تتماسك بأن هذا الخير، ختتها قدميها فلم تستطيع الوقوف وقد وصل إليها الشعب الذي لا يستطيع أذيت بنت الملك ولكن يستطيعوا أن يلقوا غضبهم وبلغتهم الغريبة يتهمونها بأنها كانت السبب في موت تايغيتا وهم متحيرون هل هي ماتت وستتفكك اللعنة أم أنها نفيت وسيظلوا في تلك الحلقة المفرغة وحول كل تلك النقاشات حول رأس سالينو التي توقف بها الزمن على تلك اللحظة التي فقدت بها صديقتها، قالت داخل جوفها بلغة الأرض التي كانت لغة الحوار التي علمتها تايغيتا لسالينو لم تكن تلك اللغة الوحيدة فعلمتها الكثير من لغة الكواكب التي تعلمتها من أبيها وتميزت لغة الأرض بصعوبتها لشعبهم فاختروها على أن تكون هي الشفرة بينهم وسرح عقلها في كل التفاصيل وكل ذكرى بينهما، وهي تقول لتطفئ نار جوفها:

– لن أتركك... أنا مؤمنة...بأني سأتي إليك يومًا ما.. سأتي في ذلك الكوكب الذي سيختاره لك النهر...لكن عليا أن أوقف تلك الصراعات التي حولي أولًا..

وظلت أصواتهم تتعالى كل منهم يقترح شيء أغبى من الأخرى لينجو بنفسه..

في أعماق نهر النيل على تمام الساعة الحادية عشر صباحًا يسارع أحدهم الموت يموج جسمها الهزيل مع سريان النهر، تبدوا وكأنها هشة ضعيفة ليست قادرة على أن تفتح عينيها الغائبتان عن الواقع ليطلق أحد الصيادين صيحة عالية يستنجد بها الأخرى:

- غريق.. غريق

تسارعت خطوات باقي الصيادين في فزعة ، منهم من يركب مركبه البسيط ومن يلقي بالشباك ليلتقطها حتى وصل أحدهم إلى يديها أمسك بها بقوة ليلتقطها إلى أحضانه، غاصت في ملامحها الباهتة ونظراتها الشاحبة كانت تاركة جسدها للانهيار ولم تتماسك غير رقبتها المائلة على كتف أحد الصيادين

كوكب الأرض

أخذت نظرات الصدمة تلوح في ملامح سيلين وانقبض قلبها بشدة وكأنها تشعر بكلام فارس يتردد في أعماق جوفها أنزلت رأسها بعيدًا عن عين فارس حاولت جهدًا تفسير ما يحدث ولكنها لم تستطيع، رفعت رأسها لتجد عين فارس مازالت عالقة على النافذة فقالت له:

- أتظن حقًا أنها موجودة؟

تبدلت ملامحه للون الأصفر وبرزت عروقه وهو يقول بسخط غاضب:

- لا يمكنك التفكير حتى أنها تركتني، هي معي دائمًا.. لا يمكنك الشعور بمعنى كلمة الأخ أو الأخت يا سيلين فأنتِ مجرد يتيمة بلا عائلة.

اندفع بجرأة إلى عينيها وجلس على ركبتيه وأمسك بذراع الكرسي وصاح بغضب:

– أنا لم أخطئ.

ضحك بسخرية وهو يقول مباشرةً إلى عينيها:

– لا تعلمي أبدًا ما هي العائلة

تراجعت إلى الوراء ثم دفعت فارس وركضت إلى الباب حتى جاء صوت ضحى من ورائها:

– سيلين انتظري

ولكن نظرات الخوف في عينيها ورجفة يديها كانت تحكي عن الخوف الذي تمكن من قلبها، توقفت على صوت ضحى فهي دائمًا تشعر بذنب حبها له ولا تستطيع أن تراها تتألم أكثر من ذلك ،فأخذت خطواتها للوراء والتفت لها وكان الفزع يلتف حول ملامحها ولكنها أخفته بابتسامة حتى نطقت:

– ما بكِ يا ضحى؟ أنا فقط تأخرت على عملي ويجب الذهاب

انسحب التوتر من وجه ضحى وقالت:

– أنا فقط قلقت من حدوث شيء ما ..

ثم اكملت قائلة:

– إذا تأخرتي كثيرًا.. اذهبي وسوف أحادثك لأعلم عن حالة فارس

أومأت رأسها إيجابًا

دارت ظهرها وهي مقتولة من الخوف تريد الهرب من هنا إلى أي طريق، لا تذكر كيف تجاوزت الباب والدرج المنهارة ولكنها بدأت تنهمر بالبكاء على مقود سيارتها، ويديها كانت تنتفض خوفًا كلما شعرت بأن الناس تراها بخير

ازداد لهيب الدموع من عينيها لترسم أمامها صورة من طفولتها، تلك الطفولة البائسة لبنت حملت لقب أب ليس أبيها وتربت في حضن أم غريبة ولكنها كانت أحن عليها من أمها، لا تعلم هل هم على قيد الحياة أم في تعداد الأموات؟، وكأنها تريد الصراخ وهي تقول بصوت مشحوب ببكاء ومقطوعًا بأحبالها الصوتية.. "في أي طريق تركتيني يا أمي؟" ولكن صوت بكائها لم يتجاوز سقف سيارتها وعينيها لم ترى سوى نقاط بيضاء فستسلمت لشهقات عالية من حزنها

كوكب سيريس

أتذكر تلك اللحظة التي نظرت فيها إلى جانبي ولم أجدك.
كم كان هذا الكوكب ضيقًا على صدرك وصدري تأملت في الأشياء من أعلى قمة الجبال هذا الكوكب كتلة من الظلام الدامس لقد مات شعبه منذ تلك اللحظة التي حلت عليهم اللعنة، لم أتذكر ما حدث فلقد تجنبت أمي وأبي دائمًا الحديث عن لعنة كوكبنا وهم يعلمون جيدًا أن تلك النجوم تسمعنا جيدًا، لقد اعتادنا على رؤية الظلام وقد اعتدت على نظرات أمي وأبي وكأنني حظهم السيء، يزعموا أننا الشؤم، فأسمع كلمات أخي الأكبر سهيل وهو يقول أن في اليوم المقدس عندما حملتني أمي من النهر السرمدي مع كثير من الفرح على وجهها ما لبثت فرحتها حتى تحولت السماء إلى اللون الأحمر القاتم و بدأت العاصفة، جعلت شعبنا ينام في ثبات حتى يستيقظ..فوجدوا أنفسهم بدون نور في قلوبهم!!!! ذلك النور الذي بداخلهم الذي كان يضيء كل ثقب من قلبهم اختفى!! أصبحوا غير قادرين على مواجهة بعضهم البعض وكان هذا

أخر يوم مقدس، لم يستطيع حارس السماء رؤية النجوم بعدها ولم يجتمع شعبنا في اليوم المقدس بطقوس وفرحة وهم ينتظرون رؤية المواليد في سلال كل أم تحمل طفلها من يد حارس السماء ذلك الرجل ذو الوجه المضيء الذي وهب نفسه لنجومنا، لقد حاولوا التواصل مع النجوم حتى يشرحوا لهم ولكنهم لزموا الصمت وكأنه أكبر من أن يعرفها شعبنا، تخيلت تايغيتا أمامي لم أشعر بدموعي التي تساقطت وكأن عقلي يعلم أنها ليست هنا وقلبي يرفض ذلك وكأن ضلوعي أرادت أن تحضنها بشدة وتخبرها عن تكملة قصة كوكبنا المظلم كنت أعلم أن والد تايغيتا يرفض أن تعلم شيء عن كوكبنا، مازالت أجهل السبب ولكني لا أجهل أننا وضعنا أيدينا في أيدي بعض وأننا سنكون للأبد سنكون هنا حتى يضيء هذا الكوكب مرة أخرى.. لماذا تلاحقنا المصائب؟ لماذا الشخص الذي تقبل أنني لست لعنة اضطررت لتركه، و لم أشعر بنفسي وأن أصرخ على ظلها وأقول بألم:

– لمن تركتيني هنا؟ لقد تركتيني وأنا لا أنتمي لأي منهم

سهت عيني عن الحقيقة وبدأت بوضع يدي على قلبي وانهرت بدموعي على خيالها أجلس على أطراف قدمي وأبكي بحرقة على كل ما لدي وما يؤلم حقًا أني أبكي بدموع كوكبي تلك الدموع الزرقاء المضيئة التي تميزت عيني بها، ولكن يد حارس السما كانت تمسح على جرحي ببطئ حتى فزعت وتوقفت فانطلق قائلًا:

– أنني سعيد أنك تعلمتي لغة كوكب الأرض

ابتسمت وهي تمسح دموعها:

– كان والد تايغيتا يجبرها على تعلم لغات الكوكب فاخترنا لغة كوكب الأرض حتى تكون سرنا لقد اعتدنا على التكلم بها حتى لا يفهمنا أحد..لم يعاملها والدها كما ينبغي ولكنها كانت تحبه وبشدة لقد أجبرها على العيش في غرفة مغلقة وكل هذا لأنها مختلفة وليست مظلمة مثلنا..

نظرت إليه بغضب كمحامي يدافع عن موكله وأنا أقول:

– وما ذنبها أنها لم تصيبها لغة هذا الكوكب؟ أعلم أنني ولدت في اليوم الذي انقطع فيه النور عن قلوبنا وأصبحنا نعيش في الظلام وأعلم أنني لعنة لأن النجوم عاقبت كوكبنا بأن نفقد نور النجوم من قلوبنا أي أن الضباب غطى نجومنا ولم نعد نرى النجوم لكي نختار أب وأم لنجمه جديد ولم يعد النهر السرمدي يزهر بنجوم على هيئة أطفال وتعلو الأفراح عندما تخبرهم أن هذا الطفل لهذه العائلة.. لم يعد شيء كما سبق

نظر إليها بنظرة حنين وهو يخبرها:

– سنصلح كل شيء ونبطل اللعنة.. أعدك أن لا مكروه سيصيب نجمتك تايغيتا ولكن يجب أن تساعديني

كوكب الأرض

كانت راقدة على الضفة يجتمع حولها الصيادين بين أسئلتهم هل ماتت؟ هل هي جثة؟ أم محاوله انتحار؟ إلى أن على صوت أحدهم وهو يقول:

– اتركوها ربما تكون مصيبة

اندفع شاب من وسط الحشود وهو يقول:

– لا يمكن أن نتركها علينا مساعدتها

جاء الصوت من ضهره وهو يقول بلامبالاة:

– لن نفعل هذا أن كنت تريد ساعدها أنت

وما لبثوا حتى انسحبوا جميعًا وتركوه، ظل حائرًا ماذا يفعل ولكنه انتبه أن ينفر إلى الطريق ويطلب المساعدة ربما يكون هناك قلب ماجد يساعدهما أخذ فكرته وركض إلى الطريق، تعمد أن يختار فتاة حتى تكون عاطفية ولابد أنها حواء مثلها، رمى أسهم عينه على الطريق بأكمله فلحسن الحظ أن الإشارة توقفت والإزدحام هنا أحد عناوين الحياة، ولكن أسهم عينه صوبت نحو سيارة فضية اللون مزينة بفتاة حزينة تقع في أوائل الثلاثين تسند أفكارها المميتة عن تلك الحياة البائسة بوضع رأسها إلى الوراء على أمل أن تسقط أفكارها، شعر وكأنها الفتاة الصحيحة لتلك المهمة فأسرع بملابسه البالية إلى شباك نافذتها، فأطرق الطرقه الأولى التي أفزعتها من حطام حياته إلى العاصفة التي تقام على ملامحه ، أسرعت يديها لتفتح شباك السيارة وعن اللحظة الأولى التي تحرك فيها الزجاج أفلت منه رباطة جشه وهو يقول:

– هل يمكنك مساعدتى أرجوكي.. هناك فتاة ما يجب مساعدتها

نظرت إليه بارتباك ليست قادرة على أن ترفض المساعدة فلا يبدوا عليه الكذب أبدًا فقالت وهي في فوضى:

– حسنًا، سأحاول ترك السيارة في أحد الزوايا

لما تكمل جملتها في ثبات حتى أعلنت الإشارة اللون الأخضر، فتحركت بسيارتها إلى أقرب مكان يسمح به في الوقوف، لقد كان بعيدًا بعض الشيء ولكنها أوقفت سيارتها، تسارعت لتصل إلى مكانه كانت خائفة، فليس أمان الوثوق بأحد غريب ولكنها تخيلت أنها محاولة انتحار من تلك الفتاة، حتى

وأن كانت رواية منه فهي سوف تلقنه درس لن ينساه، فدائمًا عقلها مبرمج على سنوات من دراسة الطب، عقلها الذي هرم في دراسات لغة الجسد لم يخيبها يومًا، وبالفعل وجدته ينتظرها وما تقدمت خطواتها حتى انشكح قلبه وهو يخبرها بطمئنينة:

– كنت خائف من أن تتركيني .. شكرًا لمساعدتك

تمالكت أعصابها وقالت:

– لا تقلق أنا الدكتورة سيلين دكتورة نفسية

تتجاوز منحدرات الضفة، هكذا هي الحياة عقبات نتجاوزها وهي تدرك وبشدة أنها تحب الافتخار بلقبها كدكتورة وتتباهى به في كل مكان، تريد أن تمسح بصمة العار التي تلاحقها بكوني متبناه، لا تستطيع الافصاح عن نسبها الحقيقي حتى أنها شعرت أنها مريضة نفسيًا بالخوف، وانقطع صوتها الداخلي وتحاليلها التي لا تنتهي عندما رأتها أنها حقًا جميلة!!

تراقب شعرها المنسدل حول وجهها البريء وكأنها تمثل في فيلم الأميرة النائمة، اتجهت إليها وحملتها بين أحضانها وتسارعت لتسعفها إلى أقرب مستشفى، فأخذتها إلى الكرسي الأمامي وركب الصياد إلى الكرسي الخلفي وهو يستأذنها أن يأتي معها، فهزت رأسها موافقة بعدما تعجبت نظرات الناس عليهم، وهي تحملها وانطلقت في سباق مع بنزينها إلى أن وصلت كلمات الطبيب إلى مسامعها وهو يقول:

– هذا إغماء بسيط نتيجة حالة من الغرق .. ربما تكون سقطت وربما تكون محاولة انتحار..أظن أنها بخير ويمكنك رؤيتها

نظرت إلى الصياد الذي ابتسم وهو يقول:

– سوف انصرف مازال لدي الكثير من الأعمال.. بالمناسبة أدعى "محسن"
ابتسمت بلطافة:
– شكرًا يا محسن
طرقت الباب وهي تفتحه بابتسامة كانت تايغيتا شاردة الأعين حتى ألتفتت إليها، فرتبت سيلين على يديها وهي تقول:
– هل أنتِ بخير..؟
نظرت إليها نظرات ذعر، والدماء تندفع لوجهها، انتفضت دقات قلبها، وهي ترى من أمامها بصورة غير مرئية كأنها مشوشة بالأسود ترى ملامحها ولكن مشوشة، وقالت فجأة بهلع:
– أنا في أي كوكب؟
نظرت لها سيلين بنظرات استغراب كيف لشخص أن ينسى كوكبه وكيف لشخص أن يسأل مثل هذا السؤال، فانعقد حاجبيها وهي تقول:
– أنتِ في كوكب الأرض!
احتضنت عين تايغيتا الحزن الشديد وكأنها تجاهلت معاني الجملة بأكملها ورنت طبول الألم في أذنيها عند ذكر كوكب الأرض، لم تدع سيلين فرصة لتفكيرها حتى قالت:
– محاولة انتحار ولا هروب؟
في تلك اللحظة جفت ملامح وجهها وقبضت يديها بحزن حتى لفت رقبتها ودموعها إلى سيلين بصوت هارم:
– أنها محاولة هروب وليتها كانت محاولة لانتحاري

تعجبت سيلين للحظات من لغتها العربية الفصحى فربما هي ليست مصرية فسألتها باستنكار:

– أنتِ تتكلمين باللغة العربية؟

رجفت يديها فهي لا تعلم شيء عن كوكب الأرض سوى اللغة العربية التي تعلمتها من والدها كباقي لغات الكوكب، لكن كلمة والدها عندما ترددت في ذهنها وجدت الدموع تنهمر منها كسحابة فاضت فأمطرت، أمسكت بسفينة نفسها الحزينه ثم قالت:

– مجموعة من شعبنا قتلوا أبي واستطاعت صديقتي انقاذي عن طريق تهريبي قدرة سيلين على معرفة الكذب والصدق من النظرة الأولى لنظرات تايغيتا فعملت أنها لا تكذب ولكن يبدوا أنها تخفي شيء ولكنها لا تستطيع الوصول إلى أفكارها فقالت بروح المحقق:

– تجيدين العربية دون العامية.؟ لابد أنكِ من أحد الدول التي تتكلم لغة عربية

لم تكون تايغيتا تعلم عن دول عربية الكثير ولم تكن مدركه لغة سيلين العامية..فقالت سيلين:

– يبدوا أنكِ لا تفهمين العامية؟

كان عقل تايغيتا مبرمج على سماع اللغة العربية ولم تسمع لغة سيلين العامية، فشعرت تايغيتا أنه تم نجاتها بسماعها للغة العربية دون وعي عن سبب سماعها لتلك اللغة ، فأمسكت بها كطوق نجاة وهي تقول:

– أسمع وأفهم اللغة العربية

كانت تتكلم سيلين العامية ولم تعلم أن تايغيتا تسمعها باللغة العربية فقالت :

– يبدوا عليكي ملامح الطيبة يمكنني مساعدتك.. سأطمئن على أوراق خروجك وأعود

أغلقت الباب خلفها بهدوء والعاصفة أشتعلت في قلب تايغيتا، فوضعت يديها على قلبها الذي أنار بشدة وكأنها ابتلعت أحد المصابيح وبدأ البكاء يشق طريقه وترى كل شيء باهت، كيف يحدث كل هذا كيف قتلها الخوف كل يوم وهي آسيرة لقبو منزلها وآسيرة لأبيها الذي حماها لثمانية عشر سنة ومن من حماها ؟ ولماذا هى الوحيدة التي تبدو غيرهم؟ داهمت الأفكار عقلها حتى شاطت نيران من جسمها تبدوا أنها تحترق، سندت نفسها واستطاعت الوصول لباب الغرفة، قبضت على المقبض ليست لديها القدرة أن تكمل لقد انهارت جثتها على ركبتيها تبكي بحزن، لقد انقلبت حياتها رأس على عقب تحاملت على نفسها بشهقات وفتحت باب الغرفة، ألقت نظرات على حركة الأطباء وعلى حركات البشر وعلى خوفهم وعلى ظلام أنفسهم وعلى مصارعتهم من أجل البقاء، رعدت السماء بشدة فوجدت يد سيلين تمسك بيدها لتقودها لسيارة ولكن هي كانت خائفة ووحيدة ومكسورة تريد الصراخ لا تشفيها قطرات المطر المعزول عنها بزجاج السيارة، وأيضًا سواد يغطي على كل شيء من وراء الزجاج!! ربما عيناها لم تعتاد الوضع، فقاطعت سيلين الصمت وهي تقول:

– القاهرة جميلة سوف تعجبك لا تخافي أنا معاكي.. لدي صديقة أصغر مني ببضع سنين، إنها لطيفة كأنها ملاك لكن زوجها كان زميلي أيضًا في الجامعة وحالته ليست جيدة ليس لديه ماضي جيد ولكنه طيب.

نظرت إليها بابتسامة ومازالت تراها مرئية مشوشة مغطأه باللون الأسود الباهت، ثم عادت بعد أن ركزت عينيها على المطر المتساقط على زجاج االعربية يبدوا وكأن الغيوم تبكي عنها، حدقت في وجهها وقالت سيلين محاولة لكسر حزنها:

– ليس لدي لغة عربية جيدة لكنني أحاول لأجلك

ابتسمت وهي تقول:

– ليس لدي حياة جيدة ولكنني أحاول كي لا أموت سيئة

تذمرت سيلين من كلامها وهي تقول:

– ليس لكي دخل في مقتل أبيكِ لقد مات لأن الأقدار أرادت ذلك ولم يكن محاولة انتحارك حل

ظل تركيزها على قطرات المطر وهي تقول:

– لا أعرف سوى اللغة العربية وكوكب يدعي "سيريس" وصديقتي

ضحكت سلين سخرية من كوكب يدعي "سيريس" وقالت:

ليس هناك كوكب يدعي "سيريس" وأكملت حديثها بضحكة:

– ربما أنتِ فعلًا مغيبة عن العالم

أوقفت سيلين سيارتها أمام منزل ضحى ونزلت أيضًا تايغيتا من السيارة اتجهت نحو المصعد بدون كلمة فمدت سيلين يديها لتطمئن على تايغيتا، شعرت بقشعريرة غريبة وكأنها دخلت إلى عقلها وكأن شيء ما يخترق ضربات قلبها وكأن الأرض تنزلق من تحتها ثم شهقت شهقة، شحب وجه تايغتيا برتباك سحبت يديها سريعًا لقد رأت جوانب مظلمة من حياة سيلين لقد رأت نقاط ضعفها وخوفها، ذكريات سعيدة وحزينة مرت بسرعة، تلك

المرة الأولى التي تشعر فيها بذلك الشعور كأنها مرت في ذاكرتها واحتضنت خوفها وشجاعتها، وكأن لحظات البكاء ترددت في آذانها فتحت سيلين يد المصعد ونظراتها لم تترك تايغيتا وكأنها تتسائل عما حدث كانت طاقة كونية أو ماذا؟، لا يمكن تفسير ما حدث حتى لو تكلمت، انقطعت النظرات بعد ما رحبت ضحى بيها ونظرت لتراها، لتجدها تبدوا مثل الدمية، لامعان شعرها المتناثرة باللون البرتقالي وألوان عينيها مع اللون الأسود الذي يحتل ملابسها، صمتت لبرهة وقالت:

– من؟

أمسكت سيلين يد ضحى وهي تقول:

– فارس نائم؟

أومأت رأسها إيجابًا

فالتفتت سيلين لتايغيتا وهي تقول:

– تفضلي بالجلوس

فدخلت تايغيتا تتفحص الأثاث القديم والأجهزة واللوح المرسومة كان البيت نظيف للغاية وأثاثه يبدوا وكأن سكانه في السبعينات من عمرهم جلست تترجم بعقلها وهو يسمعهم يتكلمون اللغة العربية ولكنهم لا يتكلمون بها؟، تراهم ظلل سوداء مبهمة؟، رأت سيلين تسحب ضحى إلى أحد الغرف فالداخل، ولكن حتى ضحى تبدوا أيضًا غير مرئية، سكت الوضع للحظات حتى ارتفع صوت ضحى كانت تبدوا أنها معترضة وبشدة حتى فتحت سيلين الباب بعصبية وخرجت أمام تايغيتا وخرجت وراها ضحى كالزلزال، وقفوا في مواجهة بعضهم البعض كانت سيلين تفرك في

رأسها من فرط الانفعال ولم تهدأ حركات يد ضحى التي فقدت سيطرتها بالكامل لقد تحول نقاشها لساحة معركة أمام طفلة ولدت للتو، مع انهيار جدران المنزل من حدة نقاشها إلى أن تسارعت خطوات أحدهم ليظهر من خلف الجدران التي تفصل البيت عن الغرف، وقف أمامهم وسحب نفسًا عميقًا وهو يقول:

- ما سبب الإزعاج؟

صادتها نظرات صمت الجميع وألقوا نظراتهم عليه ، ترك الجميع وتقدم باتجاهها لم تكن تراها جيدًا كانت تظن أنه من الإرهاق لا تستطيع رؤيته ولكنه كان يبدوا مبهم!! وكأن هناك غمامة سوداء تغطي علي.. روحه.. شكله هو أيضًا يشبههم!!! لقد رأت ذلك عن قرب حتى سحب أحد الكراسي المجاورة وجلس أمامها كأنه يبدأ تحقيق ما ضم يديه إلى لحيته قال بلطف:

- ما اسمك؟

جاء صوت سيلين من ظهر فارس تقول:

- إنها تتحدث اللغة العربية فقط..أظنها ليست مصرية

تحركت محراكت أفكارها سريعًا، يجب أن لا يعرف أحد باسم تايغيتا أنهم لن يصدقونها، حتى نظرت سريعًا إلى اللوحة المعلقة سوداء مزخرفة باللون الذهبي يبدوا وكأنها مهمة وتنتهي بكلمة النور، فوجهت تركيزها إلى فارس وقالت:

- أدعي نور

كوكب الأم العذراء

يبدوا مثل شاطىء بحر ولكنه ليس شاطئ و ليس بحرًا يبدوا ماء البحر لونه أسود لا تشرق شمسهم فقط دلال ضوء نجم يدور حولهم يزين سمائهم رمال متعددة الألوان الغامقة تحتل النصف الآخر من البحر

تحتضنه وبشدة تقربه من نبضات قلبها، وهو يحاوط يديه الصغيرتان على كامل خصرها يغرق رأسه إلى أعماق قلبها وهي تداعب شعره تشرد إلى مياه بحر "التاه" العميقه وإلى الطفل الراقد في أحضانها تراقب البيت الصغير ينعكس عليه أشباح القمر فيضيء باللون الأبيض، كان ضيق يسع لمعيشة شخصان يحاصرهما بحر "التاه"، وهو يحاوطهما كما تحيط هي بصغيرها،عميق وقادر أن يبلع كل شيء في جوفه، من أحضانها وهو يقول بتسلط:

– لم أنام بعد اكملي القصة كما وعدتيني

ضحكت بوجهه البريء وهي تقول بلطف:

– لكن القمر تعب يريد أن ينام

فأردف بخنقة:

أمي تايغيتا أرجوكي اكملي القصة.. تتهربي منها دائمًا

شعرت وكأن كلماته الأخيرة تسكن دموعها فأخفت دمعة زرقاء سقطت منها قالت بابتسامتها المصطنعة:

– تشبه أباك في العناد يا نوح

ضحك بعفوية وهو يقول:

– كيف استطاعت البطلة معرفة الأحداث قبل قدومها؟

- هكذا الأبطال يا صغيري
- وماذا عن اللغة؟ هل كانت تسمعهم حقًا يتكلمون باللغة العربية مثلنا ؟
- هكذا كانت تسمعهم وحتى عندما يتكلموا العامية لم تكن تسمع غير اللغة العربية ولهذا اعتادوا عليها

ابتسم وقال:

- ألن تكملي؟

قلت له وأنا اعانقه مرة أخرى:

- سأكمل

كوكب الأرض

ظلت تدور في غرفة ذات ضوء خفيف، يهتك بها الغبار توسعها نافذة تطل على الشارع وسرير متخلخل وبعض الأغراض القديمة المعبئة في حقائب، لم تتهاون لحظة وهى تستمع إلى حديثهم بالخارج عن بقائها في المنزل من عدمه،الذي بدأ وكأن ضحى تعارض سيلين وفارس الذين حاولوا اقناعها بشيء ما، لم تستطيع تايغيتا سماعهم من خلف الأبواب، فأطلقت تنهيدة لخوفها من كل شيء، ماذا لو تركوها؟ ماذا لو لم تستطيع الخروج من هذا الكوكب؟ وما الذي يجرى هناك؟ لماذا هي منبوذة إلى هذا الحد؟ لماذا لم يخبرها والدها أنها مكروهة، لقد ظنت أنها مختلفه فقط، دق باب الغرفة وفتحتها بلطف وقالت ضحى بحنان:

- تبدين متعبة، هل تردين تناول شيء؟

هزت رأسها بالرفض وهي تقول:

– هذا لطف منك لكنني لن أمكث هنا طويلًا لا تقلقي سأحاول سريعًا الذهاب من هنا

فتدخلت سيلين بتوتر وهي تقول:

– ألديك قرايب؟ لماذا تريدين الذهاب؟

فردت وعيناها تقطران لطفًا وألمًا:

– شكرًا لحسن ضيفاتكم ولكنني لا أنتمي لهنا

حملقت ضحى في سيلين بملاح ضائقة وغاضبة ثم أردفت قائلة لتايغيتا:

– نور ارتاحي أريد أخبارك ببعض الأشياء

فجلست تايغيتا على طرف السرير وجلست أمامها ضحى بينما ظلت سيلين واقفه أمامهم ، متعجبة تايغيتا لماذا تراهم بتشوش أسود كأنهم مرئين باللون الأسود الشفاف؟، فنطقت ضحى قائلة:

– اسمعيني جيدًا.. فارس زوجي ولكنه يعاني من شيء ما يشبه المرض النفسي هو آسير لماضيه وفي ماضيه توجد أخته وهي أيضًا في نفس عمرك إذا كانت حية، ولكن تعلق فارس بماضيه قد يعرضك لمواقف حقد غير مبرره منه أو من الممكن أن يبدأ بلومك، عليكِ تجاهل كل هذا و أنا سأترك على راحتك وإن أرادتي يمكنك مساعدتي في تحضير الطعام وبيعه

حنت رأسها للأسفل ضمت يديها وتقوس ضهرها وهي تقول بأسى:

– لم تكن لي حياة قبل هذا اليوم كنت أعيش في بيت بسيط مع أبي لم أستطيع حتى السؤال عن أمي، ولكن كان هذا يبدوا منطقي لعالمي اعتدت العيش مع والدي بشبه نظام روتيني بين التدريبات القتالية والوحدة مع تطوير لغاتي منها اللغة العربية وغيرها ولكن قتل والدي اليوم وهربت حتى يأست وظننت أن نهر النيل سيحتوي روحي ولكن لا شيء سيحتوي روحي

ابتسمت ابتسامة رضا وتابعت:

- لا أعلم ماذا ستخفي العواصف القادمة

رتبت على كتفها متحدثة بثقة:

- سيصلح الله كل شيء فكل ما حدث لسبب وسيظل، والآن ارتاحي وحاولي الابتعاد عن الأفكارالسلبية ولا تقلقي روح والدك الآن في رعاية الله وتحت رحمته

فوقفت واتجهت إلى باب الغرفة وتبعتها سيلين ثم أغلقت باب الحجرة من خلفها، كانت تلك اللحظة الأصعب الآن عليها مواجهة كل ما حدث، عليها عدم البكاء ويتردد صوت والدها "كوكب الأرض والبشر لا يصدقون بوجود شعوب أخرى لا يصدقون بوجودنا" كانت تلك النصيحة التي لا تنسى، أيجب أن تبكي لما يحمله قلبها من حزن وتعب؟، أم يجب أن تتحمل لحين مرور تلك الصعاب لماذا هي؟ ما المميز فيها أنها مجرد فتاة عاشت حياة مع والدها لم تؤذي حتى خيالها لم يكن لها سوى صديقتها، لم يكن لها سوى نور في قلبها وها هي الآن تعيش في حالة ميؤس منها تعيش أحداث لا تفهمها، بعد لحظات فاض السكون وذابت جميع الأصوات إلا صوت خفقان النافذة من شدة الرعد، حتى انفتحت على مصراعيها وتدفق المطر بغزارة وما لبث حتى صعق البرق السماء بلمعة وكأنه خط الوريد، فدخلت إلى الحجرة بعيونها البيضاء ووقفتها الثابتة وملامحها الحادة يتطاير فستانها الأسود القصير مع انحنيات شعرها فقالت تايغيتا بصوت يخرق القلق:

- سالينو

كوكب الأم العذراء

نظرت إلى أحضاني فوجدته غارق في نوم عميق، لقد غاب عن وعي هذا العالم البائس تحت نور النجوم وعلى بر البحر الذي يحاوطنا، حملته بشدة واتجهت به إلى البيت، باب منزل بسيط يرحب بينا دائمًا ليس إلا طابقين الأعلى يحمل غرفة نومنا والحمام، و السفلي يحمل المطبخ البسيط وسجادة بسيطة تتوسط البيت مبعثر عليها الألعاب والأحجار والكثير من الورق والألوان أنها المكان المفضل الذي يتسلى به نوح عندما يمل، حملته وصعدت به إلى الحجرة وأنا أضعه على مكان مرتفع عن الأرض يشبه السرير بدون خشب أو حديد، تركته وتأكدت من تدفئته واحتواء الغطاء له، طبعت قبلة على خده، والتفت وسحبت شالي وفردت شعري من خلفه، خصلات من الذهب مع عيون لامعة بلون حزين وراضي، على بر بحر التاه يعصف بي الهواء، تبعثر فستاني وطار شعري، هبت ريح قوية تجمعت أمواج البحر في الهواء حلقت أمامي بسرعة مخيفة، علا صوت صراخ دار في دوامة كأعصار في حلقة متناسقة تقلب كسنفونية من الأصوات، تناثرت قطرات من الماء على وجهي المبتسم لذلك الإعصار، كنت مطمئنة تجمعت كل نقطة من نقاط البحر في تلك الدوامة حتى توقفت فجأة.! فظهر أخيرًا راجل مكون من كل قطرة من قطرات البحر عريض الهيئة يمسك بيديه شوكة كالجنود ضم يديه المائية الشفافة إلى صدره وجث على ركبته المائية، أنه شفاف تمامًا ليس إلا موج من البحرعلي هيئة شخص، كنت أرتجف وأفزع كل مرة أراه فهو ضخم للغاية يكاد لا يصل لنظري، صاح بحماس ورأسه منحنية:

- بحر التاه تحت أمرك مولاتي

رفعت رأسي اتجاهه تابعته بنظرات قلقة وقلت بحزم:

- أهناك أخبار جديدة؟

فقال الوالي:

- لا مولاتي ننتظر

صمت لوهلة وقلت:

هل أخطأت عندما بدأت بروي ما حدث لنوح؟

رفع رأسه لها وقال:

- عاجلًا أم آجلًا كان سيعلم مولاي نوح كل شيء ولا تنسي أن الوقت يداهمنا

ثم نطقت قائلة بتوتر:

- يجب أن يعلم نوح كل شيء

- أمرك مولاتي

فاقتربت منه وأخرجت رسالة مغلفة بإحكام ومددت يدي بلطف لإعطيه الرسالة، فقلت بلهجة صارمة:

- يجب أن تصل هذه الرسالة الليلة

فقال لي بحزم:

- ستصل فلم يعد لدينا متسع من الوقت

- حسنًا، يمكنك الإنصراف

ثم تناثرت أمواج البحر كما كانت وعاد البحر يحاوطنا أنا وبيتي كبلون مملوء بالماء انفجر لحظة، وما لبث الصمت حتى وجدت نوح يقف خلفي وقال بنبرة مترجاه:

– أنا حقًا لا أستطيع النوم حقًا أيمكنك اكمال القصة؟

ابتسمت وفتحت ذراعي لأحضنه فركض واحتضنني بقوة، واختبئ بجانب قلبي فضممته وجلست مكاني فرفع عينيه وهو يهمس بخفوت:

– هل هذه قصتك؟

فابتسمت وقلت:

– أنها لتايغيتا.. لقد اتفقنا أن تظل الحقائق مجهولة وأن تحكي قصة مثل قصص النوم

فابتسم وقال:

– حسنًا.. حسنًا أنا لا أعرف ماذا حدث بعدما وجدت تايغيتا سالينو في غرفتها

كوكب الأرض

اقتربت منها وضمتها بشدة وعنقتها إلى قلبها، كادت أن تكسر ضلع من ضلوعها غير مبالية بخصلات شعرها المتناثرة، على عكس تايغيتا التي ظلت ترتجف وتتساقط دموعها في صمت لم تكن على استعداد لاستقبالها بكل هذه الصدمات، ولكنها أرادت حقًا هذا الحضن للدرجة التي أضاء قلبها، فخافت أن تمر ضحى وترى قوة النور الخارج من الحجرة وتشك أو تفتح الباب، فابعدت سالينو على الفور وهي تضع يديها على قلبها محاولة منها لأطفائه،

ظلت تستنشق أنفاسها وتهدأ من قلقها حتى سالينو كانت تساعدها على أن تطفئ نورها، حتى هدأت فقالت سالينو وهي تراقبها وهي تنظم أنفاسها:

- هل أنتِ بخير؟

قالت بنبرة ساكنة:

- نعم لقد أصبحت بخير، لكنني أشعر أنني عالقة هنا

ثم اقتربت منها "تايغيتا" سريعًا وأمسكت يديها بقوة وقالت:

- كيف أتيتي إلى هنا؟

ردت بحماس خافت وهي تقول:

- أتتذكري عندما كنا نجلس تحت النجوم ونستمع إلى القصص المعتادة عن نجوم الأمنيات التي تستجيب للأمنيات لقد ساعدني اليوم حارس السماء وطلبت أمنيتي الا وهي رؤيتك أينما كنتي

ضحكت بفرح وقالت:

- تمنيت بشدة أن أتمنى أمنية وتتحقق لي

تغيرت ملامح سالينو فجأة وقالت بحزن:

- لكن

استاءت ملامح وجهها وهمهمت تايغيتا بانزعاج:

- لكن ماذا؟

حنت رأسها بأسف وهي تقول:

- عليك الاجتماع مع النجوم غدًا حتى تحل هذه المشكلة؟ ولماذا لم يختفي نور قلبك مثل باقي الشعب

أعصرت وجهها من الخوف والرهبة تعال صوت أنفاسها المتلاحقة، أخرجت سالينو سريعًا ترياق لونه برتقالي ورشفته تايغيتا بتوجس، صمتت للحظة ثم نهضت واقتربت من سالينو الجالسة أمامها وهي تقول برعشة:

- لا.. لا.. أرجوكي لا أريد الذهاب...على مر القرون الجميع يتكلم عن ظلمهم أنهم لن يرحموني لا..لا.. لا أرجوكي أنهم لن يرحموني بقرارتهم

نهضت لتقف أمامها وأمسكت يديها وهي تهدأها وتقول لها بهدوء:

- لا تقلقي.. لاتقلقي أنه الحل الوحيد

هدأت تايغيتا واستبدلت قلقها ورمقتها بنظرات تفيض سكينة، وقبضت على يديها بحنان وقال بصوت هادئ يحتله القلق:

- لقد سمعت دائمًا عنهم من أبي اطلس لكنني لما أراهم ولكن عندما سألت أبي قال أنني سوف أراهم يومًا ما.. هل رأيتهم؟

ضحكت سالينو وقالت:

- أنهم أسوء شيء رأيته في حياتي

فضحكت تايغيتا أيضًا وقالت:

- كيف يظهرون؟ اشرحي لي

جلست سالينو وتبعتها تايغيتا التي اندمجت كثيرًا عندما بدأت سالينو برواية ما حدث لها فقالت:

- لقد بدأ عندما أتممت عامي السادس ومازالت اللعنة مستمرة منذ يوم ولادتي فظن والدي أني شؤم على هذا الكوكب وتقدموا بطلب لحارس السماء يقدمه للنجوم حتى ينظرون على نجمي ولكن الأمر في البداية يبدوا كالحلم وكانت ليلة مظلمة مثل كل الليالي، لم يقدموا إلى والدي تهنئة مولدي بل

جعلني أشرب ترياق لونه أزرق حتى شعرت أني فقدت الوعي فوجدت نفسي بين يدي والدي أمام باب ضخم ودخلت، أنهم يظهرون كما يظهرون في السماء.. كالحيوانات وجدت عقرب ضخم وهمس أبي في أذني يقول أنها نجوم العقرب وما لبث حتى دخلت حيوانات مريبة فوجدت حوت يدخل إلى القاعة لم أكن أعلم أشكال الحيوانات ولا اسمائها ولكن أبي فهمني أن بعض من النجوم المضيئة تتجمع لتصبح شكل وبما أننا كوكب خُلقَ من النجوم، فكل ما وهب لنا طفل كان يجب أن نسميه باسمائهم ربما يحصل على قدره عظيم ويصبح أحد الأطفال نجم في هذا الوقت، أستوقفت أبي وسألت لماذا يسعى الناس ورا أطفالهم ليصبحوا نجومًا كما هذه النجوم؟ قال لي أن تلك النجوم تدير مجرة كاملة بأمر من الله تعالى أنهم أقوياء يستطعون سماع جميع شعوب الكواكب أنهم يحلون مشاكل الكواكب ويقفون في الحروب، وبما أننا نحمل نور النجوم في قلوبنا إلى حد كبير، فالجميع يريد أن يصبح ابنه أو ابنته نجمة وتترك الكوكب وتعيش حرة في الفضاء وتكون لها سيادة وسلطة أنهم يضعون أحلامهم في أبنائهم، وانتهى النقاش وأنا أجلس على طاولة ويجلس أمامي ثور ضخم الهيئة بجانبه نصف محارب نصف حصان يمسك بسهم، في البداية كنت حقًا خائفة ولكن لم أتذكر ما حدث بعدها لقد كانوا كثيرًا من الأشكال وعندما استيقظت لم أجرؤ على سؤال أبي لقد كنت خائفة أنني أتذكر أشياء لا يجب أن أتذكرها ولكنني سألت حارس السماء، نهضت سالينو فجأة وقطعت انتباه تايغيتا وهي تبحث عن ورقة فوجدت قطعة بالية من القماش أخذتها وعادت إلى مكانها على الأرض، وأخرجت من

بنطالها سن حجر وبدأت بتقسيم قطعة القماش بسن الحجر، وبدأت برسم نقاط كثيرة، ونظرت إلى عيون تايغيتا التي حدقت بشدة وقالت سالينو بتركيز:
– تلك النجوم الحرة نجوم ليست مرتبطة بأشكال تسمى "جنيات النجوم" هي التي تحقق أمنياتنا وتستمع إلينا دائمًا أنها لطيفة وإن وُلد طفل أو طفلة باسمائهم يفقد الوالدين الأمل في أن يكون ل ابنهم أو ابنتهم سلطة هي فقط يمكن أن تتحقق بعض من الأماني أو تكون لطيفه مثلهم وهناك أيضا "النجوم الروحية" أنها نجوم تحمي كوكبنا ومجراتنا أنها فقط للمساعدة وكل نجم منهم لديه ما يشبه الكوكب شيء دائري يحمل ألوان زرقاء إن كانت "جنيات النجوم" وألوان صفراء إن كانت "النجوم الروحية" وهنالك نجوم الأبراج أنها الأصعب والأظلم بعض من النجوم اتخذت شكلها الرئيسي في أساطير السماء فتجمعت بعض من النجوم بجانب بعضها وأعطت نجوم برج العقرب فوجدنا عقرب حقًا في سمائنا، أنهم اتخذوا بعض من الحيوانات البشرية والأشياء المتعلقة بالأرض دليل على القوة فالأرض لديها الشعب الأقوى في مجراتنا، وأسسوا نظامهم الخاص بهم لا أحد يتعدى على قراراتهم، لأنهم نجوم لا تفنى وإن فنت فستكون ثقب أسود، وما نحن إلا شعب ولد بنور في قلوبهم يشبه النور الذي يشع من النجوم ولكننا نميل للهيئة البشرية بقدرات نجمية ولم يستطيع أحد تفسير هذا إلى الآن، ربما يوجد لدينا النهر السرمدي الذي يحمل أطفالنا فسمعت أسطورة من أخي سهيل تقول أن نجوم الأبراج هي من صنعتنا لنصبح لها شعب ودروع ولكي يضمنوا بقاء نجمهم

فتعجبت تايغيتا وهي تقول:

– كيف يضمنوا بقاء نجمهم بداخلنا؟

طالعتها بحيرة وقالت:

– طالما يحمل أطفالنا أسمائهم ونور نجمهم في قلوبهم فهم يضمنون أن نجومهم تعيش مثل ما نحن نعيش وإن حدث لنا شيء فهم يستطعون الاحتفاظ بقلوبنا في أجساد أخرى

أمالت تايغيتا رأسها كأنها لم تفهم فردت سالينو بثقة تقول:

– أنا الآن أحمل نور نجوم برج الثور وهو النجم "سالينو" إن خفت ضوئي وأصبح جسدي هش وبدأ جسمي بالانطفاء فسوف أموت فورًا وهو يستطيع أخذ قلبي الهشة ووضعه في طفل جديد يولد بنفس اسمى"سالينو" وهكذا ستعيش نجومهم مدة أطول نحن فقد مجرد دروع تحمي نجومهم من الفناء

رفعت حاجبيها وقالت:

– كيف لم يخبرني أبي كل هذا لقد اهتم فقط بتعليمي بعض التراهات أكثر

صمتت للحظة ثم تابعت:

– وما علاقتي بكل ما حدث؟

قالت بعد تفكير:

– لا أعلم ولكن أنتِ الوحيدة التي مازالت تحتفظ بنورها منذ يوم اللعنة.. كل ما أعلمه عن مولدك أنك كنتِ في نفس عامي فقط

قالت بيأس:

– لم يعد يستوقفني شيء أريد أن أفهم ماذا يحدث وأن ينتهي كل شيء ولكن لماذا أرى الأشخاص هنا وكأنهم مرئين مشوشين يتلونون بالأسود رغم ظهور ألوانهم وأشكالهم، أسمعهم باللغة العربية؟

رتبت سالينو على كتفها وقالت:

لا أعلم، سينتهي لا تقلقي علي فقط الاستعداد للقاء وسنفهم كل شيء وسيكون حارس السماء معكِ

ودعتها بابتسامة وعادت لتستسلم لساكين الليل وهي تبكي بخفوت على السرير، وما باتت حتى خرج عليها الصباح وهي تستسلم لكل شيء ولكنها رأت لأول مرة الشمس، نهضت واتجهت بقدميها الحافيتين بخطوات متلاحقة إلى النافذة ترفع يديها إلى نور الشمس أنه يبدوا حقيقي أنه نور حقًا، يبدوا الشعور رائع أن ترى الشمس وأشعتها تتسلل إلى غرفتك إلى سريرك الذي تجلس عليه وأنت تبكي وكأنها مواساة لدموعك، وذابت في أشعة الشمس وهي تداعب خصلات شعرها وهي تحتضن لون عينيها، وكأنهما يتراقصان كثنائي في لحظة من الصمت على أنغام الحياة، تنتفض دموعها وتتساقط بصمت واحدة تلو الأخرى قلبها يتيقأ وجسدها يتراقص حول أشواك الشمس، تخطو خطوة وتلف روحها وتتناثر رمال شعرها في لحظة أشبه برقصة كلاسكية في فيلم ملكي طعنت الملكة لكنها تكمل رقصتها، ربما الموت بكرامة يمحي ما حدث من خيانة، تناهد إلى مسمعها صوت تصفيق فالتفتت لترى ضحى بملابس البيت تبدوا وكأنها رهينة لامرأة في الأربيعنات من عمرها، لقد غطى الحزن ملامح العشرينات، وحركات يديها بلطافة تعبيرعن روعة رقص تايغيتا فقالت بخجل:

– أنها رقصة علمني إياها أبي

ومسحت دموعها في توتر، ثم اقتربت منها ضحى وقالت:

– عندما يرحلون يتركون ألم عميق بداخلنا ولكن الوقت يربط على ذكراهم.. لن تنسي أبيكِ سيظل الذكرى الأعظم

– نعم سيهون الوقت فراقهم ولكن ماذا سيهون فراق أنفسنا؟

فابتسمت ضحى بلطافه وقالت مازحة:

– فطور من يدي وستعلمين جيدًا كيف يهون وجع أنفسنا

فضحكت "تايغيتا"، وأكملت ضحى قائلة:

– اذهبي سريعًا واغسلي وجهك بالماء وسأحاول العثور على ملابس تلائمك

استدرات ضحى لتذهب ولكن أوقفها صوت تايغيتا وهي تقول:

– شكرًا.. تبذلين مجهود من أجلي

ابتسمت "ضحى" وقالت:

– في خلاف ذلك فلقد ذكرتيني بلغتنا الأم التي تاهت وكما أنني أحببت اللغة العربية بشدة لولا ما حدث لربما الآن كنت أعلمها لصف ما في مدرسة ما ولكن الأقدار تفعل ما يريده الله.

وتركت الباب مفتوح ورائها، ظلت تايغيتا للحظات تائهة لماذا تراهم هكذا ربما لأنهم غرباء؟، فتقدمت باتجاه المغسلة وهى تتعجب من كل شيء حولها، كيف يبدوا المنزل وهذا الركن أنها حقًا غريبة.! تتذكر كيف كان منزلها البسيط بدون كل هذه الأشياء لقد كان بسيط، انقطعت ذكرياتها واهتز الوضع الخطر عندما توهج قلبها فجأة !!! ليس معها الترياق الذي يطفئه وليس بإمكانها الخروج هكذا.! وتعالت دقات قلبها وبدأ النور يشع أكثر تبحث حولها في

حالة يرث لها عن أي شيء، فتحت صنبور الماء وبدأت بوضع الماء على موضع قلبها ووجهها، وهذا أيضًا لا ينفع يتردد صوت بداخلها "لقد حان الوقت"، تتسارع أنفاسها ينقبض قلبها ويؤلمها بشدة، تسمع في رأسها نفس الجمله تتكرر "لقد حان الوقت اذهبي إلى النهر"، في لحظة سكت كل شيء، نظرت خائفة وهي تتكأ على جدار أحد أركان المغسلة، أوشك قلبها على الانفجار وكأنها ابتلعت معلقة من الشمس، تحرق جوفها وتضيء خارجها، وقف الوقت وتلاشى النور تدريجيًا، فنهضت مسرعة واتجهت بجمود أعصاب لضحى، وقالت بأنفاس متقطعة:

– يجب أن أذهب إلى نهر النيل

سحبتها ضحى وهدأتها وهي تمسك بيديها، جلست على طرف الكرسي في البيت وأخذت نفسًا عميقًا وقالت بهدوء:

– أريد الذهاب إلى نهر النيل ضروري

فقالت ضحى برهبة:

– لماذا؟

فكرت "تايغيتا" في حجة سريعة وقالت:

– أنني أشعر باختناق أريد هواء قليل وربما ارتاح عند الذهاب إلى النهر

أثار الحديث شك ضحى في تايغيتا، إنها حقًا لا تبدوا طبيعية مثل ما قالت سيلين، فنطقت ضحى مسيطرة على الوضع:

– سيلين لديها جلسة مع فارس في الغرفة تكاد تنهيها سوف تنقلك في طريقها

أزاحت تايغيتا شعرها عن وجهها المبلل، في تلك اللحظة صدر صوت سيلين تخرج باتجاه تايغيتا المتعبة وضحى التي تجلس بجانبها، فقالت ضحى بلهفة:

– لقد انتهت سيلين

اقتربت سيلين منهما، وتايغيتا مغيبة عن الواقع يهتز جسدها الهزيل وتفرك شعرها بألم، لتقترب ضحى من سيلين وهي تقول في أذنيها:

– سيلين هذه الفتاة لا تبدوا بخير، تريد الذهاب لاستنشاق هواء عند النهر

توترت سيلين وقالت:

– حسنًا سأتولى الأمور

– حسنًا

اقتربت سيلين من تايغيتا وهي تقول:

– نور هل أنتِ بخير؟

وقفت فرك في شعرها الحلزوني، وتنفست بضيق تعتص ألمًا من الصوت الذي يحطم رأسها، بصوت متهالك قالت:

– أنا بخير أحتاج إلى بعض الهواء أريد الذهاب للنهر

– سوف أنقلك

اتبعتها تايغيتا التى لم تنطق بحرف واحد وهي تسند رأسها على نافذة السيارة، تغرق في الشوارع والناس لما يغطي السواد معظمهم؟ يدورعقلها وهي ترى مقتطفات من أحداث لا تتصل بالواقع، كلما نظرت لأحد من المارة تشوش عقلها، لما يبدوا كل هذا التشوش؟ لما كل هذا التعب؟

ردّت مهزومة قالت لنفسها:

– لا يوجد حد لتلك المعاناة.. لا يوجد شيء يتوقف..

نظرت إليها سيلين وقد تجنبت محادثتها، التقط الحزن ما يكفي على رأسها لتميل، حتى وصلت على جسر نهر النيل، أوقفت السيارة وهي صامتة، زفرت سيلين ثم قالت:

- نهر النيل أمامك

استيقظت تايغيتا فجأة وقالت:

- شكرًا ليكِ

- لاعليكِ .. ولكن ما الذي يهمك كثيرًا؟

- لا شيء فقط شعور بالخنقة أنني أرتاح هنا

- ربما

فأردفت سيلين قائلة:

- حسنًا يا نور أيمكن تركك هنا؟

- بالتأكيد عليكِ المضي في حياتك

ابتسمت سيلين قائلة:

- أنا آسفه، لدي موعد في المشفى لكنني سأعود لأخذك سوف أنتظرك هنا في نفس المكان

فتحت تايغيتا باب السيارة وتركيزها على السور الفاصل ومن تحته النهر، تبحث عن مخرج عما يجب أن تفعله وهي تغلق الباب من خلفها، وهي تتجه إلى النهر والشمس تسلط حرارتها بلطافة بعد ليلة شتوية، وقفت أمام السور تزيح شعرها البرتقالي المنحني بحنياته، تنظر إلى نفسها كيف يحتل السواد ملابسها، يسلب القميص والبنطال الأسود روحها.

كيف تهششت نفسيتها، حتى يعود الصوت ويتردد بأقوى صراع بين الصوت وبين نفسها، تنظر إلى الناس من حولها، لا ينظرون لها؟، كيف تتجاهل كل أولئك الأشخاص وتمضي؟ كيف يمكنها الهرب؟، نقبت بعينها في المكان وكأن القفز من هنا مستحيل، كادت تأخذ هذه الخطوة فوجدت يد تمسك بيديها، رفعت عيناها سريعًا لتراه، بلحية بيضاء تمددت بها ملامح العجز وعينان سودتان كأنهما الثقب الأسود، ينفض حوله عباءته الباهتة، فصاحت قائلة:

- حارس السماء

ابتسم ابتسامة تقطع توترها وهو يقول لها:

- مازالت تتذكرني

تلاشى توترها وخوفها فهو بمثابة جدها الأكبر والهم غطى قلبها وفاض فاحتضنته وتقطع صوت بكائها في أحضانه، فقالت بصوت منكوب:

- لم أعد أفهم شيء أريد العودة إلى دياري

أمسكها من يديها وقال بصوت مرتجف:

- يجب أن نقفز إلى النهر

- لا، كيف سينظرون إلينا الناس؟

- لا أحد يرانا الآن لا تقلقي

التفت للناس من حولها يبدوا وكأنهم أموات حتى لو قفزوا أمام أعينهم لن يشعروا بهم، هكذا نحن نذوب في هموم حياتنا وينقر رأسنا المشاكل والابتلاءات، فتذهب روحنا من جسدنا وتجرفنا الحياة فنغرق تارة وننجو تارة

وننسى أن من حولنا يريد نظرة طيبة منا وأننا كما نتنفس برحمة الله هناك أيضًا من يحتاج منه أن نذكره برحمة الله.

أمسك يديها وقفزا في لمح البصر، وكأنهما ليسا هنا مجرد رنين ماء لا يظهر أجساد أو حتى أرواح

* * *

على سطح صخري جلست تايغيتا أعلى تل مستوي سطحها، ينسدل التل مثل تنورة فستان زفاف، في وسط الكثير من التلال المتشابه المتراصة كالبنيان مضيئة باللون الأزرق على الجسم الكروي بأكمله، وكأن الشمس وقعت في البحر فتلونت بلونه، تنعكس الأشعة المنطلقة منه في الفضاء الفضفاض، وكأن التلال تصدت بلونها الأزرق المهجور يضمها السكون، الأجواء خالية وكأن تلك التلال هي ونستها الوحيدة، تجمدت عيناها على المنظر وسرقها الهدوء وهي تمد قدميها أعلى التل، حدق في صمتها وهمس بتعب:

– أظن أن الوقت قد حان لتعلمي كل شيء

التفت إليه بانكسار:

– يبدوا أن هناك الكثير من الأسرار

– أنتي لا تعلمي شيء فاسمحي لي أن أسالك ماذا تعرفي عن كوكبنا سيريس؟

أجابته بحيرة:

– لم أكن أعلم الكثير وأبي لم يسمح لي بالكثير سواء أنه كوكبنا وأن هناك كواكب آخرى، هناك أيضًا "اللغة السيريسية" التي لم يعلمها لي أبي، وأننا نحمل نور النجوم التي نحمل اسمها في قلوبنا وأن هذا النور هو سبب حياتنا لا أكثر

سرح للحظة ثم قال:

– هو سبب لعنتنا

– سبب لعنتنا؟

تغرغرت عيناه بالدموع وهويقول:

– عليكي أن تخسري قلبك

– ماذا؟ كيف؟ ولماذا؟

تغير ملامحه وشعر بارتباك فأشار بيديه إلى كوكب سيريس الذي ظهر وكأنه نقطة سوداء في عصارة الليل وقال:

– الأمر يتعلق بيهم

فأردف قائلًا:

– وجدت النجوم من عند الله أودعها في سماء الدنيا لتكن رجومًا للشياطين ولأن منهج الحياة هكذا فنحن دائمًا تحت رعاية الله، ولكن تلك النجوم حتى أنا لم تكن مجرد مجسم دائري مضيء بحرارة عالية لكل نجم تشاهديه الآن جسم مادي، كل منا يعيش على نجمة وعندما وجدت الحياة على كوكب سيريس كل طفل ولد هنا حمل نور من أنوار النجوم بداخله تحديدًا قلبه وباتت قلوبكم تحفظ نجومنا

قاطعته وهي تقول بحزن:

– لابد أنني السبب في انطفاء هذا النور

هز رأسه إيجابيًا ومازالت الدموع عالقة في جفنه، ابتسمت بضيق وقالت:

– من متى؟

– منذ مولدك

– مولدي؟ منذ ثمانية عشر يعاني كوكبي

– إنه القدر

سقطت الدموع من عينيها مرتجفاتان، وليس أصعب من أن تكون أنت المعاناة أن تكون أنت السبب في كل هذا الحزن لنفسك، تسدد الحياة ضربتها في قلبك وكأنك تريد الصراخ، لماذا كل هذا الخوف؟ لقد ظننته اختلاف لا أكثر ولكنك لعنتك كل من حولك ،سألته "تايغيتا":

– أريد لقاء النجوم الأبراج

– بالطبع سيجتمعون معكِ

صاحت غاضبة:

– الآن

ورغم ذلك التزمت الصمت كان قلبها يضاربها وكأنه يخفي طائر يريد الحرية بداخلها، قال:

– حسنًا

عاصفة ضبابية تسارعت بين التلال واقتربت منهما وهما على جلستهما وتسارعت العاصفة الضبابية تدور وتدور كالدوامة، الهواء يتبخر باللون الرمادي، ثغرتها تمؤ وتتلوى ظلت عيناها معلقة على العاصفة التي أخرجت يدان ترابيتان وصوت براكين يتردد بداخلها، فحملتها فتهلل جسدها رعبًا وكأن وحشًا يلتهمها وعاصفة تبتلعها، اتسعت حدقتا عينيها ثم نظرت إليه كأن حارس السماء وهو يرفع يديه مودعها قائلًا بصوت جهوري:

– ناصري الحق يبنتي في آمان الله

واختفت العاصفة في لمح البصر حاملة معها قطعة من وجدانه ليست ابنته، ولكن رآها أمامه طوال تلك السنين حماها كما لو كانت فلذة كبده أخفها كما أخفها أبيها أطلس ولقد كان حق رفيق له، ولكن الآن وقع بين حيرتان أن يخبرها الحقيقه ويتركها لمصيرها فتتعركل وتنتهي أو يخبي عليها الحقيقة ويترك مياه النهر تجري من جديد دون أن يخبر أحد بأنه وضعها تحت ضلعه طوال تلك السنين، ولكننا فطرنا على الخوف من خسارة أحبائنا وحتى من خسارة أنفسنا فنظن أن الطريق ملتهب نارًا فنرمي بحقيقتنا في النار لكي لا تلتهمنا، ونقنع أنفسنا بأن هذا الأفضل وكان الأفضل ينظر إلينا باستخفاف واستهزاء من تبريرات لعقلنا.

كوكب الأم العذراء

سقطت دمعة من جفني على بشرتي الناعمة وعلى ضفاف الظلام الكاحل وعباءه نورالقمر وأمواج البحر الأسود الفاتنة تتهاوى لتصل إلى أنا ونوح وتعود أدراجها مرة أخرى، وعلى صوت الصمت انتفض نوح فجأة من حضني، بثقة وقف أمامي بشعره المجعد بحلقاته السوداء وقصر قامته، نظر لي بعيناه الخضروتان وبشرته البيضاء، رفعت نظري إليه ونزلت دمعتي فتوجه إلى عيوني الدامعة بدمعة بخيلة فمسحها، وكأنه يكسر همي بيداه الطاهرتان وصاح قائلًا:

– عندما أكبر سأحميكي دائمًا

ضحكت بسخرية على لطافته وقلت له:

– أنتظرك

- أيمكن الاستفسار عن شيء؟

- اتفضل

- أن كانت الحقائق ستظل مجهولة فلماذا لا تريدين اخباري أنها قصتك؟

تغيرت ملامح وجهي فردّت نفسي قائلة:

- كيف ستخبرين هذا الطفل الصغير قصة حياتك وحياته؟ كيف ستجعليه يواجه هذا الألم التي حملتيه أنتِ؟ أتظنيه سيفرح عندما تخبريه عن مغامرتك البائسة على شكل قصة ثم تصدمينه بالحقيقه؟

رد الجانب الأخر من نفسي يقول:

- يجب أن يعيش الحقيقة لقد بلغ الثامنة من عمره وسيكون معارض لمواجهة تلك الحياة مرة أخرى بدون الحقيقة، يجب أن لا يحدث فيه ما حدث لكي أبدًا

قطع شرودي وهو يشير بأصابعه إلي لأنتبه له فقلت بنبرة طفولية:

أتريد أن أقول لك درس حقيقي؟

هز رأسه إيجابًا بحماس، فتابعت قائلة:

- لا تخف أبدًا من كونك أنت، اظهر حقيقتك مهما كانت، لا تهرب من مواجهة الأمر أو الموقف، لا تكتم طبيعتك..اظهر كما أنت

سكنت للحظة ثم همست:

- ما رأيك ببعض المقرمشات؟

نظر لي بفرح وحماس شديد، فسار معي إلى المنزل لأحضر له بعض المقرمشات، فهو يحب تناول حجر الأوبسيديان معي ولكنني أمنعه باستمرار، ومازال يجهل السبب ومازالت أحتفظ بأسبابي لنفسي، فوجدته يجر كرسيه ليجلس بجانبي وأنا أحضر، ونظر إلي لكي أحضر له الذرة المعلب، كان يجب

أن يحصل نوح على حياة حقيقية في تلك المقبرة، فوجدته يغمز لي بعينه وهو يقول:

– ألن تكملي قصة تايغيتا يا تايغيتا؟

فضحكت على نباهته، فمهما حاولت الاختباء وإضافة بهارات للقصة فهو ذكي يمكنه ملاحظة ومعرفة كل شيء من أول مرة ولابد أنه يعلم أنها ليست قصص ما قبل النوم، كنت ومازالت أخشى عليه قوة ملاحظته فقال ويديه تسند خده بلطف:

– ألن تكملي؟ ماذا حدث في اجتماع نجوم الأبراج

صمتت لحظة وأكملت

اجتماع نجوم الأبراج

شعرت أن شيء ما يكتم أنفاسها وكأنها تهوي من فوق هاوية مقيدة من جميع الجهات، وقلبها يرتجف على رغم عيناها المعلقة على قاعة واسعة ذات أنوار خافتة، الرعب والخوف يتسلل أجزاء جسمها وقشعريرة تسري في جسدها بأكمله، أصوات متضاربة وصداع مزمن يضرب عقلها وسقطت أعصاب يديها في آسرهم لتقبض على عيناها وتفتحها ببطئ شديد مرة أخرى، لتراهم يدخلون كأنهم كوابيس يجتمعون حولها في دائرة على طاولة مصنوعة من الغاز تكاد تطير في السماء وتتلاشى ولكنها ثابتة متطايرة في هدوء، حتى كرسيها يشبه الوهم وكأنها تجلس على سحابة في الهواء، صدر طنين يكاد يفجر رأسها من شدة الصوت، دلفت بخطوات ثابتة بردائها الأسود القاتم تغطيها عباءه كحلية اللون، تغطي رأسها بقلنسوة ذهبية مكحلة عيونها بالغضب تسير

بغرطسة وجناحين مزينين، جلست أمامها بصوت يخترق الصمت قالت بحقد:

- فليدخل الجميع

دلفوا بانتظام كالسرب، انخفض وارتفع نفسها وهي تراهم تزداد دقات قلبها تحاول إعاده فتح عينيها كيف؟ أنها لديها جناح يغطيها ريش لامع كأنه صنع من الزجاج، قالت في داخلها:

- يا الله ساعدني

تمسكت بنفسها وهي ترمقها بنظراتها الأولى، يدان مصنوعتان من الزجاج قابلة للكسر، تعوجات في جسده ولكنه عقرب حقيقي!! انسحب الدم من وجهها لم ترى عقرب في حياتها لقد كانت أساطير عن الحياه البشرية كيف؟ لم تتم صدمتها ليخرج عقلها من هول المنظر، ليدخل أمامها محارب ممسك بسهمه كأنه محارب ولكن نصفه الآخر حصان أنه كائن القنطور!!! ماذا سيدخل أسوء لم تكمل جملتها حتى رأت أسد يشبه الرسومات الموجودة حول النهر السرمدي أسد يرتدي عباءه سوداء تشبه لونه وتضيء عيونه لامعة!، والآن لنرحب بحيوان آخر لديه قرون وشجاع يزين بصوف ذهبي يجب ألا نتعجب لأن ما دخل بعدهم لم يكن بهذا السوء مجرد شخص يشبه البشرية ويحمل ميزان في يديه، وأختان ملتصقتين ببعض من الذراع لا يختلفون حتى في خصلة شعر وجسمان آخرين لا يشبهان بعضهم كثيرًا ولكنهم ينظران إلى بعض باتجاهين متعاكسين مزخرفان بالأخضر، وما بعدهما كان عملاقًا ذات رأس صلبة ولون أسود ممزوج بالحقد والرهبة وجسد ممزوج بألوان الطبيعة طفل في جسد وحش، ولكنها كادت تتذكرهذه الأشكال جيدًا أنهم

مرسومين حول نهر السرمدي وكأنها توقعت دخول شكل سرطان يديه كالسيوف القاتلة وما لفت نظرها كما رسم على ضفة النهر تمامًا، وها هو ناصح البياض لديه نظرة من الحب لا تشبه الباقين وانغلقت البوابة بصوت يهتز له الأركان رمقتها المرأة بنظرة غاضبة وهي تقول:

– إنه أنا فيرجن لابد وأنك رأيتي صورتي وسمعتي عن نجمة العذراء

بحثت عن كذبة تقولها ولكنها نطقت بالحقيقة وهي تقول:

– نعم سمعت عنك ولكني لما أرى صورتك بشكل واضح

– لقد رأيتيني الآن لن تحتاجي إلى التفكير

– هل أنا حقًا لعنة؟

أقامت ضهرها إلى الخلف وقالت بتعسف:

– ليست جميع اللعنات سيئة

– اللعنة ستبقى لعنة

أشارت إلى مكان قلبي وتحسست بأصبعها ثم أردفت قائلة:

– أنه النور الذي بداخلك

خيم التوهان على عيون "تايغيتا" وكأنها تحمل سعف من النخيل فوق جفنها وهي تقول:

– هل أنا السبب في كل هذه المأساة؟

رفعت حاجبيها بتعجب وقالت:

– نحن لا نفكر في الأسباب نحن نفكر في الحلول

– وما هي الحلول؟ ولماذا أنا؟ وما سبب مقتل أبي؟ لماذا أرى الأشخاص مشوشين وكأن ألونهم تظهر ليا ولكن هناك شيء يحجبهم باللون الأسود؟ لماذا أسمعهم باللغة العربية؟

ظهر التوتر عليها ولكنها قالت:

– صغيرتي نحن لا نملك أجوبة لجميع أسئلتك إن كنتِ تريدي انقاذ شعبك وكوكبك عليكِ اتباع الأوامر

– وما هي الأوامر التي تنهي هذا الأمر؟

ضمت أطراف أصابعها الطويلة وبنظرة ثاقبة قالت لها:

– عليكِ أن تخسري هذا القلب وهذا النور

– كيف؟

– تعايشي مع كوكب البشر وابحثي عن المميزين...ابحثي عن شخص بين "المميزين" يحتاج هذا النور وحاربي من أجله

كانت تبدوا نظرات الاعتراض على وجههم جميعًا ولكنني أتذكر كلماتها الآخيرة:

– ابحثي عن خسارة هذا النور لينجي كوكبك

حتى تلاشي كل شيء وكأنه كان على رمال شاطئ بحر أو كوابيس لنزلة برد، وكأن الزمن توقف بها وطارت لحيث موطنها

* * *

كان الغضب يحتل وجههم بعد كلماتها لعدوتهم "تايغيتا" نهضت من كرسيها المحلق ووقفت أمامهم بكبرياء وقالت:

– لابد أنكم مستاءين من قراري ولكن هذا ما يجب أن يحدث

رمقها "كانسر" برج السرطان نظرة استياء وهو يقول:

– لا نتفق أبدًا على ما قلتيه فيرجن

رفعت يديها لتعدل شعرها وهي تقول:

– أنا أيضًا مثلكم، لا أعلم ماذا حدث؟، ولكن أن كانت منا حقًا هذه الطريقة الوحيدة

صمتت للحظة وارتفع صوتها وقلبها يشتعل نارًا وقالت:

– كيف تحي تايغيتا مرة أخرى، ماذا حدث؟

نطق سكروبيو "برج العقرب" وهو يقول:

– اهدي فيرجن.. نحن نتناقش

هدئت النار التي خرجت من موضع قلبها وهي تقول متصنعة اللطف:

– عندما تخسر نورها ستكون قزمًا أبيض وسيختفي كوكب نجمها للأبد

رمقته بنظرة ونبرة غاضبة وهي تقول:

– ألم يكن مسؤليتك هى انهاء هذا النجم ثورس؟

نظر لها باشمئزاز وقال:

– يشاء القدر أن تعود

– القدر؟ لا يجب أن تفتح هذا الفصل حتى لا تحزن

رد عليها باستهزاء قائلًا:

– يبقى الخير ولو قتلته الكراهية

قبضت على يديها وبسطت جناحيها وصاحت:

– أظن أنك تحتاج لإعادة حساباتك وتطهير كلامك

– أنا أعي كلامي جيدًا يبدوا أنك لم تستطيعي فهم ما يحدث بعد

– رفعت إصبعها ثم قبضته سريعًا واستدارت وهي تقول:

– ستنتهي تمامًا وستهلك كما هلكت أوامرنا

رفعت إصبعيها لكي ينصرفوا وعندما توافدوا على الذهاب صاحت منادية عليه:

– ثورس توقف والتفت لها وقال بسخرية:

– ماذا تريدين فيرجن؟

– إذا علمت أنك لجئت لعودة تايغيتا مرة أخرى ستهلك وستنتهي نجومك في لمح البصر

– لم أساعد في عودتها لقد ساعدها القدر كي تعود

ابتسمت وهي تقول له:

– ثورس جميعًا نخاف على نجومنا لأنها أبنائنا التي صنعت لنا وكل نجم في هذا الفضاء لديه روح مادية يا نجم أمنيات أو نجم روحي، كل منا يعيش على نجمه في سلام، أما نحن فقد اجتمعت نجومنا منذ زمن بعيد لكي نظهر بروح واحدة وفي شكل واحد.. لا تنسى

قال بنظرات بالية:

– لا أنسى

رمقته بنظرة واثقة وقالت له:

– انصرف

هي دائمًا تغلي نارًا في قلبها ولا يعني جناحيها الملكين أي علاقة بشرها، وتتحول ألوانها كما يجري المكر في روحها حتى أن نجومها هي الأشد شرًا

ونفثًا للنور تجمعت نجومها لكي تظهر امرأة بهيئة ملاك وروح أفعى قالت في غش:

– يجب أن أضمن انتهائها هذه المرة ولا تنهى إلا بقرار واحد

بسطت جناحيها الشيطانيه وطارت إلى كوكب سيريس وهي تثبت قدميها من خلفها.

وهو جالس على النهر يردد التسبيح بالله فنظرت بمكر وقالت:

– لقد اشتقنا لك حارس السماء

نظر إلى النهر ثم التفت لها بعد لحظة من الصمت تسارعت دقات قلبه توهج قلبه ووجهه بشدة من شدة التوتر فسألته بخباث:

– هل اشتقت إلي؟

إعصار من غيوم السماء تخترقها قذيفة بركان رمادية تعانقها خطوط ذهبية، قطرات مطر تتساقط على رأسها، تعاكسها قطرات أشد قوة لتدفق إلى وجهها البريء، تستهدف الغيوم عيونها لتطفئ القذيفة البركانية مخدر جسمها، تزيح رموش عيونها كما تزيح الرياح أغصان الشجر، تستعيد اتزانها وكأنه غصت في نوم عميق وهي تحرك يديها في صورة مشوشة لتعود لترى أنها مازالت في نفس المكان التي وقفت فيه، أتكأت على يديها ويديها استندت على السور المحاوط للنهر، واستيقظت لترى ركض الناس من حولها ليلتجأوا لمنازلهم من أسهم المطر، جميعهم يهربون لماذا لا تهرب معهم؟ الآن تدرك جملة "أن كل شيء حدث لسبب" يتطلب منها انقاذ شعب لما تراه سوى مرات معدودة وأن تتجاهل مصيرها بعد فقد قلبها..هل ستعيش؟ هل يمكنها أن تعود لعزلتها؟ تسأل نفسها:

– لما يبدوا بعض الناس هكذا.. مثل ما رأت فارس لأول مرة هل هؤلاء المميزين الذين يحتاجون للمساعدة؟ لماذا يبدون بهذا التشوش، منهم من تستطيع رأيته مقتطافت عنه ومنهم لا تستطيع

وها هي تزداد حيرتها وهي تزحف قدميها وتتمشى بجانب السور، يركضون ويصارعون المطر،يصارعون الحياة يصدمها أحدهم ويكمل طريقه ولكنها لا تهتم تكمل وكأنها عمياء لا ترى سوى صديقتها وأبيها وألوان النهر وضحكاتهم وأسرارهم وغمزتهم ولكنهم ذهبوا وحرم عليها دخول كوكبها، لقد عشت بينهم ثمانية عشر سنة يعانون بسببها، والآن تعلم لماذا أجبرت على هذا المنزل بدون أصدقاء وهي التي كرهت أبيها ظنت أنه لا يحبها ولا يضاهي ألم الحقيقة أي شيء في الكون وتزداد دقات قلبها يزداد خطواتها تزداد صراعها تزداد رؤية تشوش على الأشخاص ولكن هذا التشوش يوضح وكأنه يظهرذكريات أو شيء يشبه حياتهم، ولكنها توقفت عند أب يحتضن طفلته ويركضان يضحكان اقتربت منه لترى التشوش الأسود يحتله ظلت صور ذكريات تتأرجح في الهواء أمام عينيها يظهر وكأن الطبيب يخبره "بأنه لديه أيام معدودة" بقيت الصورة معلقة في الهواء وهي واقفة أمامه تنهدت بحسرة فاقترب منها وقال بصوت حفيض

– هل أنتِ بخير؟

أجابته بذعر:

– نعم.

لم تمنع دموعها من التساقط وانبح صوتها في البكاء، فاقتربت ابنته الصغيرة منها ومسحت على رأسها، سألها بفضول:

- ما بك يا ابنتي؟

ران عليها الصمت فلا تريد أن تجيب بلغتها العربية فتبدوا غريبة، فأردف قائلًا بلطف:

- تعلمين أن الطبيب أخبرني منذ قليل أن أيامي معدودة وأن لدي بنت ذات خمسة سنوات.. لا تقلقي سيمضي ألمك مهما كان

ردّت جملة:

- أيام معدوده..!!!

ضحك بسخاء وهو يقول:

- لا أحد يتدخل في الأقدار، إن أراد الله لي الموت فسيقول كن فيكون

ثم ضحك لها ورفع أصبعه للسماء وهو يصيح بصوت يسارع صوت قطرات المطر:

- (وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ)

التفت وهو يحمل ابنته إلى صدره بفرح تداعب الحلوى في يديها وهو يداعبها وتاه بين الأشخاص، الآن أدركت لما ترى هذا التشويش على الناس ولماذا ترى ذكرياتهم ومصائبهم ولكن لماذا تراهم هكذا؟ هل سيموتون قريبًا؟ أم أنهم الأشخاص الذين يريدون نور في هذه الحياه؟ التفت على صوت بوق سيلين وهي تقول:

- هيا..

ركضت وهي تفتح الباب وتحتمي تحت ظل السيارة كنملة دخلت منزلها للتو تبسمت في وجه سيلين فقالت سيلين بتشدد:

- هل تأخرت على الموعد؟

- لا..لا لم تتأخري

- جيد لقد قلقت

نظرت تايغيتا نظرة مطولة على سيلين بشغف مازالت مرئية مشوشة قاطعتها سيلين فقالت:

- هل نذهب؟

قطعت شرودها وابتسمت:

- لنذهب

طارت عيونها وقلبها نحو الشوارع وهي تسرح في الأشخاص على نغمات الخوف من قطرات المطر، الجميع يركض ويشتاق إلى بيته وهي تشتاق إلى كوكبها تشتاق إلى رائحة الأحجار التي يعدها والدها على الحطب لتتناولها بشوق، ويحن قلبها إلى سالينو وهي تلعب معها في غرفتها وهما يتبادلان الأحاديث وحتى لو وصل لحد البكاء وذابت ذكرياتها إلى ذلك اليوم العنيف عندما علم والدها بصداقتهما لقد كان خائف ربما تخبر سالينو أحد عن تايغيتا واختلافها عن شعب الكوكب ولكنه اطمئن وسالينو تردد كلماتها له:

"لا تخف يا عمي أطلس إن الأصدقاء يقدمون أرواحهم في سبيل نجاة أصدقائهم.. إنني أعلم اختلاف تايغيتا وهو لا يهمني لأنها غيرنا وحتى لن يهمني وإن أصبح لدي أحد أخبره عن سر تايغيتا سأفضل الموت ولن أخبر أحد بسركم "انصرفت سالينو في هذا اليوم وتبدلت ملامح أبي من خوف علي وعلى صداقتنا إلى فخر بختيارى لتلك الصديقة، فلم تضع الأربعة عشر عام من الصداقة هباء فقد كانت نصر ليا حتى هذا اليوم، كيف هو النهر السرمدي الآن مازال أزرق اللون حتى بعد لعنتي؟ كيف كانت الحياة قبلي؟ عندما كنت

أحزن لذهابي للنهر السرمدي في الخفاء وأجده فارغ، يجلس حارس السماء يقلب صفحات وأنا أتابع الرسومات المرسومة، فما يؤلم قلوبنا عندما نكون السبب في كسر قلب أحدهم وأنا نكون تعاسته الدائمة وسبب حيرته ونحن نتسأل كيف يمكننا مساعدته ومساعدة أنفسنا، وتبقى الذكريات الوتر الضعيف بين قلوبنا

* * *

استقبلتهم ضحى بضحكة زهية رحبت بيهم ليتناول الطعام، لكن اعترضت سيلين لأنها وعدت أمها بأنها ستتناول معها اليوم خصوصًا أنها انهت اليوم عملها، فستأذنت وتركت تايغيتا التي دخلت وجلست بجوار ضحى، ظلت غارقة التركيز فيها وفي سوادها المرئية وشكلها وينطبق الأمر على فارس، تناولوا الطعام في هدوء وكما هو الحال لا يتكلم فارس كثيرًا وظلت تايغيتا تقلب في الطعام الموجود امامها في تجاهل للطعام البشري وفجأة!! ظهرت نفس الصور على رأس ضحى أنها تشبه اللوحة التي ظهرت لها من قبل لكنها لم تستطيع الرؤية بوضوح على خلاف نبضات قلبها التي تعالت فوقفت متصلبة وهي تطلب الذهاب إلى غرفتها سريعًا ولم تنتظر إجابتهم أو حتى ضحى وهي تأمرها باكمال طعامها، وركضت إلى غرفتها وهي تغلق الباب بصوت مسموع، نطق فارس وهو يقول لضحى:

- إلى متى؟

قالت ضحى بحيرة:

- لا أعلم لكن سيلين أخبرتني أنها لم تنهي أبحاثها عنها، تقول أن ربما لديها مرض نفسي نادر

– حسنًا ولكنه ليس منزل للمرضى النفسين، لقد وافقت فقط تكرمًا لفضل سيلين.

– لا أعتقد أن هذا نوع لرد جميل

– لقد طلبت منا هذا لوقت محدد وبعدها ستجد حل

– ربما

سمعت تايغيتا حديثهم ولكنها لم تهتم، كانت تشك بوجود خطب ما والآن تأكدت، لم تشعر أنها مشكلة كبيرة عليها فقط توخى الحذر.

اعتدلت ضحى وجمعت الأطباق واتجه فارس لغرفته كالمعتاد، وانشغلت في تنظيف الأطباق لكنها سمعت صوت ارتطام شديد ظنت أن أحد الجيران أسقط شيء ما ولكن الصوت صدر من غرفة نور، ترددت تذهب وتطمئن أم تتركها فهي في النهاية مريضة في نظرها ؟، وبعد تضاربات عقلية استقرت على تركها فربما اسقطت شيء ما أم فتحت النافذة في ظل تلك الأمطار، جلست تايغيتا وهي تنظر للنافذه التي ارتطمت فجأة واسقطت سالينو من جوفها ، فلم تتعجب ربما اعتادت الأمر لكن رهبة الصوت جعلتها تمسك بفم سالينو ربما شعرت ضحى بشيء دام الوضع للحظات حتى أزاحت تايغيتا يديها فنطلق الكلام من سالينو كالخيل:

– ماذا فعلتي هناك؟ ماذا حدث

– لدي الكثير من الأسئلة علينا إيجادها معا

بدأت بروي ما حدث ليا بالتفاصيل وأوشكت عينيها وملامحها تخرج ليا من دقة الاهتمام، حتى أنهت كلماتها الأخيرة بخصوص الرجل وعبأت عيونها الدموع إلى أن ابتلعتها، ران الصمت لحظات من السكوت يكسرها حفيف

ضعيف من قطرات السماء إلى أن برقت السماء وبرق معها عقل سالينو وهي تحدقها بغرابة:

– كيف ستعرفين المميزين؟

ثار غضب "تايغيتا" فقالت:

– هذا ما يهم... أنا لعنة هذا الكوكب لعنته أنا عالقة أجهل مصيري وأجهل الحياة هنا حتى أنني لا أثق بالذين أجلس معهم في هذا المنزل..أنا أخسر كل شيء

– لما كل هذا القلق.. لا أظن أن خسارة هذا النور سيقتلك عليكِ التجربة والمجازفة عليكِ أن تفعلي لنفسك لا للآخرين وليس لهذا الكوكب فقط لتجدي نفسك

– ماذا عن هذا التشوش؟ لماذا أراهم هكذا؟ أن شيء يشبه اللوحة يعرض لي ذكرياتهم السيئة والجيدة أرى كل شيء لم يحدث هذا مع جميع الأشخاص أظن أن تلك القدرة في بدايتها لذلك أرى ذكريات بعض الأشخاص بوضوح وأشخاص آخرين تظهر تلك الذكريات بتشوش

اعتدلت سالينو في جلستها وهي تقول بروح ممحققة:

– من استطعتي رؤيته بوضوح ومن لا؟

– لا الموضوع لا يخص تلك النقطة.. عندما صببت تركيزي رأيت تلك الذكريات بوضوح شديد وعندما أشرد أراها مشوشة أو لا أراها

– سوف أرتب الموضوع حسنًا

– حسنًا

وقفت أمامها لتشرح لها ما استوعبه عقلها من هذا الكلام اتسعت عيناها وقالت بنبرة منتظمة:

– انتي تستطعين رؤية الذكريات السيئة والجيدة لي شعب كوكب الأرض.. وسوف تأخذين تلك الذكريات في قلبك مقابل أن تعطي أحد منهم نورك، وهكذا ستنحل تلك اللعنة وينتهي الأمر

– حسنًا ولكن من هم المميزين؟ ولماذا لا أستطيع رؤية ذكريات الجميع.!

صمتت "سالينو" للحظة ثم قالت:

– ربما لأن تلك القدرة في بدايتها لهذا يجب أن تتدربي جيدًا لكي تستطيعي رؤية ذكريات الجميع دون أن يظهر نور من قلبك

قالت أخر جملة بتوتر، فصعقت لها تايغيتا وهي ترفع يديها إلى مقدمة شعرها وتعود بشعرها إلى الوراء بإرتجاف، فعدلت سالينو كلامها وهي تقول:

– لا تخافي لن يستغرق منك الوقت طويلًا سوف تبدأي برؤية الذكريات رويدًا رويدًا حتى تختاري أحدًا ما تأخذي ذكرياته وسينتهي الألم

قالت بشرودها:

– لن ينتهي الألم.. أشعر وأن قلبي ينخلع عندما أرى تلك الذكريات أنها مؤلمة

– سيصبح كل شيء على ما يرام تستطعين فعلها وسينتهي وستعودين

– هل يمكن ضمان لي أنني سأعود ولن أموت؟

اقتربت منها وهي تقول:

– لا أستطيع ضمان لكي شيء ولكنني أقسم إن وصل الأمر لموتك فأنا على استعداد أن أدمر تلك المجرة وأن أقتل نفسي ولن تتأذي أنتِ

فهي دائمًا هنا لتنشر السلام بداخلها فلمعت عيناها وضمت أصابعها وفتحت إصبعها الخنصر ومدته إليها وقالت:

- وعد؟

اقتربت منها ومسكت إصبعها الخنصر بإصبعها وقالت:

- وعد

ابتسمت وأغمضت عيناه ثم تركتها، وقفت على حافة النافذة فرعدت السماء وبرقت في لمحة اختفت فيها سالينو لترجع تايغيتا لأفكارها وهي تحاول استعاب من هو الشخص الذي سوف يأخذ هذا النور؟ يجب أن تختاره بدقة ويجب أن يستحق هذه الفرصة، وضعت يديها على قلبها فهو ينبض بشدة ازدادت نبضاته بقوة فأضاء قلبها فشهقت خوفًا، وهي تضع يدها عليه فهي تهتم جدًا لأهل المنزل ولكن الأمر ازداد هذه المرة كأن قلبها يريد أن يفضحها أو يحذرها أن تلك القدرة على رؤية الذكريات وكأن قلبها يتحول وبدأ يتلوى، أصوات ضجيج تنشر من حولها كأنها تستعيد ذكريات كل الأشخاص التي رأتهم بين سيلين وطفولتها أصوات ضحك طفلة ودموع أحد ما طرد من عمله للتو وهناك من يبكي على أحواله وفرحة أحدهم، وكأنها مشاعر مضطربة بين الفرح والحزن والسعادة جميعهم يركلون قلبها من الألم لم يهدأ عقلها مع اضطراب الرعد والبرق لـتلقي بنفسها على السرير وتغوص في نوم عميق.

* * *

اعتادت الاستيقاظ مبكرًا وأعداد قهوتي ومن ثم قراءة القرآن الكريم حتى يذكر اسم الله في كل أرجاء المنزل ليرفع عنا الله هذا البلاء وبعدها استعد

لإعداد بعض من وصفات الطعام وترتيب بعض من مواعيدي هذا هو عملهي أنني أحضر طعام منزلي ويأتي إلى هنا بعض من الناس ذو المراتب الرفيعة ليشتروا هذه المخبوزات و الأطعمة لدي من يعرفوني جيدًا

سكتت تايغيتا للحظة بعد أنا سألت ضحى عن روتين يومها وبدأت بسرد لها يومها وهما يقفان فالمطبخ الذي يعبق بروائح الطعام المختلفة أزاحت تايغيتا سكوتها بعد كلام ضحى وهي تقول:

– هل يعمل فارس؟

قالت بنبرة يأسه:

– لا يعمل مازال في مرحلة العلاج

– أي علاج؟

– لقد أخبرتك.. أنه يعاني من مرض ما

– وماذا يعني هذا المرض؟

أمسكت ضحى بلجام السكينة بدأت بتقطيع الخضار في حركة سريعة وهي تقول:

– يعاني من هلاوس تخص ماضيه

فعبرت تايغيتا عن رأيها وهي تقول:

– وما أجبرك عليه؟

– لقد كان انطوائي فقط ولقد تربينا في نفس المنزل بعد وفاة والدته لم يكن لوالدته علاقات اجتماعية سوى علاقتها بوالدتي، كنا صديقان مقربان عندما كنا نسكن في القاهرة بجانبهم وكانت والدة فارس لا تتعامل مع أحد سوى والدتي فقط

– وماذا حدث بعدها؟

– لم نكن نعرف والد فارس جيدًا لم يكن مقيم مع والدته لا أحد كان يعرف أسرار هذا المنزل وما كنا نعرفه أنه كان يزورها كل فترة وفترة وعندما توفت والدته أخذته أمي لتربيته، ومن بعدها انتقالنا إلى منطقة أخرى في القاهرة لينسى فارس ما حدث له وكبرنا حتى انضممنا إلى أحد الجامعات في القاهرة وبعد الجامعة عرض فارس الزواج بي من أبي وهذا لتفادي كلام الآخرين ورد للجميل، ووافق أبي حتى لم يكن زواج عن حب فقط الحب كان من طرفي أنا .

– لماذا لم تتركيه بعد علمك بمرضه؟

– لم يكن فارس بهذا السوء كان فقط يعاني من انطوائية مفرطة وبعدها زادت عليه حالات الهلوسة ولكن بعد الزواج لم يتزوجني بقدر أنه تزوج هذا المرض، أصبح مرافقه وسبب رفضه من العديد من الوظائف

أنزلت قدر من الطعام في طنجرة ترن صوت من الذبذبات والزيت المتناثر كأنها توصف حالة ضحى..نظرت إليه تايغيتا وهي تقول:

– لماذا لم تتركيه؟

– اتركه... لقد أجبر على حبي ولكنني أحببته بصدق وكأنه كل ما لدي واثقه في قدرة الله على شفائه

– إلى متى ستنتظري؟

– إلى أن يحين الله

– كم فاتت على حالته؟

– منذ زواجنا تقريبًا سنتين ونصف

– تبدين صغيرة على هذا الهم

– عندما يعطينا الله ابتلاء لا تجزعي ولا تقولي مازالت صغيرة لقد تزوجت فارس وأنا في السادسة وعشرون من عمري عانيت معاه لعامي التاسعة وعشرون ولم أجزع ليوم واحد من يوم زفافي لهذا اليوم من تصرفاته أوغيره أنني على يقين أن الله يريدني أقوى وسيكافأني الله

– أعجب جدًا بيقينك بالله

– إن لم يكن لنا يقين بالله وأنه سيصلح كل شيء لن نعيش يومًا واحد في مواجهة الحياة.. وماذا عنك؟

ابتسمت ساخرة وهي تقول:

– كأن كل شيء خلق لكي أعاني لكي اندهس، أنني لا أستحق أي شيء سوى الألم لم أعلم ماذا تعني الحياة.. كنت فتاة منعزلة لم يجعلني أبي أرى شيء كان خوفه الشديد مبرر ولكنني عانيت من خوفه لم يكن لي سوى صديقة واحدة لقد حصلت عليها بصعوبة بالغة

قالت ضحى سريعًا قبل أن تتساقط دموعي:

– سيتغير الأسوء للأفضل

أومأت رأسي إجابًا، فغيرت ضحى مجرى الحديث وهي تقول:

– أحببت الطبخ كثيرًا كنت أساعد أمي في إعداد طبخاتها واستمريت في الطبخ وأصبح مصدر للمعيشة

ابتسمت تايغيتا وهي تقول:

– يبدوا أن هناك شيء آخر تحبيه بجانب فارس

فابتسمت ضحى التي قاطعها صوت باب فارس الذي انفتح على مصارعيه وخرج منه فارس، فالتفت رأس تايغيتا عليه حينما كانت تساعد ضحى في غسل الخضار وبمجرد رؤيتها له صب كأس من النيران على رأسها لم ترى عينها سوى شعاع قوية فتراجعت للوراء وهي تنظر لضحى فتركت تايغيتا كل شيء وركضت إلى غرفتها وأحكمت الباب تلتقط أنفاسها لماذا ظهر كل هذا فجأة وانعكس ضوء من قلبها مرة أخرى فكانت مطمئنة لكونها دخلت الغرفة قبل خروج ضوئها.. سمعت صوت فارس وهو يتعجب من تصرفها ولكن ضحى خافت وطرقت الباب لتطمئن عليها بصوتها العذب تناديها:

- نور أنتِ بخير؟

رد عليها صوت تايغيتا المرتجف:

- أنا بخير

انزلقت أنفاسها بالإضافة إلى جسدها فتاهت في نوم عميق

لم تستغرق وقت طويل لتجد يد ضحى الحنينة تيقظها وقالت بخفوت:

- لقد تركتك نائمة ولن أسألك لماذا خفتي فجأة وركضتي إلى الغرفة

شردت تايغيتا للحظة يحمل وجهها خوف فتحت ذراعيها وألقت بنفسها في حضنها تتسارع دمعتها تنخسف صراخات دموعها برعشة تركض من حضن تايغيتا إلى حضن ضحى وكأنها أم وجدت حضن ابنتها بعد رحلة فقدان طويلة مما أفزع ضحى آثار القلق في نفسها فسألته وهي تشرب من دموعها:

- ابكي إذا كان الوضع مؤلم لتلك الدرجة

أجابتها:

– أكاد أموت أقسم لكي لقد يأست.. شعور سيء أن يكرهك العالم بسب القدر

– لن تموتي نحن خلقنا لنيأس ونعود...لنبكي ونعود

– لن أعود

– تلك الجملة أيضًا نقولها في يأسنا نقول أننا لن نعود وأننا سنموت من تعبنا

– وماذا يحدث عندما نعود؟ هل سنظل نتذكر هذا الشعور؟

ابتسمت وقالت لها:

– نعم سنظل نتذكره لكنه لن يغلبنا كما كان يفعل.. سيترك جرح بسيط لن يختفي لكنه سيكون مصدر قوتنا

اتجهت للباب وابتسمت قائلة:

– اغتسلي و بللي وجهك بالماء

قالتها وهي تترك ملابس على حرف السرير، من رداء بسيط ذات ألوان فضفاضة فغمزت لها وقالت:

– ألوان غير الأسود وأتمنى تكون مناسبة

رسمت على وجهها ملامح الفرحة وهي تمسح دموعها وتقول:

– إنها جميلة للغاية.. لكنني أريد أن ألبس ملابسي هذه مجددًا

فأجبتها:

– حسنًا لن أضغط على راحتك يمكنك ارتداء هذا موقتًا لحين اغتسال ملابسك التي عليكِ أنها غير نظيفة كما أنكِ خرجتي البارحة سريعًا وعودتي للنوم بنفس الملابس لأيام

أومأت برأسها إيجابيًا، واتجهت للمغسلة وهي تمسح وجهها بالماء وتربط شعرها للوراء، فشعرت بغصة أليمة في معدتها دفعتها لتخرج ما في جوفها بتقطع يشبه السائل الأزرق شديد اللمعان فظنت أنها توجعت فلم تتحمل وأسكبت الماء عليه، ليضيع وهي تستنشق نفسها شعرت بمجرى من الراحة تسري في نفسها وكان الهدوء يداهمها للمرة الأولى وتستضيفه في حضنها، وخرجت لفارس وضحى لطاولة الطعام لكنها لم تتناول كالمعتاد فقط تدس بعض الطعام في فمها لتحسين نفسها أمامهم وتنسحب بعدها إلى غرفتها وتخرجت بعض من صخور الأوبسيديان تتناولها وتخبئها مرة أخرى

* * *

كوكب الأم العذراء

كان يراقبني بصمت وتركيز يتناول رقائق، حتى توقفت فوجدته يسألني:

– هل كانت ضحى تحبها؟

اقتربت منه وهو يواجهني، فهزمتني مشاعري وقلت له:

– كانت تتمنى أن تكون أخت لها أو حتى أم.. لم تجد أحد يحتويها مثلها وكأنها ابنتها الصغيرة

ترك طعامه واقترب مني و قال بصوت عذب:

– هل استمر هذا الروتين لفترة طويلة؟

– طالعته بانتباه وقلت:

– مر أسبوعين أو أكثر كانت دائمًا تستيقظ مع موعد استيقاظها وتبدأ بمساعدتها وهما يتبادلان الأحاديث عن حياتها وحتى أنها كانت توصف لها

شعبها وكأنهم أهل أباها السيئين وكانت هى تروى لها عن حبها لفارس الذي يظل محبوسًا في غرفته يلون برسوماته أو يخرج لتناول الطعام والدخول مرة أخرى حتى أنني أتذكر أنها حاولت اقتحام هذه الغرفة ذات مرة..

– وماذا حدث؟

– وجدت رسومات كثيرة وألوان وبعض الأبحاث عن المفقودين وكتابات تخصه لكنها هربت سريعًا حتى لا يشتعل عراك بينه وبين ضحى

– هل استمرت رؤيتها للذكريات؟

– نعم، كانت تحضر ضحى الطعام وعندما يأتي الأشخاص لأخذه كانت تعطيهم الطعام ومع كل فرد كان يمكنها رؤية ذكرياتهم جميعًا، لا تتعلق الذكريات كثيرًا بأسلوب حياتهم أو حتى شخصيتهم أنها مجرد ذكريات سيئة أو مفرحة وفي النهاية اليوم كانت تتقيأ نفس السائل الأزرق حتى أصبح الأمر شبه معتاد

قال متعجبًا:

– هل رأت ذكريات فارس؟

انقبض لساني لم أستطيع الرد أنني إن أخبرته الآن قد يتعجب من الإجابة.. كيف لي أن أخبره لم أستطيع رؤية ذكريات فارس ربما لأنني لم ألتقي به كثيرًا وربما لأنني لم أصب تركيزي عليه كنت أمرن هذه القدرة على الآخرين وهكذا كان الأمر لي في البداية فغيرت الحوار وأنا أحمسه وأقول له:

– ألا تريد أن تعرف كيف علمت ضحى بأمرها؟

فزع من كلمتي وظهر عليه التوتر برتباك ابتلع ريقه بصعوبة وكأنها قذفت عليه كتلة من النيران فتسعت حدقة عيناه وهو يقول لي:

– هيا أخبريني سريعًا...!!

كوكب الأرض

ترتشف من كوب أعشاب ساخن على النافذة تتحسس الوشاح الذي يغطي كاملها، وشاح تلتصق به ألوان الحياة على رغم بنطالها وقميصها الأسود لكن الوشاح يزينها، تعصف أفكارها كما تعصف حالة الطقس تعيش لحظات من الهدوء وهي تتذكر كيف ترى ذكريات الآخرين تلك اللحظات التي تشعر بها بألم حتى تتقيأ، فتشعر بخنجر يركض في أرجاء جسمها وعندما تستيقظ على صوت ضحى وهي تقرأ قرآن فتعد القهوة وهي تسمعها تتلو آيات كريمة والابتسامات التي تراها على وجه ضحى وهما يتبادلان الأحاديث كأنهما أم وابنتها كانت ضحى تمشط شعر تايغيتا وهي تطير لسماء حياته إنها تشبه حلم طفولتها كانت تتمنى أن تكون لها أم تفهمها كما تفهمها ضحى وها قد تحقق حلمها، على نغمات الأمطار وعلى الرضا قد عزمت نفسها، قالت ضحى بحنانها:

- يمكن أن أسألك سؤال؟

فأجابتها:

- بالطبع يمكنك ذلك

- هل ترتدي الأسود لوفاة والدك؟ أم حبًا للون؟

ابتسمت وسرحت ثم قالت متعجبة:

- الأمر متعلق بتقاليد، نحن لا نرتدي سوى الأسود

- لماذا؟

كانت تعلم الإجابة كانت تريد أن تقول لها أنها ترتدي الأسود لأن شعبها يفعلون ذلك بسب لعنتهم وأنها هي لعنتهم لكنها لم تكن لها الشجاعة الكافية لقول ذلك فكتفت بقولها:

– لقد ولدت وجدتهم يفعلون ذلك وتربيت على تقاليدهم دون سؤال

– إن كنتِ متمسكة جدًا بتقاليد لماذا هربتي؟ ربما هم فظين القلوب لكن أنتِ بمثابة ابنتهم في النهاية

– ماذا لو اعتبروكي نذير شؤم لوفاة والدك ويريدون قتلك... سوف تهربي؟ أم تنتظري موتك وأنتِ في الثامنة عشر من عمرك

صمتت ضحى لوهلة ثم قالت:

– سأهرب

فابتسمت تايغيتا وهي تقول:

– لكنني أردت أن يقتلوني

– كيف؟؟؟

– عندما قُتل أبي كنت خائفة من مواجهة الآخرين لتلك الدرجة التي كنت أظن أنني متهمة في جريمة لم أرتكبها.. لم أرى هؤلاء القوم سوى من وراء الأسوار وعندما أصبحت في مواجهة مباشرة بينهم لطلب النجاة أرادوا قتلي

– لماذا عزلك والدك بهذه الطريقة؟

– صدقيني لا أعلم، كنت أظنه خوفًا علي لأنني لم أشبهم حتى أنني ظننت أنه يريد أن أتركهم في وقت ما ولكن مع الوقت اصبح كل شيء واضح

– كيف أصبح أكثر وضوحًا؟ لقد سلب حريتك ومع ذلك أعلم شيء واحد

– ما هو؟

– ربما خاف عليكِ من الأذى وقد سيطرت عليه أنانيته ولكنك قابلتي هذا الأذى بحب

ثم قالت تايغيتا بصوت مؤلم:

– لا يمكن أن نقابل الأذى بحب

– عندما نتأذى من أشخاص نحبهم يصبح الأمر عميق للغاية لتلك الدرجة التي نخطط لقتلهم لتفادى الألم وبمجرد رؤيتهم يدوب كل هذا الألم ويبقى سؤال واحد لماذا أعطونا كل هذا الألم والكراهية؟

– أتتكلمي عنك أنتِ وفارس؟

ابتسمت وقالت:

– أشعر بالتعب الشديد سأذهب للنوم وكذلك أنتِ حاولي النوم

– حسنًا، تصبحي على خير

– تصبحين على خير وسعادة

تركتها وهي تغلق النوافذ جيدًا لتتأكد من عدم تسرب المطر إلى النوافذ ثم تركت ابتسامتها على وجه تايغيتا الذي ظل معلق على الجزء الظاهر من النافذة وتثقل عيناها للنوم بعد أن غفوت في وشاحها وضحى تغلق الباب من خلفها تمنت في جوفها أن تنجو نور من أحزانها... لم تمر سوى بضع دقائق هادئة قد شعرت بها، أن جبل جليدي قد انهار لتنفتح النافذة مرة أخرى

انتبهت لها ففتحت عيونها رويدًا لتتضح الرؤية... نظرت إليها بحب فلقد اشتاقت كثيرًا لرؤيتها فقد مر ما يقارب الأسبوعين وهي لم تراها فكانت تظن أنها انشغلت عنها، حركت قدميها ويعلو وجهها ابتسامة متسعة فركضت باتجاهها ولفت يديها حولها ودست رأسها بين أحضانها وكأنها تسد اشتياقها

بحضن منها، ظلت محتضناها للحظات حتى أبعدتها سالينو لخطوات للوراء، فوقفتا صامتتان للحظة، قبل أن تنطق تايغيتا:

– أين كنتي كل هذه الفترة؟

كان وجه سالينو يشع بؤس كأنها تلقت خبر وفاة أحدهم للتو، ابتسمت ابتسامة تشبه رد جميل، طال صمتها للحظات فأثر قلق تايغيتا التي قالت:

– سالينو هل أنتِ بخير؟

قطعت شرودها وقالت وهي تخفي حزنها:

– لا شيء فقد بعض الضغوط

– أشعر أنك تخفي شيء؟

– لا..لا أخفي عليكِ شيء أنا فقط متوترة لا أكثر

ظهرت ملامح الكذب على وجه سالينو، فستطاعت تايغيتا قراءة ذلك وهي تقول لها:

– يمكن إخباري بما حدث.. لن أحزن وأنتِ لن تستطيعي تحمل كل هذا وحدك

ابتلعت ريقها وهي تقول:

– يريدون قتلك.. الجميع هناك ثائر غاضبًا يبحثون عنك و يريدون قتلي

ثم رفعت يديها فسار سائل أزرق من معصمها، إصابة بليغة شقت معصمها، كان قلب تايغيتا يدق سريعًا فأمسكت يديها وهي خائفة من جرحها العميق، سألت تايغيتا في قلق:

– ماذا حدث؟ وكيف حدث هذا

قالت بصوت متعب:

– الجميع يعلم أنني هربتك يظنوا أني خائنة للكوكب حتى عائلتي لم يغفروا لي

بدأت تايغيتا بالبكاء وهي تشق قماشه بالية كانت تغطي بعض الأشياء القديمة في الغرفة وتمسح على جرح سالينو، ولكن أوقفتها سالينو وأخرجت ما يشبه الحجر الملون وبدأت تمسح به على الجرح ليختفي قبل أن تربطه تايغيتا جيدًا بالقماشة، وقالت:

– أنا آسفه للغاية فكل ما يحدث الآن بسببي فقط

– هل توقفتي عن هذا الهراء وأخبرتني ماذا ستفعلين بشأن انقاذ الكوكب... هذا الشيء وما يخص الذكريات؟

– أظن أنني بدأت بالتحكم في هذه القدرة جيدًا

قالت وهي سعيدة:

– أنني أستطيع رؤية الكثير من الذكريات

– هل اتفقتي على شخص ما لينهي هذه المهمة؟

– نعم، أظن أن ضحى تحتاج نوري في حياتها

صمتت لحظة ثم قالت:

– مازالت هناك حلقة مفقودة

فقالت متعجبة:

– وما هي؟

– لا أستطيع رؤية ذكريات فارس

– لماذا؟

– لا أعلم ربما هناك حاجز قوي على ذكرياته

- أتظني أنهم من المميزين؟
- لا لا ستصبح كارثة حقيقية أن كان يجب علي اعطاء نوري لأحد من هؤلاء الذين لا أستطيع رؤية ذكرياتهم
- أخاف أن تكون تلك الحقيقه ومع ذلك حاولي في أقرب وقت مع ضحى ربما ينتهي الأمر
- حسنًا سأفعل ذلك

نهضت واحتضنتها وودعتها قبل أن تقذف بنفسها مع صاعقة، ظل يخفق قلبها خفقًا وسارت في جسدها قشعريرة تهزر خوفًا فقالت لنفسها:

- سيصبح كل شيء على ما يرام، ثقي بالله

لم تتحمل أن ترى ما يحدث حولها فهي الآن منبوذة وتدفع ثمن أخطاء ليست أخطائها، كان داخلها مضطربًا إلى أن فلت زمام قلبها وأضاء وهذه المرة كان قويًا وكأنه يكفي ليضئ مدينة وثقل النور بداخلها وكأنها تحمل

قطعة كبيرة لا تستطيع إخراجها بأنفاسها المتسرعة، شعرت بغضب يتمالك بداخلها على عكس روحها الهادئة فوجدت نفسها تمسك بكوب الماء المجاور لسريريها وتلقى به على الأرض، تتناثر قطع الزجاج، أغمضت عيونها حتى تهدأ ربما يهدأ قلبها وكان الخطأ أنها لم تدرك أن كوب من الماء لإفراغ الغضب كافي بثوران بركان آخر، تتعلى الأصوات وتتعلى معها إضاءة قلبها ليفتح باب الغرفة فجأة.!! ليتوقف الوقت وتصمت كل شيء إلا ضحى التي لم تتحمل ما تراه قذفت الأفكارعليها ودارت عيناه لتهوي ساقطة

* * *

كوكب الأم العذراء

اسقط الطعام من فم نوح من شدة صدمته وامتلئت عيونه رهبة، وقال:

– هل حدث هذا حقًا..؟

ضحكت بلطافة ضحكة حقيقية بعد ما صدر من نوح لقد أفرحني حقًا فقلت:

– يمكنني انهاء القصة إذا أرادت

– لا.. لا آسف لقد انصدمت فقط

– حتى أنا انصدمت

– هل لي بسؤال؟

فأومأت رأسي إيجابًا، فنطق وهو ينظر إلي:

– لقد أظهرت ضحى ردة فعلها.. ولكن كيف كان شعورها؟

فقلت ببرود:

– لاأظن أنها شعرت بشيء وكأنها عاصفة من الخوف والفزع.. هل تصدقني إن قلت لك أنها شعرت بشيء من السعادة

ابتسم لي بتعجب وهو يقول:

– كيف؟

– شعرت أن أحد ما سوف يسمعها ويساعدها من البشرية وأن أحدهم رأها على حقيقتها

فقال لي بنبرة نادمة:

– لقد مرت تلك البطلة بالكثير

فقلت:

– إن لم نجازف لنجد أنفسنا بين صراعات الحياة فنحن لا نستحق المكافأة

اقتربت منه وقلت:

– وأنت مكافأتي

غير ملامح وجهه الحزينة إلى ملامح فرحة سريعًا وهو يقول:

– ألن تكملي؟ لقد تحمست حقًا

فقلت باسمة:

– لا تتعجل في معرفة حياة أحدهم فالنهايات لا تكن سعيدة

فنطق لي بلهفة:

– حسنًا.. اكملي

كوكب الأرض

جلست تايغيتا بجوارها لحين أن تستعيد وعيها وتفكر فيما حدث وما رأته ضحى وماذا رأت تحديدًا وبقى عقلها شاردًا... بدأت تفتح عينها تدريجيًا وفجأة أصابها فزع شديد لرؤيتي بجوارها ففتحت عينيها وتنفست الصعداء..

نظرت إلي في رهبة وتوجس وكأنها تستعد لهروبها مني تنظر إلى الأشياء من حولها وكأنها تتاكد أنها ليست خيال وأن ما حدث حقيقي رأته حقًا فقالت "تايغيتا"وهي تستعيد رباطة جأشها:

– أنا آسفه.. أستطيع توضيح كل شيء وأقسم لكي أنني سأقول الصدق

نظرت إليها بقلة ثقة وهي تقول:

– هل أنتِ بشرية؟

أسرعت نحوها وجثت على ركبتيها بجوارها وأمسكت راحة يديها كي تلمسها وتتأكد من وجودها فقالت "تايغيتا"في ألم:

– أنا لست بشرية

فسحبت ضحى يدها سريعًا كمن وضع يديه في ماء ساخن وهي تقول بعصبية:

– إذا ماذا أنتِ وماذا تريدين؟

– أنا لا أريد شيء.. ولا أعرف من أنا.. ولكنني سأخبرك بكل ما أعرفه

تابعت وهي ترتشف دموعها:

– هناك كواكب أخرى في مجرتنا.. هل آمنتي بهذا من قبل؟

– بالطبع

– هل تتذكريهم؟

نظرت متفاجأة، وقالت:

– عطارد.. الزهرة.. الأرض.. المريخ.. المشترى.. زحل.. أورانس.. نبتون.. بلوتو..

– هل بلوتو من المجموعة الشمسية الأرضية؟

– لا إنه كوكب قزم

أضافت باهتمام:

– بين المشترى وزحل يوجد كوكب آخر قزم يدعي "سيريس" هو أكبر الكويكبات وأكبر كوكب قزم وهو كوكبًا المظلم.. انظري إلى جميع الكواكب

أتظنيها فارغة..!!! لكل كوكب شعب ولكل منهم هيئة مختلف ولكننا لسنا فضائين.. نحن شعوب آخر

فسألتني قائلة:

– هل أنتِ تنتمي لشعب كوكب سيريس

هزت رأسها إيجابًا وكأنها متهم يريد توضيح برائته،فقالت:

– نعم نحن شعب كوكب سيريس.. لقد بدأ كوكبنا بالنجوم

– النجوم؟

– النجوم ليست كما ترونها إنها بيوت للنجم مثل ما تجلسي في منزل في نجم سهيل ينتمي للنجم سهيل الذي يعيش على كويكب يدعي نجم

تاهت منها للحظات وهي تسألها:

– أتقصدين أن النجم يعيش عليه صاحب النجم

فأجابتها:

– نعم هذا ما أعنيه... تنقسم النجوم.. جنيات النجوم إن وظيفتها الاستماع إلى الأمنيات ولا تستطيع تحقيق الأمنيات إلا للقلوب الصادقة من شعوب الكواكب ولا أظن أن هذا يشمل كوكبك

فأردفت ضحى قائلة وماذا أيضًا، صمتت تايغيتا للحظة ثم قالت:

– هناك أيضًا النجوم الروحية.. أنها نجوم مؤهلة لحماية الكواكب من الصراعات وحل المشاكل وأخيرًا نجوم الأبراج، أنها الأسوء والأقوى يقال أن تلك النجوم كانت متفرقة وأن بطريقة ما وتحت تأثيرعهد ما..استطعت تلك النجوم أن تتجمع في شكل ما حقيقي واستخدموا بعض من الأشكال

البشرية دليل على قوتها وعندما نجحت استطاعوا إحياء كوكب سيريس من النهر السرمدي

فتعجبت قائلة:

- كيف؟

فقالت:

- عندما نجح العهد أو ما شبه على كوكب سيريس.. يقال أنهم أقاموا العهد مقابل قلب نجمة وهناك استيقظ النهر وحمل على سريانه أول طفل لكوكبنا

فقالت ضحى باستغراب:

- وماذا حدث بعدها؟

فأردفت قائلة:

- لقد أجبرنا على هذا أن نحمل نور النجوم من قلوبنا وأن نأتي من رحم النهر السرمدي وأن يختار أهلنا بالنجوم.. فكلما اجتمع نجمان تحت نجم واحد يصبحوا أهله إجبارًا

قالت ضحى:

وما الفائدة؟

فقالت تايغيتا:

- إننا نحمل نور نجومهم وعندما نموت يورث نورنا لطفل آخر وهذا سيضمن لهم البقاء الدائم عن طريقنا وعن طريق قلوبنا، فالقلوب تتوارث بنورها

فصاحت غاضبة:

- لكن هذه ظلم وسلب لحريتكم

فقلت بنبرة هادئة:

– هذا قبل مجيئي للكوكب وأنا حقًا لا أعلم ولكن كوكبنا أتلعن بسب وجودي وفقد الجميع نور قلوبهم، ولقد أعتدت البقاء في منزلي لثمانية عشرعام وما أفعله سوا التسلل إلى النهر السرمدي في اليوم والمقدس ورؤية كل شيء مع بعض الحكايات التي ترويها لي صديقتي سالينو وعندما انكشف أمرى لم أكن أعلم أنني لعنة فقط ظننت أني مختلفة عنهم ولهذا يجب الابتعاد وهذا ما أخبرني به أبي قبل قتله

فقالت ضحى بنبرة باردة:

– حاولتي الهروب عندما انكشف أمرك وقتل والدك

– فأردفت قائلة:

– لقد كانوا يلاحقوني بعد أن ظهرت أمامهم أرادوا قتلي ولهذا ألقيت بنفسي في النهر، والنهر هو معبرنا أيضًا للكواكب الأخرى وينفذ حكم الإعدام عن طريق.

إلقاءه في النهر لينتهي به الأمر في أحد الثقوب السوداء

ظلت عيناها محدقة في تايغيتا وكأنها تريد أن تعلم الكثير ولكن شيء ما يحجبها وكأنها تائه تريد أن تسألها وتتعمق أكثر ولكنها خائفة وبدت علامات التعجب... فاقتربت منها تايغيتا وقالت بلطف:

– أنا هنا لمساعدتك أقسم لكي

فقالت ضحى بدهشة:

– كيف؟

صمتت تايغيتا للمحة وقالت:

– يمكنني كسر تلك اللعنة التي تسببت بتلك الفوضى... وستكون الفوضى بداخلي أنا

فأردفت قائلة:

– أستطيع رؤية ذكرياتكم السيئة والجيدة وأستطيع الشعور بنفس الفرحة والحزن التي شعرنا بها

تلاشى الانبهار من وجهها وهي تقول:

– كيف ستساعديني؟

فأجابتها:

– أستطيع امتصاص ذكريات السيئة والحسنة وعندما تتذكريها لن تؤلمك مجددًا

– ماذا؟؟

– أقسم أنني أستطيع فعل هذا وهكذا سأخسر نور قلبي وتنتهي اللعنة

– وماذا عنك؟

– لا أعلم ماذا ستكون حياتي بعدها.. ولكن ما أعلمه جيدًا أنني لن أعيش في كوكبي مرة أخرى

– ما اسمك الحقيقي؟

– تايغيتا..أحد نجوم السماء..وأنتمي لتشكيل نجم الثور

أرادت أن تخفف عنها فأخذت يديها بين راحة يديها وقالت بحنان مازحة:

– هل برج الثور هو ثور حقًا تستطعين رؤيته؟

فضحكت وقالت:

– للأسف أنهم ذات أشكال مرعبة حقًا

فأردفت قائلة بابتسامة:

– وماذا عن اللغة العربية؟

فابتسمت وقالت:

– لقد علمني أبي العديد من اللغات جميعها تندرج للكواكب وحتى أنه أهداني كتب مميزة للغة العربية ولغات كواكب أخرى ولكن لغتنا بعيدة عن اللغة العربية لهذا أخترتها أنا وصديقتي سالينو لتكون رموز بيننا ولكن أنا حقًا أسمعكم تتكلمون باللغة العربية حتى لو تكلمتم العامية

– لماذا؟

– لا أعلم ربما شيء مميز أو ميزة ما

سكتت ونظرت إليها وكانت اللحظات تنفذ إلى أن قالت ضحى:

– لدي سؤال، هل قلوبكم تحمل نور نجوم الأبراج فقط؟

فأجبتها:

– لا، أننا نحمل جميع نجوم السماء ونسمى بأسمائهم أيضًا

فقالت:

– إذا كان الأمر يساعد نجوم الأبراج فقط فلماذا تساعدوا نجوم السماء بأكملها؟

– عندما تصنعي خير لنفسك لا تستطيعي أن تخبري الآخرين أنه لكي فقط لأنهم سيعترضون وبشدة ولهذا نجوم الأبراج فرضت علينا جميع النجوم كي لا تحدث ضوضاء، وأما للإستفاده فهم يستفدون للغاية فيكفي سلطتهم

التقت أنفاسها وعدلت من جلستها وهى تشرد في ملامح تايغيتا التي شكت في أصلها من أول يوم، ولكنها كانت تبدو كشعلة مضيئة جاءت لتنير حياتها فسكت ثم قالت:

– أنتي ستساعديني وأنا سأساعدك

فأجابتها تايغيتا:

– وأنا جاهزة أن أسحب كل ذكرياتك

وقبل أن تضع يديها على قلبها، أمسكت ضحى يديها وقالت:

– إذا أردتي فعلًا مساعدتي فلا تأخذي ذكرياتي

فتعجبت تايغيتا حتى قالت ضحى:

– ستأخذين ذكريات "فارس"

كان يبدوا الأمر غريبًا في بدايته، فكيف استطاعت ضحى أن تفكر في فارس الذي لا يلقي عليها السلام إلا على طاولة الطعام ولكن هي تحفظه في قلبها ولا تمل أبدًا من المحاولة في شفائه، فيقابل الجفاء كل هذا المقدار من الحب وتقابل القسوة نهرًا جارًا من اللين والود، ظل عقلها معلق عند إجابة ضحى فقالت بعد هنيهة من الصمت:

– حسنًا، سأساعده وسأحاول أن أمتلك ذكرياته كي ينسى هذا الألم

فقالت ضحى بسعادة:

– شكرًا..شكرًا..شكرًا من قلبي

أصتنعت تايغيتا الفرحة وقالت:

– لكنني مازالت أجهل الطريقه؟ أظن أنني يجب أن أصب طاقتي ونوري عليه جيدًا لأرى ذكرياته

فقالت ضحى:

– إذا لنحاول غدًا فعل ذلك إن شاء الله

وقبل أن تنهض وتتجه للباب وقفت تايغيتا أمامها فجأة..! ثم أغمضت عيناها وقشعر جسدها إلى أن انبثق نورًا قويًا من قلبها وتلونت خصلات شعرها للون إشعاع الشمس وتبدلت للمعة في ألوان عيونها لتظهر بوضوح..!! رأتها ضحى بعيناها التي سيشهد ذلك في ذاكرتها، ظلت صامتة للحظات وكأنها تريد أن تتمعن في ضوء قلبها الظاهر.... ثم توقفت تايغيتا ورجعت لطبيعتها وحضنت ضحى بلا مقدمات وهمست وهي تقول:

– أردت أن أريكِ طبيعتي الحقيقية

فستمر حضنها إلى أن انطلقت ضحى إلى غرفتها وهي صامتة بمزيج من الخوف والسعادة قبل أن تغمض وتنام

* * *

كوكب الأم العذراء

نهض نوح أمامي فجأة وعبس وجهه وحمل طبقة وهو يقول بنبرة مرتفعة:

– أرادت أن تنقذي فارس

فأجابته باسمة:

– كانت تظن ضحى أنها هي وفارس حياة واحدة وكانت تستطيع أن تحمل ذكرياتها بألمها ولكن ينتهي ألم فارس

– ألا تظني أنها أحبته بمبالغة؟

فقلت له باسمة:

– ماذا لو عرضوا عليك اختياران، الأول أن تعيش معي في هذا الكوكب طوال حياتك وحتى لو تعرضت للخطر، والثاني أن تحظى بحياة أخرى آمنة ولكن مع أشخاص آخرين ماذا ستختار؟

لم يمهل نفسه للتفكير وقال سريعًا:

– حياة معك مع كل الصعوبات

لقد اسعدتني كثيرًا إجابته وكأنني أملك كنزًا ما للتو،فأضافت له:

– أننا نحب أن نعيش مع نحبهم ونختارهم ونأثرهم على أنفسنا، كان لضحى فرصة أن تنسى فارس وتمضي قدمًا ولكنها اختارت من أحبته وتعهدت بحفظه

فنظر إلي وهو يقول:

– هل استطاعت أن تأخذ ذكريات فارس؟ ماذا حدث؟وكيف تم الأمر

تابع:

– ...هل استطاعت تايغيتا فعل ذلك؟

– لم تستطيع

نظر إلي ببلاهة، ثم قلت:

– حسنًا سأكمل لك ماحدث في اليوم التالي

كوكب الأرض

استيقظت تايغيتا على لمسات ضحى وهي تعلن لها حضور الصباح بهمسات لطيفة، فاستيقظت تايغيتا على صوت ضحى العذب الذي تحتله نبرة أم، نهضت تايغيتا والشمس تداعب وجهها وتلتف حول خصلات شعرها،

استعادت وعيها فوجدت ضحى تقول لها:

- صباح الخير

فأجابتها:

- صباح الخير

أرتد على ملامح ضحى أنها تريد أن تتكلم معها فيما حدث البارحة وبشأن اتفاقهم ولكنها كانت متوترة ولا تستطيع تجاهل الأمر، فأرادت تايغيتا أن تنهي هذا التوتر فقالت:

- لا تقلقي سأحاول أن أنهي هذا الأمر اليوم...أعلم ماذا أفعل

- حقًا؟

- نعم يجب أن أسلط ضوء قلبي جيدًا.. لم أغفو ليلًا وتابعت البحث في عقلي ورتبت الأمور لا تخافي

تنهدت وأومأت رأسها إيجابًا وذهبت..نهضت تايغيتا واتجهت إلى المغسلة وظلت واقفة صامتة لدقائق فهي ستؤدي مهمة كبيرة وسينتهي دورها وأخيرًا ولكنها ظنت ذلك، قبل أن تتجه لطاولة الطعام الذي وضع عليها البيض المقلي وجميع أنواع الجبن مع كوبين من الشاي لتدفئة برد الشتاء، جلست وهي تنظر لفارس بتمعن للمرة الأولى وكانت قطرات من العرق تتزحلق على جبينه تلامس يديه شعره ليغادر شعره للخلف بحركة خفيفة منه، كلما رأت شعره تذكرت شعر سالينو ولكن شعره شديد السواد على عكس شعر سالينو الأبيض، كسرت ضحى زجاج مقارنتها وأفكارها وهي تزيح طبق ما باتجاهها لتعطيها إشارة، سحبت نفس عميق وحركت قزحية عيناها باتجاهها وسحبت نفس آخر وحركت رقبتها باتجاهها وهي تسرق لمحة بسيطة من

وجه ضحى الذي سحب منه الدم وركزت على وجه فارس الذي انكب على طعامه، سحبت نفس لأخر مرة ووضعت يديها على قلبها فأضاء بشدة، فالتف فارس سريعًا إلى الضوء المشع وسحب نفس في نفس الوقت وكأن روحه تكاد تخرج، اهتز جسده بقوة وأغمض عيناه بقوة ثم صرخ وسقط فجأة..!!، ظلت عيون تايغيتا على جسد فارس الملقى على الأرض وضحى تسارع لمساعدته قبل أن تسقط تايغيتا بجانبه من هول الصدمة..، مرت لحظات ثقيلة وهي تساعد ضحى في وضع فارس على سريره قبل أن تغلق ضحى باب غرفته وتسألها بحزم:

– ماذا حدث؟ وماذا رأيتي؟ لما حدث هذا..؟؟؟؟

قالت باضطراب:

– لم أرى شيء

فقالت بدهشة:

– كيف؟؟ لماذا لم تري ذكرياته؟

قالت خائفة وهي تعيد شعرها للوراء:

– لا أعلم..شعرت بشيء قوى يقبض على نفسي ولم أستطيع رؤية شيء

– هل رأيتي ذكريات فارس من قبل؟

– لا.. كانوا يتكلمون عن المميزين وأظن أنه منهم

قالت بصوت تهدئ تايغيتا:

– حسنًا..اذهبي لغرفتك واهدئي

فنظرت لها وقالت:

– لن أيأس...سأستدعي سالينو

– حسنًا..افعلي ما تردين وعندما يستيقظ فارس سأخبره أنها مجرد نوبة
تحركت إلى غرفتها وأغلقت غرفتها وبدأت بربط الأحداث في محاولة يأسه وتقول لنفسها:
ربما فارس من المميزين ولهذا لا أستطيع عبور ذكرياته؟ لماذا أستطيع رؤية الذكريات ببساطة وهو لا؟ هل هو حالة فريدة؟ هل هناك المزيد منه؟.. ذابت من أفكارها إلى أن تمت الساعه الثامنه فنتبهت وتحركت سريعًا إلى النافذة وهي تفتح النافذة الخشبية المتأصله في جميع البيوت وكأنها تراث، ورفعت رأسها للسماء وقالت بصوت يمزقه البكاء:
– أريد سالينو
قبل أن تلتف رعدت السماء وبرقت بصاعقة تكاد تشقق غيومها محتضنة الأمطار وهبطت سالينو من خلفها، احتضنتها تايغيتا وهي تحمل فشلها على عتقيها، هدأتها سالينو كان وجهها معبئ بأخبار جديدة، فقالت تايغيتا بصوت مهدوم:
– لقد فشلت، حاولت إنقاذ فارس وفشلت
فتح باب الغرفة فجأة..! تصلبت ضحى وهي ترى سالينو لأول مرة بعيونها الضبابية المنقطة بنقطة سوداء، واقفة كالقصر الثابت ببنطالها الأسود وقميصها الأسود وهي تفرك يديها في الخصلات البيضاء المتبقية في شعرها، تراجعت سالينو، فقالت تايغيتا:
– ضحى تعلم كل شيء لا تخافي
لاحت نظرة العتاب في ملامح سالينو لتايغيتا فهي لا تحب أن تفشي الأسرار فقالت بغضب:

- الوضع أصعب مما نظن

فنطقت ضحى بخوف:

- ماذا؟

صمتت سالينو وأغمضت عيونها بشدة وسحبت نفس طويل فرعدت السماء، هذه المرة أضاء ضوئها في وجه ضحى وتايغيتا وسالينو فحجبوا الضوء بأيديهم قبل أن يهدأ الضوء وتظهر هيئته، في نفس هيئة سالينو ولكن شعره حاد السواد بوقفة صلبة ووجه رجولي ذوعينان ظالمتان، قالت بصوت خافت بعد أن دققت عيناها:

- سهيل؟

التفت لها ضحى وهي تقول:

- من سهيل؟

- أنه شقيق سالينو

ظلت سالينو مندهشة وواقفه مكانها لا تتحرك وصاحت بذهول:

- كيف جئت؟؟

فأجابها بصوت حازم:

- لقد اتبعتك، كان علي حمايتك ومعرفة ماذا يجري

- لا ليس عليك هذا، كنت سأحل كل شيء بنفسي

- ستقام حرب ولن يرحموا تايغيتا قبل أن يقتلوه

- لن أسمح بهذا

- ومن أنتِ كي لا تسمحي؟

- أتظن أنك جدير بالثقة

صاحت تايغيتا قائلة:

– توقفا..

صمتا لهنيهة ثم قالت بلغتهم السيريسيه:

– لماذا جئت يا سهيل؟

– على مساعدتك

– لماذا؟ ألست فردًا من هذا الكوكب؟ ألست ملعون مثلهم

صاح غاضبًا:

– نعم أنا كذلك..لكنني لن أخسر أختي

طالعتهما ((ضحى)) وكانت تشعر بأن الأمور تتعقد وبدأ يتكلما لغتهما الغريبة، فخافت وقالت موجها كلامها لسهيل فترجمته سالينو وقالت:

– تقول لك كيف ستساعدنا؟

– يجب أن أسمع كل شيء ربما لدي شيء لإقاف تلك اللعنة

فصاحت تايغيتا بغضب:

– أتظن أننا نجهل الطريقة، لدي قدرة لإيقاف كل هذا لدي قدرة إنني أرى ذكريات شعب هذا الكوكب يمكنني رؤية ذكريات الجميع إلا بعضهم

صدم وجهه وقال:

– هل تستطعين رؤية ذكرياتهم؟

– نعم أستطيع

رجفت يديه وقال:

– هل تعلمين من لديه هذه القدرة؟

تعجبت قائلة:

- من؟

فصاح قائلًا:

- النهر السرمدي..!!!!

صاحت تايغيتا وسالينو بصوت موحد:

- ماذا؟؟؟

صمت هنيهة ثم قال:

- لقد قرأت أحد الكتب التي يمنع قرأتها وكانت تتحدث عن النهر السرمدي وتقول أنه يحفظ جميع الذكريات ولكن نجمة واحدة لم يستطيع الاحتفاظ بذكرياتها

قالت تايغيتا بنبرة حادة:

- من هذه النجمة؟

قال بيأس:

- عندما وصلت للجزء الخاص بهذه النجمة وجدت أن مزقت الصحيفة وبقيت جملة واحدة موجودة كتبت خط عريض في بداية الصحيفة

- ماهي الجمله؟

قطعت ضحى حديثهم وهي تقول بعصبية:

- هل يمكن لأحد أن يفهمني لغتكم؟ أريد مترجم حالًا

تجاهلت ضحى وتابعت قائلة لسهيل:

- ما هي الجملة؟

- قال:

– لقد كتبت وكانت تقول "إن الذين يعانون من ذكريات أليمة غلبت ذكرياته الجيدة لا يستطع أحد رؤية ذكرياتهم، ذكريات الألم يعاني منها حاملها فحسب"

نزلت جملتها كالصاعقة، فقال موضحًا كلامه:

– لن تستطيع رؤية ذكريات فارس لأن ذكرياته المؤلمة أقوى

فقالت:

– يجب أن أحرر أحد المميزين هكذا أخبرتني النجوم الأبراج

قال:

– وماذا سيحدث بعد ذلك؟

– أعتقد أنني سأخسر نوري وتتحرر اللعنة

صاحت ضحى قائلة:

– أحد ما يفهمني

رويت لضحى ما أخبرني به سهيل وظللنا واقفين في دائرة محتارين قبل أن يقول سهيل بنبرة منتصرة:

– وجدتها..وجدت فكرة!!!

قطعت شرودي ونظرت إليه أنا وسالينو بنظرات متبادلة على عكس ضحى التي لم تفهم لغتنا السيريسية وظلت تنتظر ترجمتي، فقال سهيل:

– يمكن أن تحلي مشكلة ذكرياته

فقالت:

– كيف؟

فقال بحماس:

– إذا كان لديك نفس قدرة النهر السرمدي إذا تستطيعي أن تحلي مشكلته، مما يعاني؟

فقالت:

– يعاني من فقدان أخته ويغرق في هلاوس

فتابع قائلًا:

– يمكن معرفة مكان أخته وأين هي الآن

فاستهزئت سالينو قائلة:

– يجب أن تبحث عن ذكريات بنت في وسط كوكب كامل لم أكن أعلم أنك بهذا الذكاء

قبل ان يستعد للرد على سالينو وخربشتها قاطعته تايغيتا وصاحت:

– سهيل أوضح حديثك

فتابع قائلًا:

– كان هناك قصة مريبة في الكتاب الذي قرأته، تقول أن عندما يولد طفل من النهر السرمدي كان يرى النهر جميع ذكريات الطفل منذ لحظة قدومه، يقال أن أحد الملوك ولد طفله في اليوم المقدس وعندما عاد به لم يمر وقت حتى قتل هذا الملك وعجز الجميع عن معرفة ما حدث قبل

قبل أن يتجه أحد المنجمين لمكان القصر اتجه للنهر السرمدي وترجاه أن يرى ما حدث بين جدران القصر وبالفعل حدث هذا ورأى ذلك ولكنه ظل يعاني لفترة بهلاوس أدت لموته

فقالت له:

– إذا ماذا يجب أن أفعل؟

فقال:

– اذهبي لمكان الحادثة وأين ترك أخته وحاولي تذكر ما حمل هذا المكان من ذكريات

سندت ضحى وجهها بيديها في حالة ميؤس منها وقالت:

– لماذا أشعر أنني منبوذة

نظرت لسالينو وقالت لها بنبرة غامضة:

– اشرحي لضحى ما يحدث

أمسكت سالينو ضحى وأخذتها بعيد قليلًا عن سهيل لتشرح لها ما بدأت أشرح لسهيل بالتفاصيل ما حدث معي وكيف يمكنها مساعدتي إلى أن قطعتنا ضحى وقالت بتوتر:

– هل هذا سيؤثر عليكِ؟

نظرت إلى سهيل وتذكرت كلماته وهو يقول لها "نسبه نجاتك وعودتك ضعيف للغاية" فصمت وهي تقول لضحى بسلام:

– لقد أخبرتيني أن لا أقلق أبدًا

فضمتها ضحى إلى صدرها وعقلها يعتصر بين أحضانها، كأم تحضن ابنتها هكذا شعرت ضحى لترحب بعض من دموعها الثمينة وهى مستسلمه، تمالكت تايغيتا نفسها وانسحبت والتفت إلى سالينو التي انسحبت هي الأخرى بينما ظلت عيون سهيل معلقة قبل أن تسحبه سالينو ويتنهي وجوده بضوء برق، وقفت ضحى أمامي وقال:

– كيف يذهبون في رعدة البرق؟

ابتسمت وشعرت أنها تريد تشتيت الموضوع كي لا تخاف، فقالت لها:

– لدينا معابر كثير لكوكبنا منها الرعد والبرق، عندما تحقق نجوم الأمنيات لنا يأخذونا في صاعقة برق، عندما كنت صغيرة وأرى صاعقة برق كنت أعلم أن أمنية أحدهم قد تحققت وأنه ذهب لكوكب آخر بأمان

قالت بغرابة:

– وماذا عن الأنهار؟ أليست معبر؟

– لا، ليست معبر آمن عندما يلقون بأحدهم في نهر هذا يعني أنه سيفنى، يتنهي الأمر بطرقتين يا أما الوصول لكوكب آخر كآسير أو ثقب أسود

ثم قاطعتها قبل أن تسأل وقالت:

– لا أحد يذهب لكوكب الأرض

فركت فروت رأسها ببطئ، دق الباب دقات متكررة فأنطلقنا اتجاه الباب، فتحته ووجدت سيلين بوجهها بنبرة متوترة قالت:

– أين فارس؟

أشارت ضحى لغرفة فارس فانطلقت سيلين لها وهي تفتح الباب بهدوء، وجدته منهلك في نوم عميق كأنه لم ينام منذ سنوات، أغلقت الباب وسحبت ضحى بعيدًا عني وبدأت بطرح الأسئلة عن ما حدث، تجاوزت ضحى جميع الأسئلة لتظهر أنها مجرد نوبة هلوسة قوية وبالفعل صدقت سيلين رواية ضحى، نصحتها ببعض الأدوية قبل أن تنصرف وتحدد الغد كموعد لتطمئن على فارس وانصرفت، جلسنا أنا وضحى في بهو البيت على أريكة بنية فاتحة اللون تتولى نص البهو قبل أن يفصلها تلفاز منطفئ كانطفاء روح البيت يرتفع عن التلفاز لوحة سوداء كتبت باللون الذهبي تبدوا مزخرفة للغاية تنتهي بكلمة نور وهو اسمها المزيف، تنفضح الستائر البنية الغامقة على مصرعيها

لتنير ظلمة الليل بقطرات المطر المتناغمة، تجلس هي وضحى على بساط أرجواني أمامه مدفأة يتخبأن تحت وشاح عريض يحتوهما يجلس بجانبهم كوبين من الشاي الساخن، فالشتاء هنا قاسي مثل قسوة فرعون

في تلك اللحظة ضحكت ضحى دون سابق إنذار وهي تقول:

– كانت تظن سيلين أنك مريضة نفسيًا لذلك أرادت أن تجري أبحاث عنك

فتابعت قائلة:

– لم أظن أن تكوني فضائية

قالت:

– لست فضائية، نحن شعوب وقبائل، نحن مثلكم تمامًا لكن إلا أننا نختلف في الشكل

– من الممتع وجود عوالم أخرى

صمتت ثم قالت بشرود:

– لقد إشتقت لأبي..!!

نظرت لها بدموع وقالت:

– حتى أنا

– لماذا؟

– عندما تزوجت من فارس لم تمر فترة طويلة وتوفى والدي وبقيت أمي وأخي "تميم"

– ألديك أخ؟

– نعم لدي، لكنه لا يعرفني جيدًا لقد انضم لمنحة جامعة في دولة أخرى

– وماذا حدث بعد ذلك؟

تابعت بدموع:

– أصيبت أمي بمرض خطير يدعي "السرطان" لذلك أرادت علاج خارجي، لقد أخذها أخي بعد فترة للعلاج

فقالت لها بفضول:

– كم عمر أخك؟

– أنه في بداية الثلاثين يكبر سيلين بشهور

– هل تتواصلين معه؟

– نعم نتواصل باستمرار لكننا لسنا على وفاق هذه الفترة

فقالت لها بفضول عميق:

– لماذا؟

– يريد أن يأخذني أمريكا ويبعدني من فارس

– كيف؟

– أن أخي من النوع العملي لا يهتم كثيرًا للمشاعر والعواطف فهو جاف المشاعر وحاد الطباع ويظن أنه يريد تخلصي من فارس ومرضه

مالت على كتفها، فلفت ضحى يديها لتضم تايغيتا، وعيونها لامعة بدموع، نظرت تايغيتا لعينيها وقالت بحنان:

– سأتم هذه المهمة كي أثبت لتميم أن فارس سيصبح بخير

فقالت ضحى بجدية:

– سوف أنقلك غدًا لبيت فارس القديم

– هل يقع في منطقة بعيدة؟

فأجابتها:

– لا ليست منطقة بعيدة للغاية، لكن لماذا؟

فأجابتها:

– أنني قد أرى الكثير من الذكريات وهذا يؤلمني حقًا

– لا تقلقي ولا تخافي أنا معك

– هل وثقتي بي حقًا؟

صمتت لوهة وقالت:

– أنا أثق بأي طرف أمل يساعد فارس

قالت بنبرة رجاء:

– هل يمكن أن تتركيني هناك وحدي في هذا المنزل؟

بانت على ضحى ملامح الرفض وقالت بنبرة حادة:

– لا يمكن أن أترك.. البيت قابل للانهيار لقد أفرغ جميع سكانها منذ أن تركنه وهو هالك ولا يسكنه أحد وخلاف على ذلك سوف تعانين لو حدث شيء لكي أمسكت يديها وهي تقول بلطافة:

– لن أستطيع التركيز وسوف اتشتت، أقسم لكي إن حدث شيء سوف أطلب المساعدة فورًا

* * *

كوكب الأم العذراء

جلس في حضني بعد أن انتهى من طعامه، رأيت في عيونه نظرات الملل فطلبت منه أن نجلس بالخارج ربما يشعر بتحسن، تمشينا سويًا ولم تكن مسافة طويلة بين البيت والبحر فاليابسة بينهما لا تكاد تقاس، بينما يزخرف البحر

الأسود بأمواجه الهادئة وعلى ضيافة الليل،مددنا أقدامنا إلى البحر حتى نطق نوح قائلًا:

– هل ذهبت إلى هناك؟

قلت بابتسامة:

– لقد ذهبت هي وضحى

شعرت لأول مرة أن نوح خائف من شيء ما، فقلت لها ردًا على ملامحه العابسة:

– ما بك؟

تغيرت تعبير وجه لخوف عليا وهو يقول:

– كيف شعرت؟ وماذا رأت؟..لم يكن سهلًا عليها المرور بكل هذا

أحببت أن أغير زمام خوفه وأنا أقول:

– لقد استمتعت للغاية.. لقد استطاعت رؤية الكثير من ذكريات الآخرين لقد كان الكثير وكانت في قلبها حقًا..عندما ترى ذكرى حلوة لأحدهم وأخرى صعبة وكأنك تشاهد فيلم ما يحمل مشاعر حقيقة لا تعرف نهايته فقط تتابع الأحداث كي تتعلم من الآخرين

ابتسم من كلامي ثم قال:

– هل تتذكر شيء من تلك الذكريات التي رأتها؟

ابتسمت من فضوله وأجابته:

– في الواقع لا تتذكر أو تحديدًا لا تتذكر بوجوهم لكنها تتذكر وجه مبتسم لفتاة حديثة الخطبة وذكرى أخرى حزينة لأم تركها أبنائها في دومات الحياة فصاح قائلًا:

– ماذا حدث عندما وصلت؟ وكيف كان المنزل

أجبتها:

– لقد كان مهجورًا وقابل للانهيار كان البناء هو البناء الأخير في شارع طويل من المباني وكان يبدوا وحيدًا ذات لون أبيض مفتت آثار السقوط ليس عاليًا للغاية كانت تشبه غيره من المباني مع اختلاف الهيئة، لقد كان ملك لوالد ضحى

– حقًا؟

– نعم لقد اكتشفت هذا عندما وصلت، لكنهم لم يختاروا بائع لشرائه بعد... ظل مغلقًا لسنوات وهجره السكان وأصبح ملك للهدم

– ماذا حدث بعد ذلك؟

– لقد صعدوا سلم يكاد يسقط ولكنهم وصلوا للمنزل بسلام، ومن حسن الحظ أنهم يسكنوا الطابق الثاني

– وماذا عن المنزل؟

– كانت مهجور ومحطم...

قاطعني قبل أن أكمل كلامي وهو يقول بخبث:

– أريد أن أسمعها من تايغيتا

ضحكت من لطافته وأنا أغمزه وأقول:

– أصبحت مشاكسًا

تعالت ضحكته البريئة قبل أن يصمت سريعًا ليسمعني

* * *

كوكب الأرض

قابلة للسقوط ومدمرة لا تحتوي على كثير من الأثاث وباقي الأثاث مغطى بغطاء أبيض متسخ وكأنها ميتة كما مات أصحاب البيت، شعرت بوخذة كبيرة في قلبها وكأنها تعرف هذا المكان كما تعرف كوكبها، ظلت تلف أعيونها وقلبها يسابق على أقوى ضرباته، يلكمها وبشدة حتى أنها لم تتحمل ضرباته قبل أن تضع يديها عليه ربما يهدأ وهي تدلل قلبها وتخفف من ألمه، خافت أن تلاحظ ضحى فتصر على البقاء معها، بينما انشعلت ضحى بوصف المكان لها فلم تنظر لها، وعندما التفت لتراها زيفت تايغيتا ألمها بابتسامة كي يبدوا كل شيء على ما يرام، أخرجت ضحى شيء ما يشبه الآلة كانت تراه بيديها كثيرًا وكانت تقول لها يطلق عليه "الهاتف النقال"، بدأت تخبرني كيف يمكنني الاتصال بها عندما أحتاج لشيء وأنه يجب الاتصال، استمعت لجميع تعليماتها بوضوح وانصرفت هي وكانت علامات القلق تلتف على وجهها كما يلتف حجابها الأسود، ووضعت نسخ من مفاتيح الباب وأخبرتني كيف يمكن فتحه، تتذكر جيدًا كيف كان كل شيء جديد عليها الهاتف حتى مفتاح الباب الذي كانت تستخدم مثله في بيت ضحى عندما تأتي الزبائن وهي تسلمهم الطعام، كان كل شيء غريب إلا شعورها القوى بهذا المنزل، قالت بضيق:

– نور..أنا أثق بقدرة ربنا وأعلم أنكِ سبب أرسل من ربي العالمين..وإني فشلت فلا تيأسي أو تحزني لأن الله معنا، أستودعتك الله الذي لا تضيع ودائعه ابتسمت من كلامها، أغلقت الباب من خلفها ومع صوت القفلة بدأت تتفحص البيت، لما كان يبدوا مألوف؟ وهمت الكثير من الأسئلة تشتعل في

رأسها، أستعادت رباطة جأشها وتنفست الصعداء، حركت شعرها بحلقاتها وراء أذنيها وهو يتزحلق بسلاسة للوراء، لم تكن تعلم ما يجب فعله جيدًا ولكنها تتذكر كلمات سهيل لها أن تمسح يديها جدران البيت وتحاول أن تيقظ النور،أغمضت عيناها وأخذت نفس عميق ووضعت يديها على قلبها، صار الوقت يمضي بثقل شديد، تحرك كل شيء للوراء ونظم كل الأثاث بهواء خفي وضباب غير مرئي، أضاء البيت ورتبت الأغراض وكأن أحد ما رتبها، تصاعد الخوف كيف تحول البيت المهجور من دقائق إلى بيت مرتب ومنظم، تحركت بخطوات حذرة تراقب المكان إلى أن مر أمامها طفل يركض، تابعته إلى أن وقف أمام الغرفة المقفلة بابها.. اقتربت منه... لم يكن يراها..!!!، حاولت تحريك يديها أمام عيونه ولكنه لم يأبى لها وظل واقفًا...! بدأت على وجهه ملامح الحزن الشديد، ذي شعر كثيف وعينان بندقيتان.. مهلًا!!! أنه يشبه فارس للغاية..أنه فارس.!!!!، قالتها بنبرة صادمة وفجأة.. انفتح الباب وخرجت منه امرأة في منتصف العشرينات ذات شعر شجري منسدل بدلال، عيونها بندقتان، تجر ورائها فستان للنوم لونه وردي فاتح ذات ربطة عنق بشكل لائق، تمد أمامها بطنها لابد أنها تحمل شيء بداخلها لتكبر بطنها بهذا الشكل..نطقت لنفسها:

– إنها حامل...نعم..هكذا يبدوا البشر..إنهم يحملون الأطفال بداخلهم

حدقت في الطفل الذي أمامها..سألته بصوت أجش:

– ماذا تريد؟

قال وهو يمد يداه اتجاه بطنها بابتسامة بريئة:

– أريد أن أجلس مع أختى

قالت بعصبية:

- اذهب

دخلت الغرفة وتركت الطفل يتساقط دموعه، ركض إلى أن وصل إلى ركن في البيت وظل يبكي بصوت مسموع ويتقطع من بكاء وفجأة..! صرخت المرأة بصوت عالي وهي تقول:

- فارس..!! توقف عن البكاء واغرب للشارع لا أريد أن أسمع صوتك

فتح فارس الباب وخرج...، ركضت إلى الغرفة سريعًا وحدقت فيها، تتساقط دموعها واحدة تلو الأخرى، تردد بصوت خافت:

- سامحني يا ابني

ظلت الأسئلة معلقة أمامها، لماذا تعامل ابنها بهذا السوء؟، مسحت على بطنها وهي تقول:

- أنني خائفة

نهضت من كرسيها واتجهت لمرأتها أمسكت بمشطها وحركته من جذور شعرها وصولًا لأوراقه الأخيرة، سحبت ما يشبه الرابط وهي تربط شعرها، فتحت الدرج وأخرجت شريط من الحبوب...تساقطت دموعها بألم مع يديها التي اقتلعت ثلاثة حبات وأكثر في كوب ماء، مرت دقائق ثقيلة ومازالت خصلات من شعرها تحلق وتصتدم مع دموع وجهها الثابت ابتلعت ريقها وتنهدت ثم ألقت بنفسها على السرير وهي تبكي.

لم تشعر بنفسها وهي غاشية، تفتح عيونها تدريجيًا وتسند يديها على أرض الغرفة ويديها الأخرى تسند على الحائط وجدت نفسها في الغرفة..!! أخرجت الهاتف من بنطالها الأسود لتنظر للساعة وتجدها التاسعة مساءًا..!!

إعصار من الألم مع الخوف والدهشة من مرور الوقت..! لكن الشعور المسيطر هو الوجع وهي تشعر أن شيء ما يجلس على قلبها، كانت عيونها تدور...انطلقت لتفتح الباب وكأنها تبحث على ثقب للتهوية ونفسها لا يسعفها كحاجة ظمأن إلى الماء في وسط الصحراء، ظلت تركض على سلالم المبنى وتركض للأعلى ربما تجد مخرج للهواء، لم تشعر بالوقت وشعرت بنفسها وبالوهن...ما إن وصلت إلى باب ما كبير يفتح على مصراعيه، أسندت الباب بيديها وتوقفت فجأة لتتقيأ دمًا أزرق وهو يخرج من جوفها ليتناثر على أرض، ترفع عيناها ببطئ وهي تستعيد ثباتها، لتجده أمامها يرفع أحد قدميه على حرف السور المحاوط أعلى البناية والأخرى يستعد لرفعها، تذكرت "حافه النفي"في كوكب سيريس هكذا كان يصعد خائنين سيريس ويلقونهم الجنود ليصلوا إلى مثواهم الأخير في النهر السرمدي ذهاب بلا عودة في تلك اللحظة ربط عقلها الأحداث، أنه يستعد مثلهم إنه يريد النفي..الموت..يريد أن يقتل نفسه..ركضت إليه وهي تنهار قبل أن يلتفت على طرف الحافة ويقول صارخًا:

- اياكي..اياكي أن تقتربي

رجعت خطوة للوراء وهي تحاول تهدأت موقفها ورفعت صوتها وقالت له:

- لا..لا تفعل ..أرجوك

بدأت ملامحه تظهر لها أن شاب ذات عيون عسلية اللون وشعر أسود ناعم وجه أبيض طفولي مع طول متوسط، بدأ وجهه شاحب للغاية ويديه ترجفان وهو يحذرها من الاقتراب ويصرخ قائلًا:

- لا..اياكِ

فصرخت له قائلة:

– أرجوك.. لا تؤذي نفسك..أرجوك

قال بنبرة مكسورة مع ضحك بهسترية:

– لا أؤذي نفسي..!!

صرخت مرة أخرى بنبرة هادئة:

– لا تفعل شيء مؤلم..لا ..

ظل يضحك لثواني بنفس طريقته المجنونة، قبل أن يقول:

– أنا وحدي.. أكره نفسي وأكره العالم.. أكره كل شيء..أتحطم من فرط الحزن

أشار إلى قلبه بقوة وهو يصادم أصبعه على قلبه ويصرخ قائلًا:

– شيء ما يؤلمني هنا

تابع قائلًا بدموع متحسرة وأنفاس متلاحقة:

– لقد هلكت من التفكير..أنا تعبت من كل شيء يدور حولي.. لاأريد شفقة من أحد، يكفي يكفي لقد مللت وتعبت حقًا.. يظل التفكير يلاحقني وأعاني من كل شيء..لم يعد شيء معي..أنا فاشل ولكنني لا أستحق كل هذا القدر من التعب

كان يبدوا عليه ملامح القهر، لقد ظهرت عليه لدرجة أنها ابتلعت ملامحه، توترت ولم تضع في موقف مشابه فهي أيضًا قبل فترة كانت تفكر في نفس الأمر، انعقد لسانها فمدت يديها له وقالت ودموعها على طرف عيناها:

– ليست كل الحروب تنتهي بموتك،..عليك أن تحارب مرة أخرى من أجل نفسك، من أجل تلك الدماء التي ستنزفها عندما تسقط... من أجل الروح التي ستفقدها

قربت يديها أكثر وشعرت أنه يستجيب للكلام، وضع يديه على يديها ونزل ببطئ، وقف أمامها، يبدوا مبهم للغاية ويغيم على وجهه علامات الخوف، كان يرتدي بنطال لأسود القات الشبيه بروحه، مرت لحظات وهو ينظر إليها..فقالت لتلطف الوضع:

– أنك تحب الأسود مثلي، نحن نرتدي مثل بعض

جث على ركبتيه وخفض رأسها للأرض، حتى يعلو صوته من البكاء وكأنه يدخل البكاء بداخله حتى لا تشعر بدموعه، لقد انهار أمامها...جثت هي الأخرى على ركبتيها وقالت له بنبرة هامسة:

– كل شيء سيصبح بخير

فأجابه وهو يرفع رأسه:

– لا شيء بخير

انطلقت هي الأخرى في البكاء مثله، وانطلق بكاءهما في الفراغ، من ناحية دموعها ومن ناحية آخرى بكاءه، ثم سحب نفس عميق ثم نهض، نظر إلى يديه المعلقة بيديها..فسحبها سريعًا وقال بكسرة نادمة:

– أنا آسف..

قالت له بابتسامة بعد ما هدئت من نفسها:

– لا تتأسف

فقال لها:

– كنت أتمنى أن تكون الظروف أفضل

صمت لثواني ثم قال:

– تتحدثين اللغة العربية؟

أومأت رأسي إيجابًا

فقال بتعجب:

– ألستي من هنا؟

– لا، ولا أفهم سوى اللغة العربية

فظن أنها لم تفهم كلامه لأنه تحدث باللغة العامية، لا يعلم أن عقلها يترجم كلامه للغة تفهمها، فابتعد بخطوات ليجلس على بساط يفرش بالقرب من سور السطح، نظر إلى السماء وتنهد وهو يقول بألم:

– محاولة انتحار أخرى فاشلة

انطلقت لتجلس على نفس البساط وبينهما مسافة كافية وهي تقول:

– لماذا حاولت إلقاء نفسك؟

– لأن كل شيء مؤذي

– أهذا سبب؟

– في الواقع، السبب هو أنا

– إن أردت أن لا تتحدث يمكن فعل هذا

قال بصوت مرتجف:

– ما سبب بكاءك؟

نظرت للأسفل دون ردة فعل، زفر نفس وقال:

– كان عمري العاشرة عندما قرر أبي أن ينهي كابوس عشر سنوات مع أمي ومع صراعات البقاء..انتهت وتركني أبي ليبحث عن امرأة أخرى، لم أرحم من تلك الصراعات أيضًا فخطفني لأعيش مع أبي وزوجته أربع سنوات قبل أن ترزق زوجته بطفل جديد وينسى أبي وجودي وتستمر المعاملة السيئة من

زوجته، استلمتني أمي في الرابعه عشر من عمري، عملها كان يشغلها عني في كل الوقت، كنت أخاف من صراخ أبي وأمي الدائم وكذلك خفت من تكوين صداقات، كان الجميع يتلاشني، ظلت أمي تبني في حياتها لتثبت لأبي أنها امرأه قوية وظل اللقاء بيني وبين أمي يضعف بمرور الوقت مع صراعات أبي الذي كان يتردد على بيتنا للإهانة وكأنه يتسلى عند الصراخ على أمي، كان عمري الخامسة عشر عندما تدخلت لأدافع عن أمي من بطش أبي الذي وصل به الأمر أن يضربها، أمسكني أبي وألقاني على الأرض لتنجرح جبهتي ، مرت سنة من السلام النفسي عندما كسبت أمي قضية حضانتي رغم سلطات أبي، بعد هذه الصراعات حتى يحصل عليا أبي و تحميني أمي ، قررت أمي أن تنتقل لبيت جديد، كان لدي اعتراض ولكنها لم تسمعه، بدأت اتعرض لنوبات اكتئاب حادة بسب نظرات الطلاب لي وضعتني أمي في أعلى المدارس لتعلمني جيدًا ولكنها لم تسأل يوم هل هي جيدة لي أم لا ؟، لم أكن أراها سوى علي الغداء، لم أستطيع أن أخبرها أن الطلاب يطلقون علي اسم المنبوذ، حتى أنني سمعت أحدهم يتنمر على مشكلتي في نطق الكلام، كنت أواجه مشكلة في النطق، في السابعة عشر ازدادت نوبات اكتئابي ومحاولة فاشلة في الانتحار، لقد حاولت جرح شرايين ثم خرجت لأجلس مع أمي على نفس المائدة وهي تتلقى المكالمات ولا تنتبه ليدي النازفة، انتهت وذهبت لغرفتها..، حتى سيدة الخدم التي تحضر لنا الطعام وتجلس في بيتنا لاحظت يدي المجروحة وأمي لم تلاحظ، لقد اسعفتني، وعدتني أنها لن تقول لأمي شيء ولكن يجب أن أزور طبيب نفسي، صارت تزورني نوبات سعادة مفاجأة وغير مفهومة، كنت أشعر بسعادة بالغة لدرجة أنني كنت أشعر أنني أحلق،

كنت أضع سماعات أذني وأستمع للأغاني الصاخبة وأرتدي ألوان، لم تكمل هذه السعادة قبل أن تتحول لجحيم في الأسبوع المقبل كانت تتحول للحظات تعب مبالغ ولا أستطيع النهوض من سريري، حضرت زيارة لطبيب نفسي طلب مني زيارة أحد من عائلتي ولكنني أخبرته أني يتيم فأخبرني أنني أعاني من "اضطراب ثنائي القطب"، عودت للمنزل لأجد أمي تنتظرني، شعرت أنني أستطيع أخبرها وقبل أن أقول أنني أعاني قالت أنها تريد أن تتزوج وأن حد ما يتقدم لتنتظر، خبأت مرضي وخبأت ألمي من أمي سيدة الأعمال العظيمة، تعرفت على آسر وكان هو كل أصدقائي، وجدت أمل وكان هو كل شيء، أصبحت أشاركه كل شيء ، لم أكن أهتم لأمي ولا لزوجها، كان آسر يعرفني جيدًا..كان يشبه طوق النجاة لحياتي..كان يهتم بمواعيد أدويتي وبصحتي، حتى أنه كان يواسيني عندما أخبرته أن زوج أمي أحضر سيدة جديدة تهتم بالمنزل وطرد سيدة الخدم القديمة، لقد شاركته كل شيء وظل معايا حتى في نوبات اكتئابي، دخلنا إلى الجامعة معنا كانت أول سنة لنا في كلية الهندسة وكنا ذات تسعة عشر عام ، أصبتني نوبة اكتئاب حادة في بداية أشهر الجامعة أعتقد كانت بسبب علمي بأن أمي حامل، شعرت أن جاء أحد ما يأخذ مكاني الذي لا وجود له، أمسكت بي نوبة غضب واكتئاب عندما زارني آسر في هذا اليوم وأشعلت غضبي به، تركني وعندما استجمعت قواي لاحقته وجدته ملقى على الأرض في وسط الطريق يتجمع ناس من حوله، ركضت وضممته لحضني ولفظ أنفاسه الأخير في حضني وآخرها كانت "لا تنساني"، مات صديقي والوحيد والقاتل كان زوج أمي لقد قتله عن طريق الخطأ أمام بيتي، لقد دفع تعويض ولكن تعويض صديقي ليس له تعويض ،

وأخرها كانت تخير أمي بيني وبينه، لم أتعجب عندما أخترته وهي تقول أني أصبحت بالغ وعندما أصبح بخير سأسامحه، مرت شهور وعادت أمي اليوم بابنتها التي لم تكمل شهرها الأول بعد أن اكتشفت خيانة هذا الرجل وأنه يعمل في أشياء غير قانونية، سجن زوج أمي، وعادت أمي مكسورة من خيانة ثقتها ومن خيانته لامرأة أخرى فتركت بيته

تساقطت دموعه وهو يقول:

– اليوم أنا انتهيت من وحدتي ومن مرضي ومن عذابي لم أذي غير نفسي..لم يحبني أحد ولم يعطيني أحد اهتمام..اليوم تمزق قلبي بما يكفي لا أريد شفقة من أحد لا أريد ضعف.. حتى قبل قليل كنت مقتنع بانهاء حياتي

ظلت محدقة به وبي قصته، ورغم الغشاشة السوداء التي تراه على كل البشرية وعليه هو أيضًا إلا أنها لم تستطيع رؤية ذكرياته مثل فارس، رن الهاتف فجأة.. إنها ضحى..!! يا إلهي أنها العاشرة مساءًا لابد أن ضحى تنتظرني بالأسفل.. أمسكت هاتفي وركضت نحو الباب، وصاح قائلًا:

– اتشرفت بمعرفتك يا...

التفت لها بوجه مبتسم وخصلاتها مداعبة وهي تقول بنبرة عالية:

– تايغيتا

فرد قائلًا:

– وأنا أدهم

صمت لحظة بعد أن استوعب اسمها فصاح قائلًا مرة أخرى:

– ماذا تعني تايغيتا؟

ضحكت بعفوية وردت عليه:

– ابحث عنه حتى لقاءنا القادم

ثم ركضت وبقى أخر شيء في ذهنها هي ضحكته وهو متعجب من اسمها، وجدت ضحى تنتظرها وهي تسألها بغرابة قائلة:

– لماذا فتحت البوابة؟

بدت وكأنها مرتبه ولكنها قالت:

– لقد فتحت لأستنشق بعض الهواء

– احذرى ربما يدخل أحدًا هنا والمكان هنا شبه مهجور

ركزت على هذا المبنى المهجور والمعزول وكيف يختفي عن أعين الناس حتى إن حاول أحدهم إلقاء نفسه لن يشعر به أحد، قطعت ضحى تركيزها وهي تقول:

– أغلب المباني هنا ستهدم قريبًا وخالية من السكان ولا يمر الكثير من هنا

فقالت بانتباه

– أن حاول أحد الانتحار لن يشعر به أحد

تعجبت ضحى من كلامها فقالت:

– لماذا؟ ما مناسبة هذا الكلام؟

فأجابتها:

– سوف أروي لكي ما حدث ولكن ليس الآن، لقد رأيت شيء من ذكريات فارس

تلونت ملامحها بالفرحة وقالت:

– حقًا؟

– أريد أن استفسر عن بعض الأشياء

قاطعتها ضحى قائلة:

- لقد خرج اليوم فارس من غرفته

- هل تَذَكر شيء؟

- لا لم يتذكر شيء

أكملوا مشيهما وهم يتبادلان الأحاديث، إلى أن وصلا البيت وقبل أن يصعدا طلبت تايغيتا من ضحى أن تبحث عن اسم الدواء التي رأت والدة فارس تتعاطها، أخرجت ضحى مذكرة صغيرة وقلم وطلبت منها أن تكتب اسم الدواء، كتبت اسم الدواء بتركيز شديد وهي تتمالك نفسها لتكرره باتقان، انتظرتها بالخارج عندما زارت أحد الصيدليات القريبة لتبحث عن اسم الدواء،خرجت وهي مصدومة وكأنها صعقت بالداخل، ركضت إليها مسرعة وهي تقول:

- ماذا؟ فيما يستخدم؟

- قالت مهولة بتعبيرات وجه مذعورة:

- إنه مضاد للإكتئاب

كوكب الأم العذراء

لم تحترمني دموع عيوني وتساقطت كنت خائفة، ولم يكن سهل مرور بكل هذا الألم، وجدت نوح يحضني بقسوة عندما رأى دموعي، فجأني قائلًا:

- يمكنك أن لا تكملي القصة؟

سحبت دموعي وابتلعت شرودي وقلت له:

- سنكمل

هل يمكن أن أسأل سؤال؟

ابتسمت من لطافته وأنه لا يستطيع أن يخبئ أسئلته، فقال:

– أكان أدهم يملك ذكريات سيئة لهذا هو يشبه فارس؟

فردت عليه بثقة:

– نعم

شردت في كلماتي عن أدهم كانت الأصعب، وكأني مازالت أحارب هذا اللقاء بداخلي، فكلما تذكرته ضاقت بي روحي ألمًا على ما أصابني، رفعت رأسي للسماء كما اعتد أن أفعل وقلت في نفسي:

– أزح هذا الألم عن قلبي..!

* * *

أحدهم يأتي ليعلمك معنى الحياة ويرحل، قد يعلمك معنى الحياة بالحب أو قد يعلمك معنى الحياة بالكره، كانت بريئة ونقية للغاية، مدت يديها لي في هذا اليوم، لون شعرها وهو يحلق، عندما تنظر بعفوية، تضحك دون سبب، في عيونها غابة من الألوان، لم أفتح قلبي مثل ما فعلت معها، نبض منخفض وتعرق في اليدين إن رؤيتها تسبب لي رهبة، وقفت على حافة الهاوية وياليتني سقطت بدلًا من أن أمسك بيديها، لقد وقعت في هاوية أسوء من هاوية الموت، لقد ظننتها وهم وكنت أنا الوهم الحقيقي، مجرد بائس وكئيب كيف سيجلب الفرحة لبساتين حياتها، ياليتني لم أستمع لقلبي وأذهب لنفس المكان في اليوم التالي، أتذكر كيف قضيت الليل بأكمله أبحث عن معنى اسم تايغيتا، كان يعود الاسم لنجمة ما، لقد ظللت انظر للنجوم وأنا خائف، خائف أن احتمي بنجمك فيظهر لي نيزك يقتلني، أنا آسف لقد كنت أنا نيزك، مازالت

أتذكرك ومازالتي تؤلمني ومازالت أتذكر درسك لي، الحب ليس كافي ولو كان من أول نظرة، الحب ليس كافي كي يسند أي بناء، ياليتني لم أظهر لكي لقد سلبت إيمانك ولم أعطيك سوى الخوف الذي حاربتيه، رغم آسفي لن تعودي ولكنني نادم على فراقك ولست جدير بأسفك ولا بصداقة عابرة، لست جدير بشيء ولكن أنتِ زرعتي بداخلي ما هو أعمق من كلمة أحبك، لقد اشتقت لكي

ضممت ورقتي ودسستها في جيبي ثم مسحت علي وجهي من قطرات المطر المتطفلة وأنا أحارب برد أمواج البحر بقميص من الصوف أسود قاتم يعلوها معطف ، أصارع الرياح القاسية..ليظهر من خلفي صديقي الذي صدمني فجأة وهو يقول:

– ماذا تفعل يا أدهم بمفردك؟

انفعلت فأنا لا أحب أن يفاجئني أحد من خلفي.. هذا يذكرني بيكِ فأظن أنكِ أتيتي فانفعلت قائلًا:

– أحمد لا أحب أن يفاجئني أحد

– أمزح معك لم أقصد إخافتك، ثم أننا حضرنا رحلة للبحر ليوم واحد جميعًا..وأنت تركتنا وجلست هنا أمام البحر تشكي له مشاعرك

ضحكت من كلام أحمد وقلت:

– ليس هناك أحد يملك عقل يحضر رحلة للبحر ليوم واحد في فصل الشتاء

فرد بصوت ضاحك:

– نعتذر يا أدهم فنحن مختلين عقليًا...لا تهتم بنا ولكن أخبرني متى خطوبتك أنت وسلمى؟

قلت بملل:

– لا أعلم يا أحمد ولا أريد أن أتناقش في هذا الموضوع

فصاح غاضبًا علي وهو يقول:

– ما بك يا أدهم؟ لماذا تتهرب من هذا الموضوع.!

– كفى يا أحمد كفى

فتابع قائلًا:

– أدهم أنا أعلم جيدًا أنك منشغل بعملك ومتوتر ولكن سلمى مظلومة بحبك وأنت لم تعد صغيرًا لقد بلغت سبع وعشرون عام..

أخرجت الجواب الذي دسسته في جيبي، فصاح أحمد غاضبًا:

– لماذا يا أدهم؟ ألم تتوقف عن كتابة جوابات عنها وكنت توقفت عن الكتابة لها؟ لماذا تعود للصفر؟

لقد خرجت عن شعوري وقلت له:

– لأنني لم أحب قبلها ولم أحب بعدها يا أحمد

– أنت تظلم نفسك.. أنا وأنت نعلم كم عنيت لتبتعد عن دوامة المرض وكنت توقفت عن رؤية الهلاوس لماذا تريد الهلاوس أن تعود..!

– هلاوس؟ هل تظن أنها من وحي خيالي... أنت أيضًا تصدق أنها هلاوس

قال لي بنبرة هادئة:

–أنت تعلم جيدًا إنها وهم، يا أدهم أنت خلقت وجودها في فترة صعبة من عمرك وكنت تمر بالكثير من الهلاوس ولم يراها أحد منا غيرك حتى لا نعرف اسمها...لا أكُذبك ولكن أين هى وأين رحلت؟ وماذا عن سلمى؟

نهضت من مكاني متجاهلًا اسمي الذي ظل ينادي به وركضت وصولًا لغرفة الفندق الذي ذهبنا إليه، خلعت معطفي وجلست على سرير بعد أن حضرت كوب ساخن من الشاي وأمسكت بدفتر مذكراتي الخاص، لقد خصصته لأكتب لها كل موقف صعب مررت به،لقد كتبته باللغة العربية حتى تستطيع قرأته كتبت عن كل موقف رأيت فيه خيالك، كنت على أمل أن تعود يومًا ما وتقرأ هذا الكتاب، كنت على أمل أن تعود يومًا ما، ومازال الأمل حتى بعد ثمانية سنوات، مازالت اكتب لكِ عن نظرات الجميع التي كانت تقول دائمًا لي أنكِ لستِ حقيقية، رن هاتفي فجأة، كانت أمي فأجابتها،فقلت:

– ما أخبارك يا أدهم؟

– الحمد لله يا أمي، ما أخبار بيانكا؟

– لقد نامت منذ قليل... ظلت تلعب مع تمارا حتى نامت

– جيد.. لقد كنت خائف أنها لن تنام لأنني لست موجود

– لا تقلق، لكنني أريد أن أتكلم معك في موضوع ما؟

– خير يا أمي

قالت بنبرة صارمة:

– عندما قررت أن تتبنى بيانكا وافقت وقلت لنفسي إن كان تبنياها سيجعلك سعيد فأنا موافقة، لكنني سأكون سعيد عندما ترتبط بسلمى لماذا لا تريد سعادتي..يا ولدي إنها تحبك... سلمى وافقت بك وهى تعلم أنك كنت مريض ثنائي قطب ومتبني بيانكا ووافقت..استقيظ يا أدهم قبل أن تضيع..!!

انفعلت أعصابي وقلت لها:

– أمي أنتِ تعلمين أني لا أفكر بالزواج...وكل ما أفكر به هي ابنتي بيانكا، هى ليست متبناه هى ابنتي..أما لسلمى فتركيني أفكر

صاحت قائلة:

– اتركك تفكر..! وماذا عن أهل البنت لقد حددت معاد معهم لزيارتهم! أدهم هل تفكر فيها مجددًا؟..لا يا أدهم لن أتركك تتكس مرة أخرى وتعود لهلاوسك

نفذ غضبي وطاقتي فقلت:

– أمي أرجوك توقفي..اتركي لي وقت لأحدد موقفي

– حسنًا يا أدهم

قلت لها قبل أن أغلق:

– لا تنسي تَمرِين بيرنكا في الثامنة صباحًا..وأنا سأعود في العاشرة بالقطار

– حسنًا يا أدهم، لا تقلق ستذهب مع تمارا

– ستجدين ملابس السباحة الخاصة بها في الخزانة وضعي لها طعام جيد إنها تشعر بالجوع بعد التمرين

– إن بيانكا محظوظ بحبك ليها

– أمي بيانكا هي ابنتي..

تنهدت ثم قلت لها:

– سلام يا أمي

أغلقت الهاتف وظللت أتأمل صورتك المرسومة أمامي فوجدت نفسي أحدثك عن حبي لبيانكا، أراكِ الفتاة ذات الثامنة عشر ولا أعلم كيف تبدين بعد كل تلك السنوات فوجدت نفسي أقول لكِ:

– لقد تركتيني قبل ثمانِ سنوات.....لقد حاولت أن أنشغل عن رؤيتك وحاوطت نفسي بكل شيء حتى لا أراكِ..لكنني أصبحت أراكِ حتى في كوابيسي، أعلم أنني لا أستحق حبك ولكنني أريد رؤيتك، انفطرت في البكاء الصامت وأنا أقول:

– مازلت أنتظرك ومازلت أحبك

دونت كلماتي لكِ في دفتري الخاص بيكِ حتى مكالمة أمي، رأيتك مرة أخرى تضحكين لي

* * *

جلست مع ضحى في غرفتي بعد أن شرحت لها كل الأحداث بما فيهم أدهم، ظل التفكير يلاحقنا ونضع جميع الاحتمالات بعين الاعتبار وحركت قدميها حركة سريعة ومتكررة بتوتر، فنطقت قائلًه

– لا أحد يعلم شيء عن والدة فارس سوى أمي

قلت لها بعد أن فكرت:

– هل كان له أصدقاء غير والدتك؟

فأجابتني:

– لا

فقلت لها:

– لا تتذكرين أي شيء من كلام والدتك

سرحت ضحى قليلًا ثم قالت بانفعال:

– نعم..! تذكرت..في يوم جرى نقاش عنيف بين أمي وأبي، لأن والدة فارس كانت منعزلة عن السكان ولم نرى زوجها كثيرًا، فقد شككوا في صحة زواجها

– ألم يكن هناك ورق يثبت زواجهم؟

– كان هناك

– ما كان اسم والده؟

– عامر

– وأين هو الآن؟

– لا أعلم أظن أنه توفى مثل ما توفت والدة فارس

فقلت لها بحيرة:

– ولماذا توفت والدة فارس؟

– لقد توفت خالتي مريم بعد أن وضعت طفلتها

اندهشت وقالت لها:

– كيف؟

– ما أتذكره أنها ظلت تصرخ كثيرًا ولم تلحق بالإسعاف لهذا ولدتها أمي، ظلت مستيقظة وبعد دقائق وجدنا فارس يصرخ في وسط الطريق، لقد طلبت منه خالتي مريم أن يجلس مع الرضيعة على رصيف الشارع، أتذكر ملامح أمي عندما فتحت الغرفة لتجد خالتي مريم غارقة في صفار باهت ومتعرقة بشدة وكانت أخر كلماتها "أنها كانت تعلم أن هذا سيحدث..لقد تركت فارس في رعايتك"

فأجبتها بذهول:

– أنتِ تتذكرين أشياء مهمة للغاية..هل كان هناك سبب للوفاة؟

– لا أتذكر السبب ولكن أظنه ضعف ولادة لم تتحمله

سرحت في تفكيرها ثم قالت لها:

– هل يمكن الاتصال بوالدتك؟

تغيرت تعبيراتها وقالت:

– لا تحب أحد أن يحدثها عن خالتي مريم...

تابعت:

– لكنني سأحاول من أجلك

أمسكت هاتفها اتصلت بأخيها تميم، فأجابها وسأل عن حالها وأحوالها حتى طلبت ضحى أن تتحدث مع والدتها، بدأ الحديث ليس طويلًا ولكن ملامحها لم توحي بالخير أوالشر

أنهت المكالمة وهي تقول لها:

– يوجد أخبار سيئة وأخبار جيدة

قالت:

– فقط أخبريني

– الجيد أن أمي وأخي سيأتون قريبًا وأستطيع التحدث مع أمي كما أنها أخبرتني أن خالتي مريم ماتت بطريقة طبيعية

– أما الأخبار السيئة أنهم سيأتون لأن السلطات قررت هدم المبنى بعد أسبوع

صرخت قائلة:

– ماذا؟

فركت شعرها غضبًا وظل عقلها يضاربها على عكس ضحى التي ظلت تفكر في صمت، مرت دقائق نبحث عن حلول إلى نطقت تايغيتا قائلة بأفكارها:

– سأجلس في المبنى حتى نهاية الأسبوع

اندهشت وقالت:

– لا لا يمكن فعل لك

جثت على ركبتاها وأمامها ضحى وهي مرتبكة من كلامها وقالت لها بلطافة بعد أن أمسكت بيدها:

– سأفعل من أجلك ومن أجل فارس يجب أن أعرف الحقيقة وأعرف أين هي الآن

– كيف؟ المنطقة مهجورة!!

فأجابتها:

– سيجلس معك أخيك والدتك هنا لمدة أسبوع ولا يجب أن يعرفوا بوجودي وأنا سأجلس في البيت من الغد وحتى أتوصل لكل شيء سأعود

اتخطفت ملامحها ولكنها أومأت رأسها إيجابًا، فقالت تايغيتا لها:

– سأحاول التواصل مع سالينو وسهيل

فأجابتها:

– حسنًا وإن سألت سيلين عليكِ سأخبرها أن جاء أحد أقاربك وذهبتي معه

فقالت لها وهي تضحك:

– لابد أن سيلين ستدخل في صدمة عصبية إذا علمت إني فضائية ولست مريضة نفسيًا

ضحكت ضحى كسكينة تشق طريقها في وسط خوفها

كوكب الأم العذراء

موجة من الرياح ضربت في وجهنا فتطاير الفستان وقف نوح قبالي وسألني:

– هل تشتاقِ لضحى؟

رددت بصوت محدد بالدموع:

– لا يمكنك أن تنسى أحد أحتضنك في وقت لم تجد شيء لتحضنه في هذه الحياة

فتابع قائلًا:

– وفارس؟

– لا يمكن نسيانه أبدًا، أنه الهامش الذي تحول للنص بأكمله

فتابع:

– سيلين؟

– كانت تحب ألوان ملابسها للغاية، كانت خائفة من ماضيها فظلت تبني في مستقبلها بعزم كانت طموحة للغاية ورغم طموحها فكانت تهتم بفارس كي تعيش صديقتها

فتابع:

– أدهم؟

صمت تام لا يمكن أن أتحدث، أنعقد لساني وقلبي فخفت أن تهزمني المشاعر فتماسكت وقلت بصيغة تغير الحوار له:

– لقد استدعت سالينو وسهيل

– حقًا؟

– نعم، كانت حالتهما مزرية لقد ثار الشعب وأصبحوا يلقون بأنفسهم في النهر السرمدي كقربان حتى تعود تايغيتا، حتى أن النجوم الأبراج أوقفت هذه الحالة ولكن الشعب أشترط شرط

– وما كان؟

– طلبوا منهم النفي لسالينو

– ماذا؟ وماذا فعلت؟

– للأسف، كان تحقيق الشرط بعد أسبوع، فأصبح الضغط على تايغتا أكبر

قال بألم:

– ذهبت للمبنى؟

– نعم ذهبت وسأحكي لك كل يوم عاشته في هذا الأسبوع العصيب

كوكب الأرض

لم يعد الموقع غريب عليها فهي تأكدت من تفاصيل المنزل بإتقان، حاولت أن تنظف المكان بشكل سطحي ليسمح بالعيش، لحسن الحظ وجود بعض الصخور التي تحب تناولها، ودعتها ضحى بخوف مخلوط بكلمات تعزز ثقتها بنفسها، حاولت أن تبدأ فالوقت يهزمها، أغمضت عيونها وقالت في نفسها:

– أرجوك..أريد أن أعرف من البداية منذ الحظة الأولى

صاعقة كهربائية تمسكت بجسدها، لتفتح عيونها على نفس المرآة بضحكة عفوية، وفستان زهري اللون تدل شعرها أمام المرآة ليطرق بابها، ظلت تتبعها وهي ترى الأحداث كفلم مصور، فتحت بابها لترحب بها، امرأة ثلاثنية،

ذات وجه مضيء ووقار بحجاب حريري يلتف ليغطي الجزء الأخير من شعرها، تحمل على صدرها طفل صغير بريء، استقبلتها وهي تنادي عليها:

– تفضلي مدام بثينة

احتضنها حضن قصير وهي تقول بترحيب:

– مرحبًا بك يا مدام مريم

داعبت الطفل الصغير وهي تقول بضحتكها الجميلة:

– ما اسمه؟

أجابته بنفس الابتسامة:

– تميم

أدركت لحظتها أن تميم وبثينة هم عائلة ضحى.!، وقفت مريم وهي تتجه لتحضر الشاي فسألتها سيدة بثينة بعد ما أخبرتها أن زوجها محمد يملك المبنى، في مسار الحديث:

– ماذا يعمل زوجك لم نراه سوى مرة واحدة؟

توترت مريم وقالت بابتسامة مصطنعة:

– إنه تاجر يعمل خارج البلاد

فقالت سيدة بثينة:

– هنيئًا لكم إن شاء الله

فأجابتها:

– أنا حامل بطفلي الأول إنه شهري الأول

فرحت سيدة بثينه جدًا لسماع الخبر ونهضت لتقبلها وتبادلها النصائح، ما لبثت سيدة بثينه كثيرًا، لقد كانت ملامح السيدة مريم مسحوبة وخائفة للغاية ولكن

السيدة بثينة فسرتها إن هذا طبيعي، تركتها السيدة وهي منشرحة كأنشراح الشمس في الظهيرة، مع صوت غلق الباب.. مرت لحظة وهي ثابتة مكانها ويديها لم تترك مقود الباب، تغرغرت عيونها بالدموع ثم وضعت يديها على بطنها، تعتصر ألمًا وكأنها تنسلخ من جلدها، تبكي بحرقة تكتمها بداخلها كأنها توقد النار بداخلها، مشققة تمامًا..سندت نفسها وألمها إلى أن ألقت بنفسها على الأريكة شرعت في البكاء كطفلة في الخامسة من عمرها، شهقات متتالية ترفع روحها، شعرت تايغيتا وكأنها تريد أن تحضنها وكأنها تريد أن تضمها بشدة لتهدئ، اقتربت منها..طرق الباب فانتفضت مريم ومسحت دموعها ووقفت لتفتح الباب..حاولت تايغيتا أن ترى من.! لكن صداع ما ألقى القبض على رأسها وغمت عيونها وكانت آخر ما رأته هو وجه مريم الشاحب بالبكاء مع قطرات من الصدمة وهي تقول:

– هل أتيت؟

حاولت جاهدًا أن تراه ولكنه لم يكن ظاهر أبدًا كجسم أسود ولكن جملته الوحيدة المضطربة كانت بصوت غليظ:

– لم تنسى اتفاقنا

استيقظت لتجد نفسها واقعة في شعور أول مرة، غثيان مخلوط بألم شديد في قلبها، نظرت للساعة إنها التاسعة.!!! لماذا تستيقظ دائمًا في نفس الوقت.!، ركضت لتصل إلى سطح المنزل المشدود بباب لم يقفل كليًا، أزاحت الباب بيدها، لتجده أمامها بنفس هيئته ووسامته، لف رأسه لكي يراه وفزع من جلسته وقال بابتسامة زرعت في وجهه:

– تايغيتا

ضحكت وهي تحاول أن تخبي ضحكتها وقالت بصوت ضحكتها الهادئة:

– لقد تعلمت نطق اسمي يا سيد أدهم

ضحك هو الآخر كطفل وجد حلوته، لم يكمل ضحكتهما إلى أن تقيأت تايغيتا فجأة، أسرع إليه وهو يقول:

– هل أنتِ بخير؟ لنجلس هنا

أومأت برأسها إيجابًا وسندت نفسها بنفسها إلى أن جلست، ترك مسافة وجلس هو الآخر وأمسك بزجاجة الماء الموضوعة فوق كتبه وقدمها لها، رفضت شرب الماء، فقال بقلق:

– هل أنتِ بخير؟!

فأجابته:

– نعم بخير

فقال باستحياء:

– لم تأتي البارحة؟

صمتت للحظة ورفعت رأسها اتجهه وقالت:

– كان لدي بعض الأعمال وكان يجب القيام بها

ظل عليهما الصمت للحظات وهما يطلقان عنانهم وتركيزهم للسماء، رفعت تايغيتا أصبعها فجأة وقالت له:

– انظر إلى هذه النجمة..إنها من نجوم الثريا

صمت للحظة وبدأ له وكأنها مهتمة اهتمام شديد بالنجوم فقال لها:

– هل تدرسين علم الفلك؟

فأجابته:

- لا..لا أدرس ولكنني أستطيع معرفتها

فقال مازحًا:

- بالطبع فاسمك ينتمي لأحد النجوم

- يبدوا أنك أجريت بحث

فضحك وقال:

- أن أيضًا مهتم بالفضاء

أزاحت شعرها بعنف وهي تحارب الرياح، فقالت له فجأة:

- لماذا نحمل كل هذا المقدار من الأوجاع؟

فأجابها:

- ربما لأننا نستحق أن نصارع وأن نكون جنود

- ربما

لفت نظرها إليه لتجد بعض من الكتب بجانبه فسألته بفضول:

- عن ماذا تتكلم؟

نظر إلى كتبه هو الآخر وقال:

- لقد كنت في أحد محاضراتي وأنهيتها في الخامسة

وقالت:

- أنت هنا من الخامسة؟

شعر بالإحراج وكأنه زاد اهتمامه وبشدة بها وكأنه خائف فمسك بأحد كتبه وقال لها بتغير مجرى الحديث:

- يتكلم هذا الكتاب عن مرضى اضطراب ثنائي القطب

أمسكت الكتاب وعندما فتحت أول صفحاته وجدته مدون جملة على الهامش..لم تستطيع قرأتها جيدًا ولكن دققت كثيرًا لتجده كاتب "كل شيء يقف عن النبض ..لا أحد يسمعك"، انتشل منها الكتاب فجأة وكأن الجملة تخصه وبشدة، فقالت له لتلطيف الوضع:

– لقد أعجبتني حقاً

انتشر الحرج في أركان وجهه وقال لها:

– أظن أنني سأموت يومًا ما بسب ما أعانيه من مرضي

فأجابته:

– كنت أظن أنا أيضًا أنني سأموت ولكني الآن على قيد الحياة

– لماذا تأتي إلى هنا؟

صمتت وقالت:

– لتأمل السماء

رد الصمت عليهما مجددًا وهما يغازلان السماء بنظراتهما إلى أن قال:

– هل لديك كوكب مفضل مثلي؟

ضحكت من مسار الحديث فقالت:

– نعم، أحب كوكب سيريس

تعجب من أن يوجد كوكب بهذا الاسم وقال:

– كوكب سيريس؟ لا يوجد كوكب بهذا الاسم..

فقالت:

– يوجد

التفت بنظره له وقالت:

– ما اسم كوكبك المفضل؟

– بلوتو

سحبت الكتاب الذي بيديه وهي تقول:

– لا تخف سأحتاج إلى أخر صفحة بيضاء فقط

فرت الكتاب إلى أن انتهي بصفحة بيضاء.. أمسكت قلمه الملقى بجانبه وبدأت برسم الكواكب بإتقان شديد.. رسمت جميع الكواكب وبعض أماكن النجوم والكويكبات مما جعل أدهم يندهش من دقة الرسم فقال مازحًا:

– وكأنكِ سافرتي إلى الفضاء

ابتسمت وهي ترسم دائرة ظللتها بالأسود الشديد ورددت قائلة وهي تشير من بداية الرسمة إلى الشمس:

– هنا الشمس.. هذا عطارد.. كوكب الزهرة.. الأرض.. المريخ.. المشترى.. زحل.. وهذا أورانس.. ويقع هنا كوكب نبتون وأخيرًا كوكب بلوتو

ظللت دائرة غامقة اللون بين المريخ وعطارد وقالت:

– هنا يقع كوكب سيريس

– هذا رائع للغاية ولكنني لا أظن أنه كوكب في مجموعتنا الشمسية بس التصنيف

فقالت بحزن:

– لا أحد يؤمن بهذا التصنيف سواكم..هناك الكثير من الكواكب

أضاف بنبرة غريبة:

– سواكم؟

أصلحت كلماتها وقالت:

– أظن أن جميع الكواكب تظل كواكب لا يجب أن تشبه كوكب الأرض

ابتسم وقال:

– يبدوا أنكِ عنصرية ضد كوكبنا

ابتسمت هي أيضًا وقالت:

– ربما

وجد الصمت طريقه بينهما فقال أدهم لكسر الملل:

– هل تلعبي معي؟

انصدمت وقالت:

– ماذا نلعب

– سؤال مقابل سؤال

– حسنًا

قال بحماس:

– سأبدأ أولًا لأني أكبر منك

ضحكت وأشارت إليه ليبدأ، فقال:

– هل تهتم بيكِ والدتك؟

فأجابته بنبرة حزينة:

– لم أرى والدتي لقد ماتت، تربيت مع أبي فقط في بيت أعلى الجبل وقتل أبي من فترة وجئت للبقاء مع أحد أقاربي، أعيش فترة صعبة وأفضل البقاء هنا في هذا المبنى المهجور...والآن سؤالك

أشار لها بيديه باحترام كأنه يقول لها "تفضلي"، فسألته:

– كيف تدخل هذا المبنى بوجود بوابة؟

فأجابها:

– لقد علمني آسر كيفية اقتحام المباني القديمة..كنا نأتي إلى هنا ونجلس على هذا البساط ونتكلم كثيرًا ونضحك، كان الشارع مهجور من السكان والبوابة هنا كانت هارمة فاستطاعنا فتحها وقفلها

رفع أصبعه إلى الشجرة التي أمامه، كانت شجرة ضخمة وذابلة وكانت تغطي معظم الشارع وقال بابتسامة:

– تلك الشجرة شهدت أحاديثنا وأغانينا المفضلة واحتفالاتنا

قاطعت تعمقه وقالت:

– ما هي أكبر مخاوفك؟

رفع رقبته إليها وسلط نظره على عيونها وقال بنبرة مكسورة:

– لقد تحققت كل مخاوفي.. لكنني مازالت أتنفس أخاف أن ينتصر مرضي ويتنفس علي..أعلم إنه سينتصر لكنني مازالت أخاف

حاولت رفع يديها لترتب على كتفه ولكنه لف رأسه للجهة الأخرى ومسح دموعه وقال:

– تتكلمين اللغة العربية جيدًا ولا تعرفين العامية؟

قالت تايغيتا بنظرة استهزائية حادة:

– لقد تعلمت الكثير من اللغات

ابتسم بفخر وقال:

– يبدوا هذا مشيق

ضحكت هي الأخرى لثواني قبل أن تقول له:

– هل يؤذيك مرضك بشدة؟

- يجعلني أتوهم وجود آسر دائمًا.. يأسرني في دائرة من الحزن ودائرة من الفرح..يتحكم بي كالدمية

مسح دمعة هاربة من طرف عينيه وقال:

- أحب الاستماع إلى الأغاني..هل تسمعي معي؟

اندهشت فهي لا تعرف سوى نغمات اليوم المقدس للنهر السرمدي، أخرج هاتفه وسماعات الأذن، قدم لها إحداهما وقال لها:

- أظن عندما يشارك الناس بعضهم بأشياء يحبونها يكون الأمر مهم للغاية..هكذا أخبرني آسر في أول مرة شاركني أغنيته المفضلة

فتح هاتفه بينما حاولت هي معرفة وضع السماعات، ساعدها بعد ما فتح هاتفه وظلت هي تحاول معرفة وضعه، فقال وهو يضع الجهة الأخرى:

- هكذا توضع

فهمت كيفية وضعها ووضعتها هي الأخرى، فر في هاتفه المضيئة وقال:

- كانت هذه المفضلة لدى

بدأ مسار الأغنية هادئ وكان شعورغريب يداهمها، تسمع نغمات غير مألوفة، بدأت تحبها رويدًا رويدًا واندمجت مع الإيقاع وكان هو الآخر مستمتع من ضحكتها إلى أن انهمرت قطرات من المطر، كانت رياح الشتاء تزورهم وقطرات المطر الضعيفة تتطفل عليهما، لم تدم القطرات طويلًا كانت بسيطة ومرت عليهما مرور الكرام، نهض من جلسته وكان خائف..لقد داهمه شعور يشبه شعوره لآسر فخاف، خاف أن يترك مرة أخرى، تغلب عليه الخوف وتوله مرضه، فقال وهو ينسحب تاركها: "يجب أن أذهب لقد تأخرت".

شعرت بانسحابه، ربما جميعًا نخاف من خسارة جديدة بعد الخسارة القديمة

أعلى السطح أقف وحيدًا، تتوسط الشمس السماء كالعيون المستيقظة، الشجرة حية بأشعة الشمس التي تحاوطها، يرتطم الصمت بأركان الشارع وتتغنى العصافير، المباني مهجورة وكأننا في القاع، لاحت لأنظر إلى المكان وكأني أراه للمرة الأولى، لماذا جئت إلى هنا؟، صوت ضحكتها.! لقد ران صوت ضحكتها في جميع أركان المكان، التفت لأراها، جميلة للحد الذي يقتل، نظرات تنتهي بابتسامة كارثة، يحوم شعرها خلف ستائر عيونها الجميلة، ليداعب ابتسامتها فتزيح شعرها بدلال، نظراتها كالسم تقتل ببطئ، يتراقص فستانها الملون كخفة روحها، اقتربت مني رويدًا... كأن روحي تتطاير من اقترابها، وقفت أمامها وتحول كل شيء لرماد في لمح البصر، غابت الشمس وانكسرت الشجرة، اتقتلت العصافير، ساد المكان ألمًا، يرحب الصمت بيننا وتتساقط معه قطرات من النار، شعرت وكأني أراه للمرة الأولى ولكن كان الوضع أشبه بجهنم، ابتسمت ابتسامة ساخرة، فوجدت نفسي أقول لها:

- تايغيتا..هل أتيتِ؟

صمتت وكأنها دمية، لاتتحرك ولا تتأثر هادئة، فارتفعت نبرة صوتي:

- أنا وحيد بدونك..عودي أرجوكِ.. أرجوكِ

تملك الحزن من قلبي بشدة، شعرت بألم شديد في جميع أركان جسدي، كأني أتمزق، أنهار أمامها بدموعي وتفقد أحبالي الصوتية السيطرة، صرخت قائلًا:

- أرجوكِ..سامحيني..لا تتركيني..لا تنظري هكذا..أرجوكِ أنا أتشقق

فزعت على جملتي الأخيرة، شعرت وكأن جسمي يتشقق حقًا كمدمن مخدرات توقف عن تناول جرعته للتو، اعتدلت في جلستي وأنا أمسح العرق الشبيه بقدر مغلي من الماء، ألقيت نظر على مفتاح الضوء وأنا ألتقط أنفاسي

بصعوبة، أضاء ضوء الغرفة وأنا أستعيد النظر إلى كل شيء في غرفتي، مكتبي وكتبي المنثورة عليه، خزانة ملابسي وباب حمامي، كذلك سريري الغارق بماء خوفي، سحبت نفس عميق ووضعت قدمي على الأرض، شدتني يدي لأمسك الكتاب الذي ألقيته منذ سنوات في أحد أركان خزانتي، كان الكتاب مصفر وباهت ويحتله عنوان ضخم "مرض ثنائي القطب" كانت أوراق الكتاب بالية كما كنت أنا، فررت إلى أن وصلت إلى آخر صفحاته، نفس الرسمة التي كانت ترسمها، الكواكب والنجوم، مسحت بيدي على الرسمة وكأنني أستشعر تلك اللحظة التي رسمتها ، تركت الكتاب على السرير وذهبت لأرطب وجهي بعض الماء ربما يمحي أثر هالاتي السوداء، تركت الماء يرتطم بوجهي وبشعري، حركت يدي لأمحي الماء وأصفف شعري للوراء، ظلت عيوني مغلقة من قطرات الماء إلى أن وجدتها أمامي..! ممسكة بصفحتها الخاصة برسمتها، تجلس على طرف سريري، إنها هي..! تايغيتا.!، تركت منشفتي على كرسي وسحبت نفسي أمامها، نهضت وظلت ممسكة بالكتاب، ضحكت بطريق استهزائية، إنها هي بقميصها الأسود وبنطالها الأسود وخصلات شعرها التي لا تنحبس أبدًا وعاصفة الألوان في عيونها، اقتربت منها ورفعت يدي لطريق ملامحها لأتأكد أنها هي وعيوني تحملق بها بفهم مذهول، ابتعدت عن يدي وقربت من أذني وهمست قائلة:

– لن أعود ستموت وحيدًا..ستعيش بذنبي..أنا أكرهك

لم أجد نفسي سوى إنسان مهلك من كلماتها، وكأني تحطمت للتو ليس من ثماني سنوات، وجدت غضبي وحب وخوف وكأنه إعصار من المشاعر صارخ في نبرة صوتي:

– لماذا أراكِ؟ لماذا تظلي معي دائمًا؟ لماذا لا يشبهك أحد..أريد عودتك وأكره نفسي معكِ، لماذا أتمنى عودتك.؟ لا يفارقني ظلك ولا تنتهي ضحكتك من أذني، لماذا لا تنتهي فقط

لما أشعر بنفسي عند جملتي الأخيرة، اقتربت منها وأظافير تنغرز في راحة يدي بنبرة غاضبة مميتة:

– لقد قتلت نفسي من بعدك وظننت أني أستطيع العيش بدونك

لم يحضر ذهني كثور ساخط، كان كل شيء باهت وكنت أنا فقط صارخ في وجهها، كنت أصرخ لأن قلبي كان يؤلمني ولم أجد تعبير يؤلم أكثر من أني كنت محاوط نفسي بكثير من الأوهام في سبيل نسيانها وعندما انتهت الأوهام وجدت نفسي في مواجهتها، إنها كسرة قوية جعلتني أكسر كل شيء حولي في الغرفة، كل شيء قابل للكسر مثلي تمامًا، ألتقطت أنفاسي في أحضان أمي وهي تضم رأسي لصدرها، كانت المرة الأولى التي أرى الأشياء على طبيعتها، أنا في حضن أمي وبيانكا وتمارا يقفان أمام باب الغرفة يتابعان انهياري، فتحت يدي تدريجيًا وأنا ملقى على الأرض أنتمي لحضن أمي، دماء يدي تنزف وكأنها تشبهني.. تشبه خوفي.

تشبه حياتي..وحيد أنزف أتالم والآن أبكي، هل يمكن لدموعي أن تنقذ ما يحدث، تمسكي بي أرجوكِ..تمسكي بي كما تمسك بي حزني، صوت أمي وهي تنادي على سيدة الخدم لتحمل تمارا وبيانكا لغرفهم وهي تطمنهم أنني سأكون بخير، نظرة أخيرة على بيانكا وهي تنظر إلي كما كانت تنظر هي، رأيتها تفلت من يد السيدة وتركض لتضمني، لم أضمها مثل ما فعلت كانت يدي ملطخة بالدم وكأني قتلت أحدهم للتو ولا أريدها أن تعيش بدمائي فلا ذنب

لبرائتها أن تنتهك بسبب خوفي تلاشت بعد أن حملتها السيده لغرفتها، سندتني أمي لأنزل درج المنزل وأجلس على أحد كراسي الطاولة وهي تركض وبيديها حقيبة الأسعافات، تضم جرحي وكيف أخبرها أن الجرح بداخلي أقوي ...ظلت تضمد جرحي وفي عيونها غضب وجزع من حالتي وفجأة.! ألقت بالقطن وصاحت قائلة:

– إلى متى يا أدهم؟ كيف تفعل هذا بنفسك

فقلت لها بهدوء تام:

– لم أفعل شيء بنفسي هي من فعلت

– هي..هي.. لقد دمرتك يا صغيري وأنت تريد هذا..لقد عادت هلاوسك يا أدهم

– لم تكن هلاوس يومًا يا أمي!.

ثار غضبها ونهضت لتعاتبني بقول:

– كانت يا أدهم..تعالجت من الاضطراب من فترة طويلة ولقد اختفت هلاوسك فلماذا؟ تلوم نفسك الآن

كتمت غضبي وقلت:

– نعم، ألوم نفسي..ألوم نفسي لأنني لم أرى سواها كل هذا السنوات

– استفيظ يا أدهم هي مجرد وهم

قلت بنبرة حادة ولامبالاة:

– أتعلمين يا أمي هذا هو الفرق بينكم، أنتِ لم تسمعيني يومًا وهي استمعت لي دائمًا

تساقطت دموع أمي، كانت أشبه ببالون انفجر للتو، وكأن كلماتي كانت عبء ثقيل عليها..حاولت أن اقترب منها لتتوقف عن البكاء ولأنني فشلت، فقررت الانسحاب، نهضت من كرسي ولكنها قطعت بكاءها لتسألني بكل هدوء مميت:

– لماذا عادت يا أدهم؟

اخترق السؤال قلبي ولم أجد إجابة سوى ما أشعر به الآن فقلت:

– ربما لأنني أشعر أنها ستعود قريبًا

أومأت رأسها بيأس وقالت:

– لماذا لا تعود لاستشارة طبيب مرة أخرى؟

– لأن ما أشعر به الآن لا ينفع معه طبيب..

تركتها وتخطيت خطوة خطوة على درج المنزل، كنت مهلك وكأنني سأقع هنا، جررت قدمي للدرجة الأخيرة، وقفت في الردهة يبدوا المنزل لعائلة مورقة، الأثاث الذهبي والألوان الخافتة،وكأنك في منزل لرجل في التسعينات من عمره يهتم بكل تفصيلة، لقد خفت الضوء لدرجة الظلام، وقف في الردهة فلمحت ظل يتحرك في آخر الردهة، ظهرت هي، يكفي أن أراها تبتسم، تقطعت أحبالي الصوتية فليست لدي القدرة للصراخ، بنظرة تائه أنظر إليها نفس الفتاة ذات الثامنة عشر عام، نفس الملابس السوداء، ظللت ثابت مكان إلى أن اتجهت لي، درت ضهري لها وكانت هي في ضهري، صوتها يتردد في أذني:

– أن ذلك السم الذي لا يقتلك ولا يتركك تعيش في سلام

رمقتها بنظرة فقالت:

– لماذا كذبت عليها؟ أتظن أن هناك الكثير من الأسرار مازالت مخفية

أصبحت لا طاقه لي، كأني دمية لم يعد قلبي يؤلمني أصبح فقط يلقن ضرباته بداخلي، فقلت بنبرة مكسورة:

– أفتقدك كثيرًا

ابتسمت وقالت لي:

– لم أفتقدك أبدًا

ابتسمت من كلمتها، تابعتني كظلي حتى وصلت إلى غرفة بيانكا، أخذت جزء من فراشها لأنام بجانبها، وجدتها تعدلت من نومها ومالت علي لتفتح الضوء المجاور، فقلت لها:

– ألم تنامي بعد؟

أخرجت من تحت وسادتها ورقة بيضاء مقطوعة وفتحتها لأجد أن تلك الورقة هي نفسها التي كانت في صفحات كتابي، صدمت وسألتها بدهشة:

– كيف أخذتي الرسمة؟

– لقد تسربت لأذهب لغرفتك وسرقتها، أنا آسفة

ابتسمت من برائتها وقلت:

– لا تتأسفي

نظرت للورق، أمسكت الورقة وأدرتها لتظهر صور تايغيتا مرسومة بقلمي الرصاص.. فقالت بنبرة فضولية:

– ما قصتها؟

شردت في ملامحها وتذكرت الوقت الذي مر علي وأنا أرسم صورتها في عكس اتجاه رسمتها للكواكب..فقلت لها بانكسار:

– عن حورية كانت تعيش في أعماق البحار، ذات مرة قرر شاب حزين أن يلقي بنفسه في البحر ليتخلص من حزنه، فألتقطته من أعماق البحار، أعطته حياتها فأحبها بشدة للدرجة التي خاف أن يواجه بهذا الحب، فتركها في الأعماق وعاد للبر وتركها بعد أن خسرت حياتها من أجله فظل يعاني من حبها طوال حياته

قتلتني كلماتي، قتلني كل شيء، فرت دموعي، ضممت بيانكا إلى حضني فقالت لي:

– هل ماتت تلك الحورية؟

– لا أعلم

– لماذا لا يعود لها هذا الشاب؟

– لأنه لا يعرف مكانها

رفعت عيونها البندقيتان بلمسة من شعرها المصفر بخصلات برتقالية حريرية وابتسمت:

– لا تخاف ستعود

رجفتني الكلمة فضممت بيانكا إلى حتى نامت بعمق، ظل نظري معلق في حائط السقف يرسم كل مقابلتنا وكأن حياتي ترفض أن تمري فيها مرور الكرام، وضعت بيانكا مكانها، واتجهت في طريق لغرفتي فأوفقتني أمي وقالت بنبرة مكسورة:

– ما الذي فعلته هذه الفتاة ولم أفعله أنا يا أدهم؟

قلت بصوت هادم:

– عندما توفى آسر لم تكوني موجودة، كان مرضي يأكل في جسدي، كدت أذهب في طريق المخدرات بكامل إرادتي، في اليوم الذي أخذت فيه أول جرعة من المخدرات شعرت بالقرف من نفسي، ذهبت لأقتل نفسي ولكنها أنقذتني وأنقذت روحي من الهلاك، في اليوم الذي يليه لم أذهب لتناول المخدرات..ذهبت لها

أشتعل غضب في نبرة أمي وقالت:

– تذكر أنها أوهام يا أدهم.. أوهام

– أتعلمين يا أمي..هي أجمل وهم زار أحلامي وكوابيسي

تركت أمي واتجهت لغرفتي، أخرجت مذكراتي الخاصة بيكِ، وبدأت أروي لكي ما حدث لي إلى أنني أشعر بالنعاس الآن فسأضع مذاكراتنا وأنام..

* * *

نهضت فجأة وكأن شيء اختلج قلبي، نهضت وذهبت للداخل وأنا أخبر نوح أنني أريد وشاح لأنني شعرت بنسمات هواء، وقفت خلف الباب، لم أستطيع التحرك من مكاني، كل ما حدث كان موجع لي حقًا ومؤلم للغاية ورغم هروبي منه كل هذه السنوات إلى أن مواجهة الأمر أصبح ضروريًا، تكلمت مع نفسي بصدق ربما لم يكن للجزء الخاص بأدهم أهمية في القصة التي يجب أن يعرفها نوح، ولكنني لم أتمالك نفسي، لماذا تكلمت عنه، لقد فاض بي كل شيء، تنفست ومسحت دموعي وفتحت الباب لأجد نوح ينظر لي بابتسامة، تعجبت من ابتسامته وسألته:

– لماذا تبتسم بصدق هكذا؟

فأجابني:

- لأنكِ كنتِ ترتدين وشاح بالفعل، كما أنك لم تغيري وشاحك

شعرت أن مشاعري مكشوفة لتلك الدرجة، فابتسمت واقتربت لأجلس بجانبه على قطعة البر الصغير الملتصقة بالمنزل، جلست بجابنه وصمت فقال لي:

- يبدوا أنكِ كنتِ تحبين تايغيتا؟

سرحت في سؤاله بصدق هل كنت أحبها حقًا أم أنني لم أحبها، فضحكت وقلت:

- بالطبع لقد كانت صديقة مقربة لي

- أهناك ثغرة جعلتك ترفضينها؟

- نعم

صمت فقال:

- أظن أنه هو هذا الثغرة

فتعجبت وقلت:

- ومن هو؟

- أدهم

انسحب وجهي ولم أكن أتمنى الكلام عليه أبدًا حتى لو كان ما حدث اتجاهه حقيقي، تبدوا النهايات مؤلمة مهما زينها بالنسيان، أردت تغير الحوار فقلت له:

- هل نكمل قصة تايغيتا؟

فقال لي:

- لنكمل

* * *

كان اليوم الثاني لها، تفاجأت بزيارة سالينو لها، كانت معتادة أن تنام إلى أن تستيقظ فجأة بدون تحذير أول مواعيد، ومهما رأت أو استيقظت فكانت تعود لوعيها الساعة التاسعة، كانت دائمًا تدون هذه الملاحظات ربما تفيدها، رغم وجود سالينو في ليلة ممطرة رعدية، جلست هي وسالينو على بساط دافئة يغطي ثلث الأرض، كانت ضحى تظن أننا نبرد مثل البشر، حتى أدهم كان متعجب من قميصي ذات الأكمام الطويلة دون وشاح أو معطف، تبادلنا أطراف الحديث وكان الوضع ليس على ما يرام أبدًا، الجميع يريد موتي وموت سالينو، كانت للكثير من التعنيف والضرب ولكن سهيل كان يحميها دائمًا، رغم أن سهيل كان يظن أنها مشؤمة إلا أنه وقف بجانبها كالجبل، كنت أروي لها ما أراه كما كنت أخبر ضحى، انقطع الحديث فجأة عندما رأت ظل السيدة مريم يتحرك أمامها، ترك نداء سالينو وتحركت ورائها، كانت تلد.. تتعرق بشدة وتلهف أنفاسها، وأطلقت صرخة قوية تكاد تشقق بها الحائط، استلقت على سريرها وظلت تصرخ، دخلت السيدة بثينة وهي تحاول أن تهدأها، مرت لحظات عصيبة وتجمع نساء المبنى وترفض السيدة مريم أن تذهب للمستشفى كانت تردد بشكل دائمًا "سأموت أقسم لكِ أنني سأموت"

كانت تظن السيدة بثينة أنه عبارات خوف، تجمعوا وعزموا على أن تلد بشكل طبيعي، ولدت بعد صراخ متواصل، أطلقوا فرحاتهم وضحكاتهم وهم يقولوا:

- إنه ولد

قدموا له طفلها ولكنه لم تنظر إليه سوا نظرة واحدة، كانت مشاعرها لا تبدوا بخير أبدًا، ذهبت كل منهن إلى بيتها وبقيت السيده بثينة، تجلس في بهو البيت،

كانت السيدة مريم أمامي نائمة وبجانبها طفلها حتى فوجئت فجأة.! رجل طويل الهيئة، أمسك بالطفل بقسوة، ظلت السيدة مريم تهدأه، ترك الطفل بجانبها وقالت له:

- أرجوك أتركني أربيه

لم أستطيع رؤيته ودخلت في دوامة رؤية ولكن كلماته غليظة للغاية كانت آخرها:

- هذا ليس طفلي

انتهت الرؤية، وعادت للواقع..كانت سالينو تنتظرها لتستيقظ، رتبت على كتفها، فطلبت من سالينو الانصراف، وركضت إلى السطح، تقيأت كالمعتاد ولكن لحسن الحظ لم يأتي أدهم بعد، جلست على البساط تدور أفكارها، لماذا كان أبو فارس يكره لهذا الدرجة؟، فركت شعرها فوجدت أدهم يجلس بجانبها وبدون مقدمات قال:

- عندما أغمض عيوني سينتهي هذا الألم، سينتهي هذا الكابوس وسينتهي هذا اليوم أيضًا.. لقد أشتقت لك بشدة أريد أن أحتضنه، كيف تركني..كيف هان كل هذا وتركني؟

شعرت أنه في عسرة، فقالت لتهون عليه:

- لا تحزن ستكون بخير

فأجابها بعيون دامعة:

- لقد تركني وحيد بين طرقات الحياة، أريد أن أراه ونمزح ونركض، كان الوحيد الذي يجعلني أشعر أنني لست وحيد، لا أستطيع أن أتركه

عندما كانت تنظر إلى أدهم كانت تشعر أنها تنظر إلى فارس، فقالت له:

– ربما أشعر بك، فأنا أيضًا لدي صديقة على حافة موتها

– لماذ؟

– لقد أخبرتك عن أعدائي وهم يبحثون عني ويريدون قتلها

– هل ستعودين؟

– يجب أن انتهي أولًا حتى أذهب لإنقاذها

– أيمكنك أن تأتي معي غدًا لمكان ما؟

– إلى أين؟

– هناك أحد سيفرح رؤيتك

–من؟

– ستعلمين غدًا

كانت نظراته تفضحه دائمًا وكان دائمًا يحاول تخبيئتها، كان الصمت يسود بينهما بين كل حين، حلق في أفكارها سؤال فسألته وقالت:

– ماذا كنت ستكون لو لم تختار الهندسة؟

– الذهاب إلى الفضاء

ضحكت من كلماته التلقائية فقالت له:

– لماذا؟

– سأعيش في الفضاء بعيدًا عن أعين الناس

– أظن أنني فهمت ما تمر به

– ما هو؟

– عليك أن تؤمن بنفسك وبوجودك، خسارتك لصديقك مؤلمة وتجاهل الناس لوجودك يؤلم أكثر.. أسألك سؤال.. لو كان لديك مجموعة من الأصدقاء من ضمنهم آسر، هل سيكون فقدانه مؤلم كما هو مؤلم؟

– ربما مواساة الآخرين تفيد

–سيمر كل هذه الألم..كنت أظن مثلك أنني غير مقبولة وكان الخوف يلتهمني.. كان والدي صارم .. لم أتعامل مع حد سوى والدي وصديقتي والآن خسرت والدي وعلى وشك خسارة صديقتي

– أؤمن بأنكِ لن تخسري صديقتك

– لا أعلم أشعر أنني مجرد جبانة وتائه

صمت لبرهة وقال:

– لماذا لاتذهبي وتواجهي أعدائك وتتفاهمي معهم

فقالت:

– في بعض الأحيان لا ينفع التفاهم عليك إبداء ردة فعل.. أعلم ما يريدون مني

– ماذا يريدون؟

– إنه شيء ما يتعلق بالتقاليد

مدت يديها لتخرج قلادة كانت تحاوط عنقها ولكنها قد أخفتها داخل قميصها بإتقان، أخرجتها وكانت مضيئة ترسم شكل دائري، كانت ملفتة للنظر بشكل يضيء في عتمه الظلام، قال بذهول:

– إنها جميلة للغاية تبدوا كنجم مضيء

ابتسمت وأمسكتها وقالت:

– هذا ما بقى لي من أمي.. لا أعلم عنها سوى هذا النجم

- لا أظن أنه نجم يبدوا كوكب
- لا تبدوا النجوم كما تراه إنها شبيه بالكواكب ذات ألوان مضيئة
ضحك وقال:
- أشعر أنكِ ستقولين أن هناك أشياء تعيش على النجوم
صمتت للحظة وكانت تبدوا جدية، أمسكت بكتابه الملقى بجانبه وقالت:
- هل هناك أحد آخر يمكنه أن يأخذ كتابك؟
فأجابها:
- لا إنه كتابي
فقالت:
- هذا ما أقصده أن النجوم تملك لها مجسم قد يشبه البشر مع قدرات ولكن لكل نجم مالك يكون هو مالك هذا النجم
تعجب وقال:
- لا أشعر أن كلامك منطقي..وجود فضائين وارد ولكنه ليس أكيد
- هذا لا يخص الفضائين..
- لماذا تتكلمين وكأنكِ منهم
- لا.. أنا فقط مهتمة بالأمر
كان عليها أن تخفف حدة كلامها كي لا تنفضح..رغم أنها شعرت أنها تريد إخباره بحقيقتها ولكنها انسحبت.. تركته ونهضت قبل أن يقول بصوت مرتفع:
- سأنتظرك هنا غدًا في الرابعة عصرًا
رغم ترددها في مواعيد الحياة البشرية إلا أنه تعلمت القليل من ضحى..

* * *

كنت أتردد على زيارة قبر آسر من حين لآخر، كان هذا التصرف المقرب لقلبي أن أشعر أن صديقي يسمعني وأنني قادر أن أفرغ ما بداخلي، كنت مازالت أحكي له عن كل شخص يمر بحياتي، لقد حكيت له عن أحمد وعن يوسف وأنس..أصدقائي من الجامعة، رويت له كيف انشغلت بالدراسة طوال هذه السنوات، قد صادقتهم في وقت متأخر من جامعتي..حتى أنني رويت له عن سلمى وأن بمجرد دخولها في حياتي أصبحت أعاني مرة أخرى من تايغيتا، لم أحبذ أبدًا أن أخذ أحد من أصدقائي أو معارفي لزيارة آسر حتى أنني كنت أزوره في الخفاء حتى لا يعلم أهله، أصبحت عائلة آسر عنيفة معي للغاية بعد وفاة آسر، كانوا يلقون باللوم على عاتقي بسبب خطأ ارتكبه زوج أمي ولكن من يبالي بالحقيقة، أتذكر عندما جئت بتايغيتا إلى هنا، تلك الفتاة ذات البشرة البيضاء والخصلات البرتقالية حتى ألوان عيونها كانت لن تصدق أنها حقيقية، كانت بريئة حتى أنها كانت متعجبة من المكان، لقد عرفتها عليك كي أخبرك أنها أنقذتني من الانتحار، لم تصدر صوت ولم تتكلم معك مثلي وحتى أنها لم تتكلم معي، ظلت شاردة هكذا طوال الطريق حتى أنها كانت تغمض عيناها في بعض الأحيان بشكل مفاجئ، أتذكر كل مرة أتيت لك ورويت لك ما حدث لي حتى أنني رويت لك عن ابنتي بيانكا، مرت ثمانية سنوات ومازلت أتألم من فراقك كأنه البارحة، مازلت أحتفظ بالقميص الملطخ بدمك، مازلت أتذكر كل شيء كأنه البارحة، مسحت على قبر آسر ونهضت لأذهب.. مسحت وجهي في آخر كلمات سورة الفاتحة وأنا أودع جثة صديقي التي غطتها التراب بابتسامة هزيلة، كنت في طريقي للمنزل وكانت الشمس حاضرة مهزومة من الشتاء، وضعت رأسي على مقود السيارة في لحظات من

الراحة وعندما رفعت رأسي وجدتها تجلس بجانبى، كانت في نفس الهيئة التي زارت فيها قبر آسر معي، نبض قلبي بشدة..أنها هي تظهر مرة أخرى وهي شاردة.. التفت وابتسمت، كنت عرقت بشدة والتصق جسدي في مكانه، قالت بنفس حديثها لنفس اليوم:

– هل ستظل تنظر إلي؟ ألن نذهب؟

طرقات شقت النافذة فأفزعتني بشدة، رجل ضخم الهيئة يصرخ علي بقسوة لأفتح الطريق، تحركت سريعًا وهي مازالت بجانبي..لم أشعر بنفسي.. ظللت أتحرك بسيارتي التي أوقفتها أمام مبنى جديد فقالت لي:

– لقد تغير المبنى كثيرًا

ارتعشت وقلت:

– نع..م..نعمم

– هل أنت خائف من وجودي؟

– اذهبي أرجوكِ

– تتذكر عندما أخذتني لزيارة آسر وعندما سألتني عن منزلي أخبرتك أنني أعيش في ذلك المبنى القابل للهدم

– نعم أتذكر..أخبرتني أنكِ مختبئة هنا لأن أقاربك يبحثون عنك وأنكِ لا تريدين أن تؤذي أقاربك التي كنتِ تعيشِ معهم

– أنت تتذكر كل كلمة قلتها

– لا يمكن أن أنسى شيء عنك

– لماذا..؟

حركت سيارتي وانطلقت في الطريق حتى أنني فتحت المذيع بصوت مرتفع حتى لا أسمع صوتك ولا أسمع أسألتك..شعرت أنني نجوت عندما وقفت أمام منزلي ودخلت فورًا وكأنني أهرب من مجرم ما، وجدت أمي في بهو المنزل وتجلس أمامها سلمى، كانت أمي ترتشف كوب من القهوة، كانت سلمى تشبه الآنسات الراقية، ذات وقار وفساتين هادئة وابتسامة بسيطة مع شعرها الأسود القصير وغرة تغطي جبهاته مع حذاء مرتفع يرفع قامتها..بالنظر إلى سلمى تنظر أنها حفيدة لأحد ملوك الفراعنة ولكنها ليست ذات بريق مثل قميص تايغيتا الأسود ذات الأكمام الطويلة ولها خصلات متطايرة مموجة تحترق في كل مكان مثل شعر تايغيتا، ضحكتها بسيطه للغايه لا تكاد تذكر ولكن ضحكة تايغيا كانت عفوية تخرج من أعماق قلبها، لهذا السبب كانت أمي تحب ابنة جيراننا سلمى لأنها تنتمي لنفس طبقة أمي الراقية، ولكنني كنت أنتمي إلى تايغيتا دائمًا إلى الضحك في أوقات غريبة إلى اللون الأسود إلى الرقص تحت المطر إلى حرية روحي، ألقيت السلام وذهبت إلى غرفتي لأجد سلمى تطرق بابي بلطف وتستأذن للدخول، فتحت لها وسألتها عن سبب وجودها، كانت تضم يديها ومدتها لي فجأة لأجد قلادة تايغيتا في يديها..!!

قالت بلطف:

– جميلة للغاية ؟

انفعلت للغاية لأنني أترك قلادتك دائمًا على مكتبي، أخذت منها قلادتك وصرخت عليها قائلًا:

– لا أحب أن يبعث أحد بأغراضي..لا تفعلي هذا أبدًا ولا تتحكمي بشيء ليس لكِ

كان صوت مرتفع بنبرة حادة لدرجة أن أمي أتت سريعًا وهي تتعجب من صراخي، شرحت لأمي بنفس النبرة أنني أكره أن يبعثر أحد بأغراضي..هدأت أمي سلمى وأخذتها للأسفل بينما سرحت أنا في قلادتك وكأنها سحر أسود يأسرني بكِ، جاءت بيانكا قبل أن أغلق الباب، احتضنتها بشدة وأخذتها لتنام بجانبي، وأنا ممسك بقلادتك رغم جروح يدي، قالت بيانكا:

– تبدوا غالية لك

– نعم غالية

– لماذا؟

– تتذكرين قصة الحورية، يقال أن الشاب قبل أن يترك حوريته أخذ هذه القلادة منها كذكرى

– هل وافقت بعد ما حدث منه؟

– لا لم توافق..لقد أخذها دون علمها

– هذا تصرف سيء

– للأسف..ولكنها كانت ذكرى الوداع

– هل أطلب شيء؟

أومأت رأسي إيجابًا لتقول:

– لا تصرخ على آنسة سلمى

– حسنًا

دخلت أمي الغرفة وهي مغلولة مني بعد ما طلبت من سيدة الخدم أن تأخذ بيانكا لغرفتها عندما غرقت في النوم بجانبي، جلست على الكرسي الموضع أمام سريري، رمقتني بنظرة غضب وقالت:

– لمن هذه القلادة؟

لا أحد يعرف اسمك.. صمت للحظات ثم قالت بنبرة حادة:

– لا تلمس سلمى شيء من أغراضك.. كنت أشرف على تنظيف غرفتك وكانت سلمى معي، وعندما وجدت تلك القلادة ظننت أنك اشتريت لسلمى هذا القلادة، أنا أخطأت وظننتك فكرت جيدًا بمستقبلك

كانت أعصابي حادة إلى حد بعيد، لم أنوي الشجار كما أن خطأي كان واضحًا، فقلت:

– ربما أنا لا أفكر جيدًا في مستقبلي..أعلم أني أخطأت ويمكنني الاعتذار ولا تطلبي مني أكثر من هذا

– أنا أم يا أدهم والأم تشفق على ابنها وتكون بجانبه

حركن عيني اتجاهه في نظرة صامتة مني كانت تحمل الكثير من العتاب:

– الأم أيضًا تصدق ابنها

اشتعلت غضباً:

– لا أريدك أن تعيش في أوهام هذه الفتاة

– هذه الفتاة..!

حملت نبرة إشفاق وهي تنهض وقالت:

– لا يمكن لهذه الفتاة أن تكون هدمتك لتلك الدرجة

أغلقت باب الغرفة بعنف، التفت بعيني مرة أخرى إلى الكرسي التي كانت تجلس عليه أمي فوجدتكِ، لم أعد انصدم من وجودك فلقد أصبحتي تلازميني مثل ظلي، قلتي بنبرة ساخرة:

– كل هذا الغضب وهي لا تعلم الأسرار الحقيقية

لم أجيب، فأردفت في ثقة:

– لما لا تحاول إخبارها بالحقيقة؟

ردّت بنبرة باردة وكأني جثة هامدة:

– لا أريد

ضحكت بسخريه وقالت:

– هل تشعر بالذنب؟

– لا

– كاذب

– اذهبي

– لا يمكنك للأشياء أن تذهب بمجرد قول هذا، أقسم أنني لن أذهب هذه المرة إلا على دمارك

– تلقائي أنا مدمر

– لا لا ليس بعد

نزلت دموعي رغمًا عني، رغم تركيزي الشديد على الحائط الذي أمامي كمحاولة يائسة مني أن لا أواجه ما يحدث إلا أنني فشلت، خانتني دموعي وتساقطت بشدة وكأنها تشق قلبي أجزاء، كيف للبكاء أن يشق القلب قطع ثم يضمد هذه الشقوق، أزحت الغطاء عني ثم سحبت المذكرات الخاصة بكِ

وقلمي.. أغلقت الأنوار واتجهت لغرفة بيانكا لأنام بجانبها، أضأت نور بسيط للكتابة، وأثرتني الأحداث إلى تلك اللحظة، وكالمعتاد سأضع المذكرات الآن وقبل أن أكمل كلماتي استيقظت بيانكا، نظرت لي ولمذكراتي والقلادة التي بيدي الآخرى، فركت عينها:

- هل مازلت مستيقظ؟

- للأسف

- مازالت القلادة بيديك

نظرت إلى القلادة وحركتها لرقبة بيانكا، كانت مندهشة عندما رأتني أضع القلادة على عنقها:

- لماذا تضع لي قلادة الحورية؟

شردت ثم قلت بابتسامة:

- لأنكِ حورية مثلها

- لكنها خسرت حبها لا أريد أن أخسر

فقلت بنبرة مكسورة:

- لا تختاري رجلًا يشبهني ولن تخسري

- لا يا أبي لا أريد سواك حتى وأن خسرت، احتضنتني حضن عميق كان يرطب على قلبي ويعيدني للحياة، كنت أشعر بوجودها أن مازال هناك سبب يجب أن أحارب من أجله في هذه الحياة، مازال هناك حضن يحتويني، أشعر وكأنها من صلبي ومن دمى، أشعر وكأني طفل مثلها ولا أريد سوى أن تكبر أمام عيون، أتذكر كيف حملتها لأول مرة، كنت خائف ولكنها كانت ملاك بريء، لم أشعر سوى بها ومنذ اللحظة الأولى كنت أشعر أنها ابنتي، أنها من

دمى حتى لو رفض العالم بأكمله هذه الحقيقة، رتبت على كتفها وضممتها لتنام بسلام، وأكملت كتباتي وقبل ما أنهي كلامي أريدك يا ابنتي أن تحبي رجل لا يشبهني، ربما لست قادر على أخبارك بهذا لأنكِ تظني أنني بطلك، ماذا لو علمتي أن هذا البطل أضعف من الدمية التي تحضنيها عند نومك؟. هل ستظلي تنظرين لي نفس النظرة، لست خائف سوى من المواجهة.!

* * *

كانت مكسورة، تبكي بحرقة النار تحرق قلبها كجمر جهنم، كانت هشة تقوقعت حركتها كأنها في رحم أمها، كان تنهيد بكاءها يكسربشدة، شعرت تايغيتا لو أنها تذهب وتواسيها، لكنها ذكريات لاتستطيع إرجاعها فقط تتذكر الشعور الذي تركته هذه الذكريات بداخلك، كانت ترى معاملة السيدة مريم لفارس، كانت معاملة سيئة للغاية قادرة على هدم كل مشاعر الأمومة، ولكن دموعها التي تطلقها في غرفتها كانت بمثابة إعصار من مشاعر الأمومة، كيف لك أن تطلق طفل في الشارع في منتصف الليل لمجرد أنك لا تريد وجوده، كيف أن تجبر مشاعرك على شيء لا تريده، كان اللوم والعتاب يطرق بابها كل يوم ، كل جيرانها يطلقون عليها اللوم والصراخ ولكنها لا تبالي ، كانت السيده بثينة تزورها وتعطيها نصائح، إلى أنها توقفت بعد آخر لقاء لهم، كان سري ولم أستطيع رؤيته، لكن نظرات السيدة بثينة كانت عميقة للغاية، وكأنها تحمل عذر كافي لأفعالها، حالة الاختناق والتقيأ المعتادة، حتى رؤية أدهم كانت معتادة لكن لماذا دائمًا في نفس الساعة؟، خطوات معتادة لكنها بشعور رائع، شعور يختلف كل مرة وهي لا تحدد اتجاه ولكنها تميل إلى كونها علاقة صداقة رائعة، ربما خائفة أن يكون شيء آخر منه؟، هل سيكون أدهم خسارة جديدة

تسبب لها الآلم؟، هل تخاف قلوبنا من رصاص الحب القاتل، نظن أن قصص الحب مستمرة وأسطورية، رغم أن أغلب قصص الحب لا تكتمل، لا قصة تكتمل فينتهي الواقع بفراق جارح أو موت، خطوات تشدها للجلوس بجانبه بابتسامة هادئة، وجدته مهوس بالكتب التي أمامه والورق المتناثر والبكاء المتوتر، انقبض قلبها وسألته ووهو مستمر بدموعه:

– لماذا تبكي هل أنت بخير؟

بعيون باكية وهالات سوداء تغطي عيونه كما يغطيه معطفة من سقيع الشتاء:

– أظن أن نوبة اكتئاب تداهمني وأنا مقبل على امتحانات، أنا خائف أن أرسب

– جميعًا لدينا أشياء نخاف منها، أشياء تحطمنا.. علينا أن نقتل هذا الخوف، أسوء النتائج هي أسوء شيء يحدث لنا، لا تخاف لأن رغم أسوء الأسوء نحن نتنفس، لدينا فرصة

– هل لديك شيء تخافين من أن تفعليه؟

– نعم، أخاف من الوثوق بشخص يحطم ثقتي..أأنت؟

– أخاف من الوقوع في الحب، لست صديق جيد ولا ابن مطيع حتى أني مريض، أتحطم يوميًا وتخرج روحي من جسدي ألمًا، أخاف من أن أحب شخص وأنا لست قادرعلي محبة نفسي للآن

شعرت أن الحديث يجعله يشعر بالمعاناة فقالت:

– حسنًا أنا سأساعدك في الدراسة

ضحك وهو ينظر لها بشكل استهزائي، فغضبت بتمثيل:

– لست فاشلة إلى تلك الدرجة يمكنني أن أساعدك في الرسم الهندسي مثلًا

– صديقتي البريئة ستساعدني؟

- لست بريئة إطلاقًا ويمكنني قتلك الآن
- لا لا أريد أن أموت منتحر

تمايل المكان بصوت ضحكاتهما، وضع أدهم ورقة بيضاء وبدأ يشرح لنور وكأنه معلم يشرح لطالبة، كان هذا يحسن من نفسية أدهم في الفهم والتكلم، كانت نوبات الإكتئاب عنده شديدة للغاية فكان يرفض حتى أن يتحرك من سريره أو حتى الإجابه على الهاتف، لكنه تحرك اليوم فقط لأجل أن يأتي ويراها، كان يكذب مشاعره رغم أنه أخبرها أن نوباته مؤذية ولكنه لم يخبرها أنه يأتي لرؤيتها، كان يكذب نفسه ويقول أن تغير الأجواء يساعده، إلا أن شيء ما بداخله كان يرفض تقبل هذه الحقيقة، الحقيقة كانت ترفض تقبل نفسها، يحجبها الخوف فيهرب إلى أعذار بالية كانت يخطتف نظرات لها وهي تساعده في الرسم الهندسي، كان يضحك على ضحكاتها وعلى تركيزها، يلطخ يديه بالقلم الرصاص على أنغام الموسيقي، يزعجها شعرها فتلفه حول يديها ويديها الأخرى تكمل عملها، كانت مختلفة..

* * *

كوكب الأم العذراء

سقط مشبك شعري سهوًا، لما يعد شعري مثل شعر تلك الفتاة المراهقة، أصبح شعري مختلف، أصبح كل شيء في مختلف حتى أنني أرتدي فساتين ملونة وهادئة، أمسكت بمشبك شعري كان يعني لي الكثير، كانت هدية من أدهم، أتذكر أن اللقاءات زادت بطريقة غريبة، كان أدهم يجلس معي قبل الذهاب إلى محاضرته وعندما يأتي في الثامنة مساء يظل ينتظرني عندما آتي في

التاسعة، كانت أحاديثنا ممتعة ومضحكة، كنت أشعر معه بالأمان وكان ذات مزاج متقلب، ولكن لم يهمني ذلك حتى أنه كان يبكي فجأة من فرط الوجع، كانت تنتابه نوبات اكتئاب حادة، يخلط ضحكته بدموع، يتكلم عن آسر وأتكلم عن سالينو، كنت أشعر أني بحاجة أن أخبره بحقيقتي فليس من العدل أن يظلم بحقيقتي، كنت أشعر أن النهاية تقترب وكنت خائفة من النهاية التي كنت أسعى إليها من البداية، أمسك نوح بيدي وهو يواسيني:

- هل أحبته؟

- لم يعد يهم

- لكنها حزينة

- لا لم تعد كذلك

- لماذا لم تخبره بحقيقة مشاعرها؟

- لقد كانت خائفة من الحقيقة، من حقيقة مشاعرها.. من حقيقة نفسها

ضممت على مشبك شعري بقوة جعلته ينكسر، كان يجب أن ينكسر

تلهف نوح علي عندما جرحت نفسي بعلامات من المشبك وصار يصرخ قائلًا:

- لا يجب أن تفعلي هذا

كان فعلي بارد:

- لا يجب أن تبقى الذكريات حتى لا نتألم

- أنتِ مخطئة، الذكريات هي من تجعلنا أقوى

- أعتقد أنها جعلتني أقوى بما يكفي والآن حان الوقت لتتخلص منها

- توهم نفسها بعدم حبه....!

– عندما تكذب الوعود وتنفذ المحاولات وتنتهي قدرتك على التحمل ويصبح عبء ثقيل عليك، يلتف كل شيء حولك فيؤلمك..عليك أن تتظاهر بالكراهية ربما ينجح تظاهرك وتكره

– لماذا لا تبحث على فرصة أخرى؟

جمعت خصلات شعري المتطايرة وشردت بصمت ثم نظرت له :

– لم يعد هناك طريقة لفرصة أخرى، ولم تعد تايغيتا موجودة لتبحث عن فرصة أخرى

نهضت لأبحث عن رباط لشعري في الداخل، جمعت شعري بعنف ووقفت للحظات أتذكر تفاصيله وضحكته وحديثه لم يكن بداخلي سوى جملة واحدة تنطقها تايغيتا (لماذا يا أدهم؟) ولم أجد الإجابة للآن، ولم أبحث عن الإجابة ربما لأنها لم تعد مهمة، تنفست الصعداء وتركت كل شيء خلفي كما تركت تلك الفتاة المراهقة، خرجت مرة أخرى لنوح، يجب أن أكمل قصتي..

❋ ❋ ❋

كيف مرت السنين كاللحظات، يمر كل شيء مرور الكرام ويبقى كل شيء بداخلك، هكذا مر ثماني سنوات كمر الفرس في حلبة الركض، كانت اللحظات معتادة تمامًا، خناجر من الصراخ المستمر..قسوة مفرطة على فارس، جلسات صامتة مع السيدة بثينة، طفلة صغيرة تحملها السيدة بثينة بجانب تميم تدعي "ضحى"، كنت أرى ضحى تكبر مع خطوات فارس، عندما تطرد السيدة مريم فارس للخارج في منتصف الليل، كانت نظرات ضحى له وخوفها يكفي، كانت السيدة مريم ترفض رؤية فارس لوالده كثيرًا، رغم عنف المعاملة من والد فارس وعدم اهتمامه بابنه، كان والد ضحى يهتم

بفارس رغم عدم رضاه على تصرفات أهله، كانت حزينة وكأن أحد أخبرها بمصيبة قادمة، أغلقت باب غرفتها.. أمسكت بأوراق طبية وانهمرت في بكائها، أسندت نفسها وهي تفتح الخزانة في ارتباك، أخرجت قلادة تشبه قلادة تايغيتا، التشابه كان لحد كبير، انصدمت وهي ترى قلادتها..!!، أمسكتها السيدة مريم بقبضتها وتغلبت على ألمها ووقف أمام المرآة كانت تايغيتا بجانبها، صورة لإمرأة مكسور وامرأة أخرى تحاول جبر الكسر، رفعت يديها بنظرة حادة وارتدت قلادتها، مسحت على بطنها.. وانتهت الصورة، نهضت تايغيتا وهي تحدق في كل شيء من حولها، ضاق نفسها وركضت بدون توقف، يتردد أصوات العالم من حولها، ترن صوت ضحى تارة وصوت السيدة مريم..أبيها..جميع الأحداث، صفير من الألم والتعب، ران الصمت وهي تفتح عيونها على قلق أدهم، يمسك بقرورة الماء ويلتهم الخوف من ملامحه، بدأت تستغيث من دوران العالم بعقلها، أسندت نفسها وتهربت نظراتها الجبانة، ربط أدهم على زمام نفسه وقال:

– هل أنتِ بخير؟

– نع..م بخير.!

رفع نظراته وقال بحزم:

– لقد هويتي ساقطة قبل الوصول إلى هنا.. تقيأتي كثيرًا وهلوستي أيضًا.. والآن استيقظتي

– أشارت إلى ساعته وقالت:

– كم الوقت؟

– التاسعة

صمت أدهم وقال مستهزئًا:

– هل اشتقتي لكوكبك؟ أم أن لعنتك تؤلمك كثيرًا لهذا الحد

كانت كلماته أشبه بكأس ماء مثلج يتساقط دفع واحدة على رأس تايغيتا فانسحب الدم من وجهها، وارتشع جسدها وابتلعت ريقها وقالت:

– أستطيع توضيح كل شيء..!

– لقد تكلمتي عن كل شيء أثناء نومك.. أظن أنكِ مريضة نفسيًا؟

تنفست الصعداء واستجمعت قواها، وأغمضت عيونها ليضئ قلبها بالشكل المعتاد، انفزع أدهم وعاد للوراء بخطوات مرتبكة، لترتفع عن الأرض بضع سنتيمترات، كملاك هبط للتو، ثم تعود لحالتها الطبيعة ويتبدل كل شيء إلى هيئتها الإنسانة فقالت:

– أمازالت تظن أني مريضة نفسية؟

اضطربت دقات قلبه بعينين بارزتان بالخوف قال:

– ألديك قدرة خارقة؟

ابتسمت وتابعت:

– أنا نجمة وكل ما رويته لك أثناء إغمائي كان حقيقي

تبدلت ملامحها:

– لم أستطيع إخبارك كنت خائفة

صمت قليلًا وقال:

– هل أنزلت السماء لي نجمة؟

– ربما

– هل ستتركيني؟

- إن لم تتركني لن أتركك أبدًا

لمعت عيناها تلك المرة، رأته وسيم وكأنه شعور مريب يراودها، تبادلا الضحكة وكأنهما تقبلا بعضهم البعض.. قد تظن أن المظهر الخارجي والكلمات المضمدة كافية لتثق بالآخرين وقد تظن أن الحب كافي وتجهل أن الحياة لا تقام على قدم واحدة، بدأت تروي له كل شيء بشكل مفصل وتجنبت ذكر الأسماء، حتى أنها أعطته عنوان المنزل الذى تمكث فيه

* * *

وقفت من شرفة ممتدة من قصر مظلم كبير يطل على ظلام العالم، لا شى سوى الظلام الدامس وكأنهم يعيشون في حداد دائمًا، تتابع الصمت، فقط نظرة أخيرة لما عانت منه في هذا الكوكب، كل خسارة واحتقار.. كل ألم وخوف، كل نظرة رفض من انتمائها للعائلة المميزة، محاولة إظهار نفسها مثلهم كان يقتلها بصمت، تحسست شعرها الذي لا يشبه البنات، بحثت بداخلها فلم تجد سوى غضب وعصبية ومحاولة لإثبات نفسها كمحاربة ليست ابنة الملك، أرادت أن تكون هي فقط بأفكارها بتميزها بثقتها، أرادت حرب تثبت قوتها، قانون يمحي استعبادها كنجمة، وفرصة توقف قدراتها التي تنزفها لإثباث صدقها، رفعت كف يديها لتجد الخدوش والعلامات تغطي يديها، تتذكر كيف أمسكت تايغيتا بهذه اليد بعد أن كرهت نفسها كطفلة، الجميع يحارب الآن لوجودها بعد أن أصبح إعدامها على المحك، مهما بلغت قوة أبيها لن يوقف قرار من النجوم الأبراج، أحيانًا نقتل الحق فقط لنسكت أفواه الظلم، هكذا سيقتلونها لأنها أنقذت صديقتها، يقتلونها لأنها أخفت سرها كل هذه السنوات.. يمر شريط حياتها لم يظهر فيه سوى صديقتها، الجميع أتهمها

بالكره ولكنها هي من أحبتها، كل شيء تقترب من تحقيقه يموت ببطئ كما ستموت هي، ستنزف طاقتها فتنهمر في النهر وينتهي كل شيء ويعود الصمت.. تخافت صوت خطوات من خلفها لتجد أخيها وهو يرتجف من الخوف، انضم لحضنها وانفرط البكاء بدموع زرقاء لامعة وكأنه طفل صغير، وكأنها تجهل من الأكبر فيهما.! كان يبكي بحرقة وكأنه يتأسف على الكلمات السامة طوال هذه السنوات، تشعر بقيمة الشيء عندما تفقده أو عليك الاستعداد لفقدانه، كان يتقطع وهو يقول:

– أرجوكِ..اهربي، أخبريهم أن تايغيتا ستعود..اخبريهم بالحقائق

ابتسمت ببرود ورتبت على كتفه:

– لن نخبرهم بشيء.. اترك القدر يأخذ دوره حتى لو كان موتي

– لماذا؟ ستقتلين من أجلها

– لماذا تجهل كلمة صداقة يا سهيل، نعم سأضحي بروحي من أجلها.. كانت هنا عندما لم أجد أحد.. كانت تؤنس خوفي وتشجعني.. سحبت روحي من الظلام الذي لعنت به

– لا يمكن أن أتركك يا سالينو

– لقد تركت طوال عمري ولأن يشكل الأمر فارق الآن

ركضت لتحضنها فجأة.! مهما قست عليك كيف كانت قسوتها فتظل الأم، ستفقد ابنتها التي هي قرة عينيها، ستفقد ابنتها بعد أن وجدتها أخيرًا.. ظل أبيها يراقب الموقف في صمت.. يرفض وجودها ولكن لا يريد موتها، ويرفض إظهار مشاعره كان صارم في قرارته لا يرحم أحد والآن يأخذون قطعة من روحه ليتأكدوا من صلابته، كان يعلم أن إظهار ضعفه الآن سيهدم

كل شيء وسيتحول الباقي من حياته إلى جهيم، ظل يراقب دموع أمها بفستانها الأسود وملامحها المتقاربة إلا أن شعر أمها كان يتدل بنعومة، نظر إلى ابنة الشاب مفتون العضلات لقد ورث عنه القوة وأخذ مشاعره من أمه، كانت تحب السيطرة كما كانت تحب أمه، تنفست سالينو وهي تقول:

– سينتهي كل شيء قريبًا.. كنت وحيدة طوال هذه السنين..مشؤمة من أمي كفتاة.. ومنبوذة من أبي كخائنة والآن أنا سأموت في سبيل الشيء الوحيد الذي أحببته سأموت من أجله بشرف.. سأموت من أجل الحرب

صاحت أمها قائلة:

– لا ترددي هذا الكلام.. ستهربي.. سنفعل كل شيء لإنقاذك

تركهم سهيل وهو يركض بين ظلام يتخطى درجات القصر ويركض حافي القدمين وحيدًا كالثور الغاضب، ركض بلا توقف..تمطر دموع عينيه فيمسحها ليكمل طريقه، وصل إلى النهر وهو يركض ليصطدم بغشاء واقي فيعود للوراء مغشي، يقف مرة أخرى وهو يحاول اختراق الغلاف المحيط بالنهر ولكنه حصن منيع، سجنته النجوم الأبراج حتى لا تستطيع سالينو الهرب.. صرخ وصرخ من قلبه وكأنه يستدعي تايغيتا لتعود وتوقف إعدامها، كان خوفه من فقدان أخته يداهم عقله وينهش قلبه، ركع كالذليل أمام الغلاف لا يستطيع الوصول ولا يستطيع المضي قدمًا وترك كل شيء.. ظل يراقب المكان بخطوات متباعدة، يبتعد عن كل شيء ويلقي بنفسه في ظلام الطرقات المهجورة، لا تفارقه صورة أخته وهو ضعيف الحيلة لا يستطيع انقذِها، سمع آنين مهلك لأحدهم فظل يتبع الصوت في غرابة وهو يبحث

عن مصدره، ليفتح باب بيت من البيوت المهجورة وهو بيت وحيد مهلك بين التلال فيجد أحدًا ما، كانت رؤيته صدمة مدمرة.!

* * *

تهواك النفس لتغادر لأماكن تركتها منذ زمن بعيد، تشد بك العواصف لتحملك إلى أماكن تركتها منذ زمن بعيد، لتتذكر من تركت هنا وكيف اصطدمت ضحكت بالوقت الذي هدم كل شيء حتى الأشخاص، كانت تلك كلماتي أمام النهر، يتسايرون الناس ويتبادلون الضحك والخوف، يمرون أمامي، يهرولون من الشتاء ويدفئون أنفسهم بأشخاص يأنسون وحدتهم، ملت نظرات لأراكِ بجانبي، تحدثت أنا هذه المرة دون خوف منك:-

تتذكرين تلك الليلة التي علمت فيها أنكِ حورية؟

ابتسمت وتابعت:

- تبادلان فقط النظرات، انتظرتك تخبريني بأنك تحبيني ولكنكِ أخبرتيني عن سالينو قبل أن تمطر بشدة، نظرتي للسماء برعبَ وكأنكِ رأيتي شبح وطلبتي مني بخوف أن أدلك على نهر النيل، رويتِ لي الخطر الذي تمر به سالينو طوال الطريق، تمنيت لو أني صديق لك كي تحبني هكذا، توقفت هنا سيارتي أمام النهر، غطى المطر الزجاج وكانت نظراتك كافية وأنت تقولي لي أنك ستلقي بنفسك من النهر لأنه معبر الكوكب، تقولين أن لا شيء أغلى من صديقتك، أردت أن أجعلك تتوقفي كنت خائف من عدم عودتك، قبل أن تنطلقي

أشارت إلى الرصيف وقلت:

- عندما تخطيتي هذا الحد لم أعد أراكِ، ذهبتي إلى كوكب أخر

نظرتي إلي دون كلام، وتوقف العالم وتوقف الزمن، شعرت للمرة الأولى أن خيالك حقيقي، شعرت أنكِ معي، قطع الصوت صورة بيانكا وهي تركض لي وبيديها الذرة المشوي، تركض كالفراشة وهي تائها في شعرها المتناثرة وضحكتها المشمسة وألوان فستانها تسحب فوائدي وكأنها عصب حياتي، اقتربت مني لتعطيني الذرة ومدت يديها بلطف تطلب مني أن أجمع شعرها في ربطة واحدة، سحبت ربطة شعرها من معصم يديها، تلك اللحظة أعدتني للوراء وأنا أعطي تايغيتا مشبك الشعر كهدية، لم أكن بارع في اختيار هديه أبدًا ولكن في طريقي إليها بعد آخر يوم من امتحاناتي، وجدت نفسي أمام محل بسيط من الهدايا، استقبلني رجل كبير السن وهو يعرض متنوعات من الهدايا، كنت خائف ومحتار ومكركب المشاعر، فوجدته يقدم لي هذا المشبك البسيط لونه أزرق فاتح تتوسطه فراشه صغيرة، كان جميل ولامع حتى أنني تخيلته في شعرها، وأنا أخذه قال لي الرجل جملة لن أنساها،" لابد أنها مميزة عندما قدمت لك هذا المشبك لامعت عيونك وابتسمتي، كان تفكيري كيف سيكون مظهرك به، وهل ستوافقين أن ينسحب شعرك في مشبك؟، كنت أظن أنها تحبه هكذا، لكنها فرحت بشدة لرؤيته.. فرحت كطفلة صغيرة، لم تتعلم كيف ترتديه، ولكنها حاولت إلى أن نجحت، كانت نجمه حقًا، كانت مشاعر حبي لها تداهمني فأرفضها خائف من نفسي، قتل شرودي صوت بيانكا وهي تقول:

– هل يمكن أن يؤذنا الأشخاص الذين أحبناهم؟

كان سؤال صادم، رتبت على كتفها ونحن نستند على ظهر السيارة وقلت:

- لا يكون الحب كافيًا، الحب وحده لا يسند الحياة.. من يحب قد يأذي أو يحقر أو يكسر.. فالحب وحده ليس عمود كافي لبناء علاقة
- كانت لي زميلة في الصف وكانت مقربة لي بشدة، ولكنها استهزئت بي أمام الجميع لأنني أردت المشاركة في نشاط مدرسي للأم
- لا تتركي أحد يكسر منك ولا تضعي علاقتك في الحياة على الهوامش، كل ما يتعبك هو قابل للترك، كل ما يحزنك عليكِ أن تطرديه خارج حياتك لكنكِ تسحقي أحدًا يقدرك ويحترمك، الثقة تعطي للأشخاص الذين يستحقوننا ليس للأشخاص الذين يحبوننا
- سأصبح وحيدة إن عاتبتها.. قد لا تصبح صديقتي.!
- وماذا إن أصبحت وحيدة فترة ثم وجدتي صديقة أخرى تقدرك؟، إن تركتك فهي لا تستحقك لأنها مخطئة، أتعلمين ما هو المؤذي أننا نخاف من فقدان أشخاص لن يبالوا أبدًا من فقداننا..

قالت بعزم:

- سأتعبها وألومها وإن تركتني لن أحزن فأنا لم أخطئ

ابتسمت وتابعت قال:

- لا يهم من المخطئ، قد نسامح على أخطاء الآخرين فقط أن كانوا يستحقون السماح، أما للعتاب فلا تفقدي نفسك في مناقشات فقط أعلني عن سبب حزنك واتركي الأمر
- وهل يسامحنا الله؟
- الأخطاء ترتكب دائمًا وأعظم الأخطاء يسامحنا الله عليها والشرط الوحيد هو توبتنا، فلا يوجد سماح لمن يتفاخر بخطأه

صمتت لوهلة ثم قالت:

- هل أسألك عن شيء؟

- بالطبع

- كيف كنت عندما ولدت؟ وهل أشبه أمي أم أبي؟

كنت خائف من هذا السؤال، أما الآن فسوف أحارب هذا الخوف:

- رأيتك عندما كان عمرك ثلاثة أشهر، كنت صديق مقرب لأبيك وكنت أتودد إليه باستمرار لرؤيتك، كنتِ صغيرة وبريئة، عندما حملتك أول مرة رأيت فيك ما فقدت من عمري وتمنيت أن تكون أنتِ الباقي من عمري، أما عن الشبه فأنتِ تشبهيني لأنك ابنتي أنا

كانت جملتي الأخيرة ترسم ابتسامة على أبواب شفتاها، نظرت إليها بفرح مضطرب، مازالت أخفي عنها الحقيقة ولا أريدها أن تتعذب، كنت أرى دائمًا أنني لست جدير بشيء إلا هي كانت الشيء الوحيد الذي يجعلني أشعر أنني جدير بفرصة أخرى في هذه الحياة، كانت تشبهني أنا، موج ناعس من المطر بقوة، خاف قلبي على بيانكا فأخذتها في حضني لتركب السيارة سريعًا، أدخلتها بسلام وهربت من قطرات المطر وأنا أحاول فتح باب السائق، تعثرت نظراتي ونظرت للسماء، كانت هي، نجمة.. رأيت تلك النجمة عندما قفزت للنهر دون أن أراها.. سرعًا ما ظهرت نجمة في السماء مضيئة..، هل هي مازالت على قيد الحياة؟، هل مازالت نجمة.!؟، ركبت سيارتي وانطلقت، وانطلقت معي أفكاري التي لا تطاق.

* * *

كان لنوح فضول عميق لمعرفة كيف كان الكوكب، لم ترى الكوكب كما رآه شعبها، كانت دائمًا متخفية من شيء لا تعلمه، كانت دائمًا محبوسة لسبب مجهول، كان يخبرها أبيها أنه يجب التخفي، لم تصدق هذا الكلام، كانت دائمًا تتساءل عن سبب اختلافها؟، لماذا خصلات شعرها ملونة وليست بيضاء أو سوداء مثلهم؟، لماذا يضيء قلبها وينبض وهم ليسوا كذلك، لماذا ترتدي بنطال أسود وقميص أسود مثلهم؟، لماذا عيونها ذات ألوان مختلطة؟، لماذا تتعلم لغات مختلفة؟، كانت لديها عادات غيرهم، بنية جسمها كانت هزيلة ولكنهم كانوا أقوياء حتى نسائهم، كانت جروحها تسرب لون أزرق مثلهم، وكانت إجاباتها دائمًا مجهولة ومفقودة، كانت إجابة والديها واضحة أن يومًا ما ستعلم الحقيقة، رغم فضولها الجامح اتجاه أن ترى الحياة وتختلط بالناس لم يكن لديها سوى سالينو التي تعرفت عليها في محض الصدفة، كانت تشبها كثيرًا في العزلة والخوف، اختلاف الشكل كان واضح حتى أن قدرتها كانت واضحة عكسها تمامًا، كانت من الشجعان الذي تركوا الخوف وذهبوا للبحث عن أنفسهم، تاهت من والداها فصعدت التل الهزيل لتهرب من كل شيء حولها، وجدنا بعض ولم نترك بعض ولم يعلم أحد عن المنزل ولا عن الغرفة ولا المخبأ الذي اعتاد أبيها أن يضعها فيه..، ظلت سالينو تحافظ على سرها، ظلت لا تعلم سبب اختلافها وكان يجب أن تبحث عن الأمر بنفسها، ابتسمت لنوح وقلت:

– تشاء الأقدار ولا يغير السوء سوى الدعاء، وإن شاء القدر ياصغيري عليك أن ترضى به وتعلم أن حكمة الله معنا دائمًا

نظر لي نوح وبدأ يتحدث:

– هل كان الظلام يعم الكوكب؟

– نعم كان كوكب مظلم تكاد لا ترى نفسك من الظلام ولكن نجوم الكواكب التي تحيطنا كانت مضيئة وكان ضوئها طفيف ولكنه مؤثر

– ماذا فعلت تايغيتا عندما وصلت كوكبها مرة أخرى بعد هذه الأشهر؟

– أتظن أن العودة للماضي سهله؟

– لا أعلم، لا أظن أنها سهله

– في بعض الأحيان يجب أن تقتل ماضيك لتتنفس

* * *

توهان من الألوان، تسبح في بحر من الألوان، تدور وتتأرجح وتنظر لكواكب مضيئة وأخرى منطفئة، الفضاء بردائه الأسود يزينه مجسمات حية، تغلق عيونها تارة وتفتحها تارة، كأنها طير حر بلا قيود بلا خوف، أنت على كف الفضاء يحملك لتصل بسلام، سقطت على الأرض وهي تتنفس الصعداء، شجعت نفسها لتقف على قدميها، تمسح جبهتها المبللة وشعرها وملابسها الغارقان في ماء لزج بعض الشيء، سحبت أنفاسها، خلفها النهر السرمدي بعمقه وطوله يجري به ماء لازج بنقاط ذهبية، أمامها غلاف واقي يغطيها بالكامل ليحجبها عن باقية الشعب،وضعت يديها على الجزء الجانبي من بنطالها لتخرج حجر الأوبسيديان، تفحصته بإمعان، ورفعت نظرها لتنظر إلى الشعب الذي تجمع أمامها، أمالت نظرها وهي ترى حارسان محجوبين الهيئة يمسكون بصديقتها سالينو ليحملوها إلى مثواها الأخير، كانوا ينتظرون أن يأتي أحد من النجوم الأبراج، يستعدون للإلقاء بها من حافة خشبة طويلة، يداهمها شعور المواجهة، يتحدثون عليها بصوت خافت، يلقون الأحجار

عليها فترد لهم مرة أخرى، ابتسامة سهيل، وجه سالينو الهادئ، كان عليها أن تستنزف قواها لتحمي صديقتها، تحركت نحوها بخطوات مرفوعة الرأس، اقتربت من الغلاف، انتظرت بشغف ومدت إصبعها الخنصر وهو يخترق الغلاف ويمسك بيدي سالينو، جذبتها بقوة، قوة جعلتهم عاجزين أن يمسكوا بها، مرت من الغلاف بسلام لتستقر في حضنها، احتضنتها بقوة وكأنها تعلم بأنها لن تتركها أبدًا، والآن زادت الفوضى وزاد المقبلين على انتهاك الغلاف والوصول إليها، يديها الأخرى تمسك بالحجر، توتر وجه سهيل، فقررت أن يسيل دمائها الملعونه على الغلاف، لم تتردد أبدًا فالفوضى تزداد والغلاف الذي صنعته النجوم الأبراج يتفكك، اقتربت من الغلاف وشجت يديها بحرف الصخرة، تساقطت قطرات من الدم.!،كانت المسافة بين الغلاف والنهر بسيط للغاية، كانت قطرات الدم أشبه بصاعقة كهربائية، كيف لها أن تنزف دمًا.؟، مع سقوط أول نقطة دم، اشتدّ الغلاف وبدأ يكون طبقة قوية تتزايد بشكل أوقف الفوضى وأصبح الجميع مذهول، عادت للوراء ويديها تمسك بيد سالينو، عادت للوراء وكأن الغلاف يعود بناء نفسه كما تسلخ الأفعى جلدها، كانت تعود للوراء خطوة تلو الأخرى إلى أن أصبحت يديها المجروحة على طرف النهر، كادت تسقط بعد أن فلتت يديها من شدة التبلل خوفًا، فأمسكتها سالينو بخنصر أصبعها كما فعلت تايغيتا، سقطت قطرات دم في النهر، فأصدر النهر أنين صارخ يكاد يشقهم من قوة الصوت، صكوا الأذان وأنين النهر لا يتوقف كطفل يبكي على وفاة أمه، في تلك اللحظة.. كان حضور نجوم الأبراج ، أصبحت المواجهة أشد شراسة، حاولت ملكة برج العذراء مد يديها لإختراق الغلاف.. ارتدت للوراء مسافة

وكأن قوة ما طردتها، خاف الجميع وأكثرهم تايغيتا، صمت تام.. مع كلمات الملكة وهي تقول بعقل:

– تايغيتا اخرجي...لتتكلم

لم تثق فيها فهي كسرت أملها بعد أن حاولت قتل صديقتها.. التقطت أنفاسها وقالت:

– لا لن نتكلم.. أردتي نفي صديقتي

– تايغيتا.

عليكِ الوثوق بي لم أكن أنوي أذيتها

– كذب.. لم يعد يهمني سواها..لماذا استغليتي عدم وجودي؟

تراجع الجميع خطوات للوراء وظلت الملكه فيرجن تتقدمهم، صمت هائل للحظات قبل أن يتردد في أذنها أحد ما ينادي عليها وكأنها استغاثه صريحة، شيء ما يردد اسمها " تايغيتا..تايغيتا...تايغيتا "، شعرت بانهيار تام في كامل جسمها، رمقتها بنظرة حادة ثم رفعت يديها لتجذب نيزك مشتعل من الفضاء وتوجهه اتجاه سهيل الذي أمسك به الحراس بقوة وهو يقاوم في سبيل إنقاذنا، نظرت لي باستحقار وقالت:

– مازلتِ لا تعلمين شيء .. مازالت الأسرار مخفية يا صغيرتي.!

صوبت الصخرة اتجاه سهيل وتركتها، في تلك الحظة توقف كل شيء، فقدت وعيها من كل شيء، فتحت عيونها بين الحين والأخرى كانت ترى تشويش وصراخ، كل شيء كان مبهم يتأرجح بين الحين والأخر، ملقاه على جانبها، ترى جسم ما.!، من هذا أو هذه؟، ترتدي قلنسوة غامق اللون، تتحرك بهدوء، عقلها يفترض افتراضات غريبة، هناك أحد ما نائم أمامها..إنه

سهيل.! .. سالينو.! الملكة.! الأصوات..! شيء ما يضرب رأسها بقوة..، استيقظت بإجبار لتلتفت لها الفتاة.!، كان وجهها مغطىً بالكامل ولا تظهر سوى شفتاها الرقيقتان، بكلمات رقيقة وصوت لين:

- لا تخافي

أسندت رأسها على حائط، في غرفة تشبه غرف المهدومة، تنام سالينو أمامها على فراش أرضي بالي، وأمامها سهيل على فراش آخر بجانبه معدات غريبة، غرفة لا تتعدى أربعة أفراد ذات سقف مفتوح، ترفع رأسها لترى الفضاء كما يجب أن يكون، بيوتنا لا تشبه البيوت البشرية، بيوتنا من صخر غامق مظلمة طوال الوقت، بيوتنا رديئة جدًا ولكن هذه رديئة للغاية، زحفت لتصل إلى سالينو وهي تطمئن عليها بخوف، تعدلت في جلستها وظلوا ينظران إلى الفتاة التى تحوم حول جسد سهيل، همسات خافتة بنظرات شك مريبة، كان لسالينو جرح نازف في جنبها، فاقتربت الفتاة المجهولة، أزاحت يد تايغيتا من جرح سالينو، كانت يديها غريبة فكانت شفافة للغاية تشبه مكعبات الثلج ولكنها ليست واضحة، استقامت يديها وبدأ يتطاير من يديها نقاط ما تتطاير لأعلى، نقاط كثير للغاية كأن أحد ما يفرغ زجاجة من الماء في مغسلة لكن الفرق هو اتجاه الماء على الأرض لأسفل، والماء في يديها لأعلى، تبدوا وكأنها قدرة عجيبة، رأت هذا يحدث عندما حركت الملكة فيرجن الحجر دون أن يلمس يديها، ظلت عيون تايغيتا وسالينو في صدمة، دفعت الماء إلى الجرح فطاب وكأنه لم يكن..، أزاحت القلنسوة لتظهر فتاة مكونة من الثلج، إنها حقًا مكونة من مكعبات ثلج، تتناثر منها شعر أزرق اللون بدرجاته، بين الخصلات السماوية

وغمقان الحبر، تفتح عيونها بهدوء لتظهر أمواج حقيقية في عيونها، مكعبات من الثلج مركبة لتكون هذه الفتاة، ابتسمت بلطافة وقالت:

– أنا سارة

انصدمنا من كونها لا تشبه أرض سيريس ولكنها تتكلم لغتهم، قاطعهم صرخات سهيل المفجعة، فنهضوا جميعًا ليقفوا بجواره، أدارت نفس الكرة بتحريك يديها ودفع الماء للجرح، نظرت إلينا مع آخر صرخات سهيل وقالت:

– يجب أن يشعر بالألم فجرحه عميق

قالت تايغيتا:

– هل هو بخير؟

أجابته

– سيصبح بخير.. عليه أن يرتاح قليلًا

قالتها وهي تفحصه، جلسوا جميعًا في دائرة، ران الصمت للحظات فأخرجت سارة زفير وقالت:

– أنا من أنقذتكم عند النهر، أستطعت أن اختلق عاصفة وأخذتكم

فقالت تايغيتا بدهشة:

– كيف اخترقتي الغلاف؟

– لست من هنا، الماء و الثلج هم قوتي الحقيقية، استطعت اختراق الغلاف بعد ما حركت عاصفة حجبت الرؤية، كنتِ مغشية وسالينو كانت تحملك فأصيبت بحجر طائش، وسهيل كان يحترق بنيزك، استطعت حملكم في عاصفة مائية وجئت بيكم إلى هنا

بنظرة ثاقبة من سالينو وهي تشد يديها:

– من أنتِ؟

سحبت يديها بقوة، فتكسر يديها كما يتكسر الثلج، نمت يد أخرى من الثلج بديل لليد التي انكسرت، انفعلت من تصرف سالينو وقالت:

– أنا أحاول مساعدتكم

فقالت سالينو بفزع:

– أنتِ من كوكب أورانس

أومأت رأسها إيجابًا، كان ثوبها الأزرق الفاتح قديم يحاوط جسدها مع قلنسوة ليظهر شعرها وعيونها ونحت وجهها الثلجي، في تلك اللحظة استيقظ سهيل من غفوته وبدأ يتحرك ببطء، سارت سريعًا وهي تعدل جلسته، نظر إلى جرحه المغطى بقطع من الثلج، ولا يظهر منه سوى ندوب بسيطة، عبس من جروحه وتسأل عن ما حدث، بدأت سالينو تروي له ما حدث وعن سارة، بينما كانت سارة تحضر شيء ما على قدر كبير، أسندوا سهيل ليجلس بينهم، نتبادل نظرات الحيرة، فتقدمت سارة وبيديها حساء الأوبسيديان، وضعته أمامنا وقالت:

– لقد أحضرته بوصفه مني، سيساعدكم كثيرًا لِتكونوا بخير

قال سهيل بصوت هادئ:

– لماذا تفعلين هذا معنا؟

– لأنني أشعر بكم.!

– تشعرين بنا؟

مسحت دمعة فرت من جفنها وقالت:

- هل يمكن أن تنهوا طعامكم؟

كان الحساء غريب ولذيذ، لم يكن مثل حساء المعتاد كان به لمسة خاصة، تناولوا الحساء، عندما انتهوا، شردت سارة قليلًا ثم قالت:

- سنلعب لعبة وستعرفون من خلالها كل شيء

تعجبوا من أسلوبها ومن طريقتها، بدأت حديثها وهي تقول:

- كان جدي من أعظم أطباء أورانس، كان جدي يستطيع تسليط قدرته في شفاء الجروح، لا أحد يمتلك هذه القدرة سوى القليل، حتى أنهم يفشلون في تسليط قدرتهم، ننقسم من كوكب أورانس لقدرات مختلفة، جميع قدراتنا تنتمي لأقمارنا، أنا وعائلتي من قمر بيانكا، هو القمر الذي يعطينا قدرة الثلج والماء، نعيش جميعًا في أورانس وتختلف قدراتنا باختلاف انتمائنا للأقمار، كنت أنا عون جدي في رحلتها، تعلمت منه القدرة وورثتها منه، لم أكن أجمل جميلات أورانس، لم أكن سوى فتاة مطيعة لأمي وأبي، كنت رفيقة جدي في رحلته، مرض جدي في يوم مرض شديد، ذاب جليده، كان لديه موعد مع أحد الملوك لسوء الحظ، ذهبت للملك في اليوم التالي، كان جبار وظالم، قسى علي ولم يقبل اعتذاري سوى بشرط، أن أقبل الزواج من ابنه، كان ولده متدنئ الأخلاق، رفضت..ظل يلاحقني وظل ولده الطائش يطاردني، هددني بأنه سيسحب من أمي وأبي ثلجهم فيختفوا، هددني بأنه سيوقف الماء عن جدي ولن تلتئم أمراضه، ضاقت الدنيا علي، فوافقت إجبارًا، في يوم الزفاف، استيقظ جدي وقال لي آخر كلماته، قال لي أن أهرب ولا أعود، أن أقفز من حلقات أورانس وأترك القدر يحملني لحياة جديدة، هربت بالفعل، ركضت كثيرًا، وقفت على حلقات أورانس بعد ما تهربت من الحراس وصنعت لهم

عواصف تلهيهم عني، كانت تلك المرة الأولى التي أرى فيها الكون، رأيت نفسي الضائعة، تركت نفسي تسقط في الحلقات، ابتلعني القدر، استيقظت هنا في كوكب سيريس، استطعت الهرب من الحراس ولم يستطعوا رؤيتي ولم يضموني إلى الأسرى، كنت أعمل مع رجل يسمي "رجل القنطور"، كان صعب أن تعمل فتاة في الخامسة عشر من عمرها، كان في الأربعين من عمره يعيش مع زوجته، لم تنصفهم السماء وترزق نجمهما بنجمة صغيرة، ضمني له ورباني كإبنته، علمني حتى وصلت للعشرين من عمري، لقد قُتل، لقد ضعف نجم برج القوس، فحوله لقزم أبيض ليولد طفل آخر يحمل نوره نجم الرجل القنطور، أما زوجته الطيبة، ألقوا بها في النهر السرمدي حتى لا تفضح سره، وتركني وأنا في التاسعة عشر من عمري، ظللت أمكث هنا وأتهرب من الحراس، هدموا بيتنا.. قررت أن أعيد استخدام قوتي كنت أتدرب لأنتقم منهم جميعًا حتى وصلت العشرين.. لقد ولد بي شر اتجاه النجوم الأبراج، اتجاه كوكبي، اتجاه الكون، حاوطت نفسي بهذه القلنسوة وكنت أتدرب هنا، عندما علمت بنفي سالينو وأن النجوم الأبراج ستتجمع، أردت أن أنتقم، لكنني أنقذتكم لسبب ما بداخلي

مسحت دمعة من دموعها المتساقطة، وقالت:

– أعلم بقصتكم

كان سهيل شديد التركيز عليها، بينما همست تايغيتا لسالينو وهي تقول لها باللغة العربية:

– هل تثقين بها؟

ابتسمت سارة وردت قائلة:

- تعلمت أيضًا اللغة العربية

رفعت نظراتها بهدوء وقالت:

- إن أردت أذيتكم..لن أنقذكم.. لم يكن لي أصدقاء من قبل

قال سهيل وهو ينهض:

- اذا سنكون أصدقاء

تعجبنا من حماس سهيل فهو بطيء في ثقته، لماذا هو سعيد هكذا؟، ناد على سالينو وقال:

- سيسأل كل منا سؤال ونتعرف على بعضنا

تابع قائلًا:

- سأبدأ أولًا.. ما أكثر شعور شيء تخشون حدوثه؟

أشار بيده لسارة لتجيب، فأجابته:

- الغربة

فأشار لسالينو لتجيب، فأجابته:

- الهزيمة

أشار لتايغيتا لتجيب، فأجابته:

- الحب

قال سهيل:

- أخاف من الوحدة.. لماذا نحن نعاني جميعًا من المشاعر التي نخشى حدوثها؟، تغربت سارة عن أرضها، أوشكت سالينو أن تهزم وتعدم، أحبت تايغيتا أبيها واختلافها فأصبحت لعنة، أما أنا فعانيت من الوحدة لاثنان وعشرون عام من عمرى، كنت ابن الملك الذي يعامل باختلاف، لم أصادق

صديق رائع،ولم اقترب من أختي، ظهرت بالصورة المرسومة أمام الكوكب كما يجب أن تكون، كنت خائف من خذلان أمي وأبي وأن يكون مصيري كمصير أختي، فكنت أساعد أبي في مجالسه بأن كوكب سيريس سيعود، بأن الظلام سيذهب عن قلوبنا، لقد جهلت أن اللعنة الحقيقية هي قلوبنا وليست تايغيتا

كانت كلماته خائبة النبرة، فأرادت تايغيتا تلطيف الأجواء فقالت:

-أفضل شعور حصلت عليه؟

أشارت لسهيل فأجابها:

- عندما وقفت بجانب أختي، عندما تخلصت من منهج حياتي ونصرت سالينو

أشارت لسارة، فقالت:

- عندما هربت من الزفاف.. تركت كل شيء وركضت، ظللت أركض ألمًا وخوف، وصلت للحافة، تركت نفسي للقدر

أشارت لسالينو، فقالت:

- اليوم الذي مدت يدي لأتعرف عليكِ

صمت للحظة وقالت:

- أفضل شعور عندما واجهت الشعب بأكمله، عندما وقف أمامهم لا يفصلنا سوى غلاف، شعرت للمرة الأولى أني قادرة على مواجهة العالم.

توقفوا جميعًا عن الحديث وهم يستشعرون لحظات حياتهم، قاطعت شردهم سارة وهي تقول:

- ليس أمان البقاء هنا.. سيبحثون عنا في المناطق المهجورة

نطقت تايغيتا قائله:

– لدي مكان آمن

لم تتوقف نظرات سهيل لسارة، كانت معبرة للغاية، اهو حب أم شكر لإنقاذ حياته؟

* * *

وقفت في شرفة المستشفى، الكثير من الأصوات والاستغاثات، هدوء صامت يحل على أرجاء قلبي، رياح رطبة تلمس وجهي وتربك جسدي ببرودتها، بيدي قهوة ساخنة تطفئ نار قلبي، خطوات بطيئة من خلفي، التفت لأرى الطبيب، حدثني بشفافية تامة فقال:

– مهندس أدهم أنا أقدر تعلقك الشديد بحالة المريض، ولكنك تعذبه حقًا، أرجوك أعد التفكير

كنت صارمًا للغاية في قراري، متمسك بآخر خيط من أمل نجاته، فقلت له:

– أنا متأكد من قراري، لن تتوقف الأجهزة أبدًا ولو دام الأمر لمئة سنة، لن أخسر صديقي أبدًا

يأس الطيب من إصراري والتفت مودعني بخيبة رجاء من أملي، غريبين من يريدون منا أن نيأس بهذه السهولة، قد نيأس حقًا ولكننا لا يجب أن نستسلم مع أول الطريق، ما الفائد من حياتنا لو قررنا انهائها أمام كل مشكلة تصيب قلوبنا؟، تنفست الصعداء والتفت لأنظر للعالم مرة أخرى، وجدت فتاة وقفت بجانبي، لقد أخطأت لم تكن فتاة، كانت أنتِ، فقلت بتهاون:

– مرحبًا... هل اشتقتي لتعذيبي؟

ابتسمت باستهزاء، فقلت بحزن:

– أنتِ حقًا تعذبني.. فقط أنا آسف يكفي

– أعذبك؟ يبدوا هذا مضحكًا للغاية، وأنت لم تعذبني؟، آسف؟ لا يكفي اسفك

– إذا لماذا لا تتركيني؟

– أريد أن أراك تنهار.. أريد أن أرى دموعك بسببي، لن تنساني وسأظل في ذاكرتك

– أنا انهار حقًا..! أنا أعاني بالفعل

– لا يكفي..

نظرت لي بحادة، واقتربت وقالت:

– سيظل اسمي يتردد في أذنك، ستسمع صوتي في كل فتاة، سأكون هنا في كل مكان

قلت بغضب:

– أنتِ لست تايغيتا، أنتِ نفسي التي تولمني، تايغيتا لا تؤذني أبدًا، أنتِ لست هي أنتِ شيطانة

ضحكت بشكل شيطاني وقالت:

– لا تتغير الأشياء إن أجبرت نفسك على تغيرها، ولن أذهب حتى لو أجبرت نفسك على أنني خيال..!

أنا حقًا تعبت من المجاهدة في سبيل نسيانك، تأفأفت، صوت يأتي من خلفي.. تقول الممرضة:

– آنسة نور الطبيب يستدعكِ

وقعت كلمة نور على قلبي، فلتفت لأراها..لم تكن هي، بالطبع ليست هي، همست لنفسي:

- مؤلم عدم وجودك

أغمضت عيني، أتذكر اللحظات بإتقان وأنا أخرج من حقيبة ظهري التي تحتلني فوق معطفي الأسود، أخرجت مذكراتي الخاص بك، الآن انتهت من تدوين ما حدث،! هل تظنين أنني مصاب بك؟، هل سأنجو هذه المرة؟

* * *

لم تتردد لحظة في الذهاب إلي بيتها القديم لتحتمي فيه، تخفينا ووصلنا بآمان، لم تكن من هواة الحديث أثناء الرحلة، لكن حديث سارة عن طبيعة كوكبها كان ممتع للغاية، مدت يديها لتفتح الباب، هنا تركت روحها، هل ستجد أبيها؟، هل سيستقبلها بحضن عميق، وضعت سالينو يديها فوق يديها، تقدمت سارة ووضعت يديها هي الأخرى، اقترب سهيل وقال:

- إذا ستنجح قوة الفتيات..!

ضحكوا جميعًا وفتحوا الباب، تغرغرت عيونها بالدموع لمجرد رؤية غرفة أبيها، تلك الغرفة الواسعة مفتوحة الباب، أمامها درج يأخذك للطابق الثاني، في الأعلى كانت تقع غرفتها، حبست دموعها وقالت:

- هذا المكان آمن.. يوجد هنا مخبأ أرضي، إذا حدث أي مكروه نستطيع التخفي... سيمكث سهيل في غرفتي، أنا وسارة وسالينو سنمكث في غرفة أبي

وافق الجميع على الفور، بالفعل اتجه سهيل لغرفتي واتجهنا لغرفة أبي..

توقف الزمن للحظات، كيف تركت كل هذه الآلام هنا، لم تشعر بوفاه والده، كان عون لها في هذه الحياة، الذكريات تؤلم حقًا لو فقدنا أحبتنا، وقفت ولم تتحرك.. هنا رأت جثته، هنا بكت بشدة، جثت بركبتيها على الأرض، ألن أراه مرة أخرى؟، أريد رؤيته بشدة، فقدت سيطرتها على دموعها، كان قدوتها، العالم الذي خلقه لها لايبدوا كما زينه لها، احتضنتها سالينو بقوة، لم تستطيع الوقف على قدميها، همست لسالينو وهي تقول:

– لم أحظى بالوقت الكافي لأحزن عليه.. كنت أبكي كل ليلة

– لا تخافي لقد ودعته في النهر بشكل لائق

كانت دموعها هزيلة، اقتربت سارة منهما واحتضنتهما، أسندتها سالينو لتقف على قدميها، دست نفسها فوق فراش أبيها وهي تقول لنفسها:

– تركتني وحيدة... لقد طعني شر العالم من بعدك، أفتقدك بشدة

كانت تنام سارة على يمينها وسالينو على يسارها يضمهما فراش واحد، لم تستطيع النوم كان رؤيته تطوف حولها، تراه في كل مكان، تسمع صوت ضحكته، أسندت رأسها ونظرت للسماء وانهمرت دموعها بصمت، تتألم من فراقه، تعيد شريط حياتها وتتذكر كلمات "مازالت الأسرار مخفية يا صغيرتي"، ماهي الأسرار المخفية؟، ما سر قلادتي المشابهة.؟، فزعت سالينو من نومها وقالت بهمس وهي ترتب على كتفها:

– ألم تنامي؟

قالت بحزن:

– لا

– في ماذا تفكرين؟

– في الأسرار المخفية؟، ما هو اللغز الذي يحيرنا جميعًا؟، متى نشأت نجوم الأبراج؟

تعدلت سارة من جلستها وقالت:

– لا أريد التدخل ولكن أنا أحمل إجابة

نظرنا لها فتابعت:

– يقولون أن أحد العرافة البشرية تواصل مع نجمة من نجوم السماء، كان الكون واسع والكواكب والشعوب موجودة ولكن تفقر للهوية والأسماء، استطاع هذا العراف إضافة الأسماء للكواكب وأصبح من الكبار، لقد تعدى هذا الرجل على قدرة الخالق، فقد اتخذ السحر وسيلة للمرور للأكوان، أصبح ظالم وهو يسيطر على الكواكب، كان يحب نفسه ويتباهى بها، أراد أن يأسس قوة نجمية، أقام عهد دفع ثمنه حياته، كان العهد يضم نجوم إلى بعضها البعض ويكونها في أشكال رسمها على صخور كوكب سيريس، خضعت النجوم لأشكالها وأصبحوا ذات أشكال مجسمة، وبقيت النجوم الأخرى تحقق الأمنيات والمساعدة، وتحول كل شيء للعنة دائمه

قالت تايغيتا بدهشة:

– كيف أصبحنا بقلوب مضيئة؟

فأردفت:

– يقولون أن هذا العهد قام على أرض سيريس وبعدها أخرج النهر أول طفل يحمل قلب مضيء

– أظن أن هذا غريب.!!

كان سهيل يتصنت علينا، فتح الباب بشكل مفاجئ وقال:

– لا أريد التدخل ولكنني أريد أن أشارك في الحديث

تبسمنا جميعًا، جلس سهيل أمامنا وقال:

– هناك شيء ما أخفيه

صدمنا جميعًا عندما قال:

– في ليلة إعدام سالينو ذهبت للنهر لإفراغ ما بداخلي من غضب ولكنني توقفت عندما سمعت أنين ما.. عندما اتجهت للصوت وجدت حارس السماء مصاب

حدقنا به جميعًا فذهول، فتابع قائلًا:

– لقد أسعفته وذهبت به إلى أحد البيوت المهجورة، طلب مني أن أخبر تايغيتا بزيارته عند قدومها

تعجبت سالينو وقالت:

– ما الذي يخفيه؟، ولماذا أصيب؟

قالت سارة:

– ربما يعلم شيء هام بخصوص الأسرار

توترت تايغيتا وقالت:

– لا يمكنني تركه، هو بمثابة أبي..علينا الذهاب الآن

تايغتيا

كان لقاءنا بحارس السماء من أهدافي، كان بداخلي رغبة شديدة في معرفة الحقائق، كان شعوري ملازم بأني لا أعرف الحقيقة كاملة، طرقت على الباب بخفاء، كانت سالينو وسارة ملازمين لي وبجانبي سهيل يراقب المكان، كان بيت مهدوم من البيوت المهدومة في ممر بعيد عن الأنظار، لم يكن هذا الممر

الوحيد في كوكبنا الذي بهذا الشكل، كان هناك الكثير من الممرات في كوكبنا بهذا الشكل، كان كوكبنا مظلم حق الظلام، همس سهيل من وراء الباب ليقطع شرودي، استقبلنا حارس السماء بخوف وحذر، جلسنا بصمت، تكلمت بلهفة:

– سيدي، أريد أجوبة لجميع أسئلتي.! لماذا أصبت؟ وماذا يحدث؟، وممن كان يحميني أبي؟، ما قصة اللعنة والنهر والذكريات والعهد

رتب على كتفي وقال:

– ابنتي، هناك أسئلة لا يمكن الإجابه عليها، قد تكون الأجابة حقيقة مدمرة

– ماذا يعني هذا؟

– سأخبرك بكل شيء الآن لم يعد بيدي حيلة لأوقفهم

تابع قائلًا:

– هناك قصة حقيقية وراء كل شيء، لقد علموا الحقيقة، سحب ذكريات المميزين يا تايغيتا

لم يكمل جملته حتى قذفت كرة ملتهبة من النار لتتوسط قلبه، حدقت بصمت مريب، دهشة تامة من مشهد قتله، استجمعت قواي وركضت نحوه وأن أحمله بين يدي، تدلت قلادتي من عنقي، أمسك بها بأنفاس أخيرة وقال:

– ذكريات المميزين.. اش..اشربي من النه.. النهر..أخاكِ.. لا تتركِ الحقيقة ناقصة أرجوكِ

كانت دموعي ترتجف من وجداني، مسح بيديه على خدي وقال:

– ألعنيهم كما فعلوا بكِ يا صغيرتي

انطلقت سارة نحوي وهي تتحسس مكان الثقب، كان عميق لا يكفي قوة سارة ولا يروي نار قلبها المشتعلة، لم يكتفوا بقتل أبي، لم يكتفوا بدماري، أمسكت سالينو بيدي لنهرب، مددت يدي بداخل ثقب جرحه، أمسكت بقلبه، كان هشه مدمر، متلون بألوان غامقة، لم استيقظ من صدمتي إلا بعد هروبي، كنا نركض ومازالنا نركض حتى عندما استقرينا وراء تل يطل على النهر، جلست سارة بجانبي تلتقط أنفاسها، ظلت عيون سالينو مسلطة علي وأنا لا أشعر سوى بانهيار تام، أملي الوحيد في معرفة الحقيقة ذهب، كل ما أعلمه هو مجرد كلمات تكون جملة واحدة تنقذني، لم يكن الوقت كافي لانهيار ووجب علي الآن اتخاذ قرار حاسم، وقفت أمامهم بصمود وقلت:

– سألقي بقلبه في النهر ثم سأذهب للأرض، سأحل مشكلة تركتها وسأعود ثم قلت:

– سهيل أريدك أن تبحث لي عن عقار يساعدني في رؤية الماضي وتخلطه بماء النهر

شرد سهيل ثم قال:

– هذه العقاقير ممنوعة، لكنني سأحاول

أجبت بضيق يفرز غضب:

– حسنًا، سأذهب الآن وعندما أعود سأفضح الحقيقة

تحركنا جميعًا باتجاه النهر، كانت سالينو تجاورني بينما سهيل وسارة كانوا يتبادلوا الأحاديث والحلول، كانت سالينو تقوي نفسيتي، لكنني كنت متجاهلة كل شيء، نظرت لها بصمت وقلت لها بدون سابق إنذار:

– ماذا ستفعلي عندما تنتهي هذه الحرب؟

ابتسمت وقالت:

– إذا نجوت، سأكمل تعلمي في استخدام الأسلحة، سأطور من نفسي لأكون محاربة حقيقية تحرك النيزك

نظرت لي وقالت؛

– أنتِ؟

– لا أظن أنني سأنجو، ولكنني سأتغلب على خوفي

– أي خوف؟

– كنت أخاف من شيء ما، كنت أخاف من شعور بداخلي.. أظن أنني سأعترف بهذا الشعور

قالت بنبرة حادة:

– هل ستظلين في كوكب الأرض؟

صمت لبرهة وقلت:

– لا أعلم ولكنني إذا نجوت سأعرفك على أحدهم

ضحكت سالينو وقالت:

– هل تمزحين؟ أنا أعرف الجميع.. ضحى، فارس، تميم، سيلين

– وأدهم

نظرت لي نظرة الثعلب وقالت:

– أدهم؟ أنا لا أعرفه

ابتسمت رغمًا عن أحزاني، جعلتني ابتسم من حركاتها، هكذا هو الصديق، أنه الجبل الذي يحميك من ضربات الحزن وكأن حظي كان جيدًا لمرة واحدة عندما تعرفت على سالينو.... وصلنا أمام النهر، وقفنا إلى جانب بعضنا،

اخترقت الغلاف، ومددت يدي أمام النهر، داهمني شعور بالدوار، اسمي يتردد في مسمعي، ألقيت بالقلب من يدي وتركت نفسي أيضًا تسقط مثله.

* * *

هل النظر إلى السماء يكفيني لرؤيتك؟، ماذا لو جلست عمري بأكمله أشرد في النجوم، هل سأراكِ؟، هل دموعي ستكفي لرجوعك؟، كان يقولون أني رجل صامد لا يحب ولا يختلط بالناس، كانوا يقولون أني أسود بالكامل، صامت، مريب، مريض نفسي، عندما يغضب يدمر الجميع، كدت أقتل زوج أمي، دمرت غرفتي من الغضب، لا أتكلم، لم يراني أحد أبكي من قبل، معقد، غريب، وحيد، أما أنتِ الوحيدة التي ناديتني بأدهم.، عندما ناديتني بأدهم تركتك تذهبي، خفت من نورك، خفت أن أتغير، ثم مسحت دموعي الهاربة عندما سمعت صوت صديقي أحمد من خلفي، رحبت به وجلس بجانبي وقال بحماس:

– سألت السيدة رنا عندك وقالت أنك في السطح، جئت لأطمئن عليك، لقد غبت كثيرًا يا أدهم.. مر شهران يا صديقي وأنت لا تهتم بأشغال الشركة

قلت بنبرة هادئة:

– لا أريد العودة للعمل الآن

فقال بغضب طفيف:

– ماذا يعني هذا الكلام؟ لقد تشاركنا في هذه الشركة معا يا أدهم، ونعمل كشركاء.. لا تتركني الآن

– أنا تركت كل شيء منذ زمن يا أحمد

– هذه الفتاة السبب أليس كذلك؟

- هي
- هل تسمح لي بسؤالين؟
- تفضل
- مرت ثمانية سنوات كيف تذكرتها الآن؟
- لم أنساها لأتذكرها، كنت في محاولة دائمة لنسيانها، لقد ألقيت بنفسي في أمواج الحياة.. درست وأسست شركة وتهربت من كل شيء
- لما لا تكمل تهروبك؟
- لا أستطيع، عندما واجهت أمي وهي تطلب مني الارتباط بفتاة..شعرت أني استيقظت بقوة، ألمتني بشدة عندما نظرت إلى سلمى، وعدت لنقطة الصفر.. ما السؤال الأخر؟
- كيف أحببت؟ كان الجميع يتكلم عنك في الجامعة وفي الثانوية أنك شاب صارم الشخصية، لم نراك تقترب من فتاة أو تحاول مصداقة أحد، كنت عابس الوجه، كنت وسيم، تكاد تكون أوسم شاب في جامعتنا، لكن تعاملك الغاضب وهدوءك المعقد لم يكونوا كافيين لتفسير حالتك

ابتسمت وقلت له:

- لقد تعالجت في مصحة نفسية، ظنت أمي أن المصحة النفسية ستساعدني، تعالجت بالفعل ولكنني ظللت عالق في ترك اللحظة التي تركت فيها نور
- تدعي نور؟
- نعم، عندما تركت نور.. تركت نفسي معها، لم أعد أبالي بشيء، لم أختار أي شيء من يوم افترقنا سوى بيانكا، كل شيء أصبح من اختيار الآخرين، حتى

أبي الذي تركني عاد ليتحكم في حياتي تحت اسم أب اشتاق لابنه، كانت أمي تصد أبي عن حياتنا ولكن الآن حلت مشاكلهم.. أتعلم ما المؤلم؟

– ما المؤلم؟

– لقد اتحدوا فقط عندما علموا بمرضي، مجرد شفقة.. لم ينظروا لي كأبن لهم

– هل بحثت عنها بعد فراقكم؟

تنهدت وقلت:

– بحثت كثيرًا وكثيرًا

– هل تشعر بالذنب إتجاهها؟

– لم أخبرها أنني أحبها.. تركتها بدلًا من إخبارها بحبي

رتب أحمد على كتفي وقال:

– حاول أن تعيد حسباتك يا أدهم، ربما هي وهم حقًا.. سلمى أيضًا فتاة جيدة

–أنا حقًا أتمنى لها التوفيق يا أحمد، لا أريد أن أجرحها ولا أريد أن تتألم بسببي

قال:

– هل جربت أن تعطي نفسك فرصة أخرى؟ يقولون أن هناك ألوان أخرى غير ألوانك الغامقة، هل جربت أن ترتدي سترة زرقاء سماوية أو برتقالية؟

ابتسمت من أسلوبه وقلت:

– علاقتي بالحياة ليست جيدة، تشبه علاقة الإنسان بالموت، يظل الموت مجهول الهوية للإنسان وعندما يحين موعده لا توجد عودة أو فرص أخرى، أنا وحياتي نمشي في طريق مجهول، وعندما تضربني بقوة لا أستطيع الاستمرار بالعيش فقط استمر بالتنفس

– هل جربت أن تمشيان في طريق غير مجهول، أن تبحث عن سبب منير يضئ حياتك؟

– لا يمكن، لدي كراهية شديدة اتجاه كل شيء، كراهية تحطمني، تجعلني مجرد من مشاعري ومن خوفي من كل شيء، حتى أنني أشعر بالذنب اتجاه بيانكا إنها تعيش مع أب محطم نفسيًا، قد لا يستحق أن يكون أب

قال:

– أنت محق، لا أحد يتحمل التعامل معك

ضحكت باستهزاء، صاح أحمد:

– تلك المرة الأولى التي أراك تضحك، يا إلهي .. هل هذا حلم؟

– لا ليس حلم، أنا أستطيع الضحك

– إذا لماذا لا تضحك؟، لديك ابتسامة رائعة لديك غمازات.!

ابتسمت مرة أخرى وقلت:

– ربما لأنني أكره التبسم

– ليتك لم تتكلم وظللت تضحك وأنت صامت

ضحكت مرة أخرى وأنا أرتب على كتفه وأقول:

– هيا اذهب إلى غرفتي وأطلب شيء تشربه

نهض أحمد وتحرك، في تلك اللحظة رفعت رأسي للسماء بكل عمق، رأيت نجمة تضئ في السماء.!، هل هذه أنتِ؟ هل تسمعين؟ تشعرين بقلبي المحترق؟، زرفت دمعة من طرف عيني فمسحتها وانطلقت لإكمال حياتي وأن انتظر أن أراكِ كالمعتاد، أمسكت بمقبض الباب وألتفت ورائي لأنظر نظرة أخيرة في السماء، راود قلبي سؤال مؤلم فاحتفظت به، لم تطول جلسة أحمد

التي أمتلئت بحديثه عن العمل وعن شركتنا المشتركة الحديثه و أنصرف، وظل السؤال يراودني حتى هذه اللحظة التي اكتب لكِ فيها ما حدث، حتى إن وضعت رأسي عن الوسادة لن يذوب هذا السؤال، ربما سأخبرك بهذا السؤال يوميًا ما، هل انتهت قصتنا؟

* * *

ظننت أن النهايه تقترب، والنهاية تحمل حقيقة الأمر دائمًا، فظل خوفي ملازم معي وإن تهربت من الحقيقة، خفق قلبي بشدة عندما استيقظت بين أيدي صياد، سألته عن اسمه وشكرته على انقاذه لي،كان مألوف الهيئة واسمه "محسن"، عندما صارحته بمعرفتي المشوشة له قال لي أنني سأعرف من هو قريبًا، بدأ الأمرغريبًا للغاية.. هل يحمل هذا الصياد سر؟، بقي اسمه في عقلي لأسأل سيلين عنه لابد أنها تعلم اسم الصياد الذي انقذني في المرة الأولى، تشوشت للغاية من كلماته ومن هيئتة البشرية المعتادة، ضباب أسود وسرب من الذكريات يتناثر أمامي لأصل إلى بيت ضحى بسلام، لحسن حظي أنني أتذكر العنوان، وساعدني الصياد في استحضار سيارة موصلات تحملني لمنزلهم، ركضت على درجات السلالم بلهفة، تقطع جوفي لرؤية ضحى ودفئ حضنها، طرقت الباب عدة مرات لتفتح ضحى وتضمني لأحضانها بشدة وهي تحمد الله على سلامتى، جاءت من خلفها السيدة بثينة، قد تغيرت كثيرًا عن صورتها في عقلي فأصبحت أكثر شيبًا و ذات خصلات بيضاء ويهزمها المرض، لكنها أنيقة ويوجد على وجهها سماحة، رحبت بي ضحى وهي تقول لوالدتها:

– هذه نور

كانت خائفة من أسئلة والدتها ، إن تكلمت ستكون لغتي العربية غريبة لهم، فأمسكت ضحى بيدي وسحبتني لغرفة الصالون، وبدأت استجوابي وأنا أخبرها بكل شيء، وانتهى حديثنا عندما قالت:

– ماذا ستفعلين؟

فقلت:

– أريد أن أحاول مع فارس مرة أخرى

تبعثر القلق في وجهها وهي تقول:

– أخي هنا يا نور، ذهب فقط لإنهاء إجراء الهدم

سقطت الكلمات عليا كالصاعقة وأنا أتسأل عن أدهم وكيف سأراه؟، كان على التركيز على مهمتي الأساسية وأحاول إنهاء قلقها على مهمتي، كانت ضحى مرتعبة وخائفة من شك أهلها ، فقالت لي بفزع:

– سيلين تسألني عنك دائمًا وأنا اتهرب منها قائلة أنني استيقظت ذات يوم لم أجدك، ربما ذهبتي لأحد أقاربك

– لا تخافي هذه المرة... أريد أن أواجه فارس الآن، لم يعد يهمني شيء أريد معرفة الحقيقة

جلست في الغرفة انتظر إشارة ضحى بعدما ذهبت لتخبر والدتها أنني مستشارة نفسية كحجة مؤقتة لبقائي، وبقيت وحيدة تملكتني الحيرة، هل أنا على الطريق الصحيح؟، من هو أخي؟، وهل لدي أخ حقًا أم لا؟، حاولت تشتيت انتباه نفسي كي أزيد من تركيزي عند مواجهة فارس، أشارت لي ضحى لأذهب لغرفة فارس، انتظرت وأنا أمسك بمقود الباب ألتقطت نفس عميق لتأتي من خلفي والدة ضحى بشكل مفاجئ، وقفت أمامي تتأملني

بحرص وتتفحصني بصمت، جاءت ضحى لتلهيها عني وتأخذها للغرفة ولكن بقيت نظراتها عالقة بداخلي، استجمعت نفسي بعد ذهابها وفتحت الباب، لأدخل إلى غرفته المبعثرة من الرسومات، رسومات وألوان كانت مبعثرة بشكل سيء، كان هناك كرسي في الزاوية ولحسن الحظ أن فارس كان مشغول في رسمة ما ولا ينظر للوراء، حتى أنه لم يلاحظ وجودي إلا عندما لف كرسيه ليتناول أحد الألوان الموضوعة على الطاولة، حدق عيناها بشدة وغضب وقال بحنق:

-ماذا تفعلين هنا..اغربي.!

فقلت:

- أهكذا كانت تعاملك أمك.!

صمت وعيناها تحدقان بي، فقلت:

- أنت ليس لك ذنب في موتها وليس لك ذنب في ضياع أختك

- كيف تعرفين كل هذه الأشياء؟

- أستطيع أن أعرف.. أستطيع أن أرى

- ماذا تريدين؟

- أراك حزين على حادثة حطمتك منذ سنوات، أراك مكسور من ذنب لم ترتكبه

- لم أستطيع المحافظة عليها..!

وأجهش في البكاء بعد آخر جملة، فقلت:

– هل أنت متأكد من عدم وجودها، ربما أنت توهم نفسك بذنوب لم ترتكبها لتظلم نفسك، قد تكون خسرت أختك ولكنك لم تخسر سوى نفسك، زوجتك تحبك للغاية،إنها تحبك حقًا.. عليك إعادة حساباتك مرة أخرى
فقال:
– أريد أن أرى أختي.. أريدها بخير مثل ما تركتها أمي لي
– إنها بخير
اقتربت منه ووضعت يدي على قلبه، تسارع نبضات قلبه وأغلق عيناه براحة تامة، كان غارق في إعصار من الذكريات وكأنه يرى فيلم مصور من حياته، أغمضت عيني أنا الأخرى ورأيت طفله مولودة يمسكها فارس في وسط الشارع، ظلام حالك مع صمت غريب، يقترب رجل مشوش من فارس ويمسك بالطفلة من بين ضلوعه، ركضت نحوه لأرى وجهه فرأيت.. أبي أطلس.. نظرنا أنا وفارس في نفس اللحظة بصدمة مريبة، أمسك فارس بيدي وقال بأنفاس متلاحقة:
– قلادة أمي
ابتعدت عنه سريعًا وأنا في حالة صدمة كاملة، من المستحيل لا يمكن حدوث هذا لا يمكن، لا يمكن حدوث هذا لا يمكن، أنا نجمة كيف حدث هذا.؟، فتحت باب الغرفة وركضت للخارج بشكل مسرع، دوامات من الركض في الشارع بشكل عشوائي.. لا لم أشعر بنفسي عندما سقطت على الأرض وأمسكت بي سيلين وهي تقول لي بدهشة:
– ماذا بكِ؟، هل أنتِ بخير؟

طلبت منها أن نذهب إلى بيت فارس وضحى القديم ولحسن حظي أنها كانت تعرف العنوان، ظلت طوال الطريق تطرح علي الأسئلة ولكنني لم أكن أشعر بنفسي، شعرت أن كل ما بداخلي نائم، شعرت أن جسدي مهلك وروحي تائها، وصلنا للمبنى بأمان، وطلبت منها أن تتركني هنا وتخبر ضحى بمكاني، كان المبنى محاط بشريط أصفر فتعديت الشريط وركضت على الدرج حتى وصلت للباب فدخلت وأغلقته بإحكام، لم تكن لدي قدرة للصراخ كان الشعور بداخلي يكفي لحرق المدينة بأكملها، هل يجب أن تظل الحقائق مخفية حتى نبحث عنها فتقتلني ببطئ دفاعًا عن نفسها، ننهار ونتمنى لو بقينا على حالنا، فنضيع من الأحداث وكيف تحكم بنا القدر إلى تلك المرحلة، كيف تحولت بك الحياة التي ضمتها إلى حضنك لمعركة صعبه، فتظل نفسك كصديق لك، تمر بينكما مواقف وتزداد صداقتكم ومواقف أخرى تتخاصمون وتحزنوا من بعضكم البعض، إن شئت تجعلت من نفسك صديق فكانت حياتك ذات معنى، أما إذا اخترت أن تكون حياتك عدو لك فتظل تعاني من جروح نفسك وقهرها، لم أكن أدرك ماذا يحدث بعد، ضل بي الطريق وتبقى طريق واحد وهي تناول العقار المخلوط بماء النهر، يجب أن أرى الحقيقة كاملة وظل التفكير يلاحقني بدموعي حتى خفت عيوني، استيقظت على أصوات متضاربة في رأسي وأحداث متلاحقة مع وجه حارس السماء وكلمات أبي و أخيرًا.. فارس، ضممت شعري ونهضت للذهاب للسطح على أمل أن أرى أدهم، جررت قدمي حتى وصلت للباب.. رأيته بقميصه الأسود ورأسه المنحني، لم أشعر بنفسي عندما ركضت عليه وأنا أبكي، وقفت أمامه وتناثرت دموعي بخوف، حتى جلست بجانبه وبدأت أروي له ما

حدث معي، ولكن ملامحه كانت باردة للغاية ولا يعطي أي ردت فعل لي، تساءلت بخوف:

– ماذا بك يا أدهم؟

رد بنبرة باردة:

– لا شيء يذكر

– لا تبدوا بخير

– ومتى بدوت بخير.!

– عليك إخباري حتى أستطيع مساعدتك

قال وهو يهمس:

– ماذا سيحدث عندما تكتشفين الحقيقة؟، ستذهبين لكوكبك وتعود حياتك لطبيعتها..! ماذا عني؟ ماذا عني يا تايغتيا

– ربما يحدث شيء يجعلني أبقي هنا.. ربما يكون أخي فارس حقًا

– وماذا بعد هذا؟

– ما بك يا أدهم.. لا أعلم حقًا لا أعلم

نظر لأتجاه معاكس، شعرت أنه يتجنبني، فقلت له:

– أتخاف أن أتركك؟

بملامح صارمة قال:

– لا أخاف من شيء.. لقد تأقلمت على عدم وجود أحد

سألته بهدوء بعد أن دام السكون حولنا:

– سأحاول العودة

– تتهربين دائمًا

فقلت بنبرة حادة:

- لا أتهرب أبحث عن الحقيقة

- لا توجد حقيقة سوى أنك تريدين أن تتركيني

- لا أريد أنا مجبرة

صاح قائلًا:

- ليس لدي أحد غيرك وأنت لا تفهمي حقًا أن تكوني وحيدة مثلي.. لماذا ستغيبين عني لماذا؟، لا تذهبي.. اتركي الحقيقة.. ليس لدي أحد غيرك

احترقت غضب من كلماته، فقلت بغضب مكتوم بنظرات مؤلمة:

- أنت أناني للغاية.. أتظن أنك الوحيد المتضرر.. أنا أيضًا لدي حقيقة يجب أن أبحث عنها.. أتشعر بما في قلبي..أتشعر بألم فقدان أبي وصديق أبي المقرب.. وحدتك مقابل كل شيء يحدث لي يا أدهم.. آسفي عليك

شعر بالذنب وتلعثم:

- لم..أقصد..لم

نظرت باستحقار تام وقلت:

- يكفي يا أدهم.. يكفي

أعطته ظهري.. شعرت أنه خذلني للمرة الأولى، قد يكون غاضب من شيء.. على ماذا أبكي وعلى ماذا أصمت.. أغلقت باب المنزل بأحكام، وجلست في الزاوية وأنا أعيد قراراتي للمرة الأخيرة.. فتحت ضحى الباب، وجدت نفسي أهرول لحضنها كطفل يحتضن أمه..تركت كل شيء وظلت عيوني وضلوعي تبكي بداخل حضنها، مسحت على كتفي وقالت:

- لا تخافي سيكون كل شيء بخير

جلسنا على أريكة قديمة وأنا أخبرها بكل شيء، كانت تعيش حالة من الصدمة عندما قلت لها:

– أظن أنني أخت فارس

شعرت بالحيرة وبمشاعر متضاربة، لم يستطيع عقلها الاستجابة لما أقوله، انعقد حاجبيها وصمتت حتى قالت لي:

– عليك التحلي بالصبر وسيكون كل شيء بخير..

– أريد حدوث أي شيء جيد

– لدي خبر جيد

– حقًا؟

– تكلم فارس معي اليوم وقال أنه يريد مني فرصة أخرى

شعرت بسعادة غامرة تقتحمني.. ضمتت ضحى بقوة وأنا سعيدة للغاية، قلت لها:

– أتمنى لك حياة سعيدة حقًا.. تسحقين الفرحة

– والآن ماذا ستفعلين؟

– سأعود لكوكبي وأتناول العقار

– وما فائدة هذا العقار وضرره؟

– يجعلني أرى الماضي الخاص بالقلب الذي أحمله.. ربما أغيب شهر أو ثلاثة أو عام وربما لا أعود

انقبضت أسارير وجهها وقالت:

– لا أرجوكِ لا تجازفي

رمقتها بنظرة ثاقبة وقلت:

– لا وقت للخوف.. لن أخاف مرة أخرى ولن أتردد..، ماذا سيحدث لو كانت تلك النهاية أليس البقاء بدون هدفي وبدون نفسي أصعب

– لكن يا نور لابد من طريقة أخرى

– لا يوجد..إن أردت معرفة الحقيقة يجب أن أخلع رداء الخوف ومعطف القلق

انقطع حديثنا بطرقات باب، فتحت ضحى الباب فوجدنا سيلين، كان وجهها يفيض بالتساؤلات وقالت بجدية:

– ماذا يحدث هنا؟ عليكم أخباري بكل شيء

صمتت ضحى ثم قالت:

– كيف وجدتيني؟

– لقد اتبعت نور وبقيت أراقبها في سيارتي وعندما أخبرتك كانت نبرة صوتك مقلقة ولهذا أتيت هنا لأراها

فأجبتها:

– حسنًا يا سيلين سنخبرك بكل شيء..أولهم أنني لست مريضة نفسية وفضائية كما تدعون

ابتسمت ضحى من دعباتي وأدخلت سيلين لتجلس بجانبي ثم بدأت أروي لها كل شيء من البداية وتعبيراتها كانت منافية تمامًا لتصديقي، تنهدت بقوة وتذكرت كلمات حارس السماء الأخيرة ليضيء قلبي، كادت تركض سيلين من هول المنظر ولكنها صمتت عندما رأت ضحى متزنة وليست قلقة، فقدت النطق والاستجابة لدقائق ثم قالت بارتعاب:

– أيمكن أن تكوني أخت فارس؟ ولكن كيف؟ لماذا أنا تحديدًا أنقذتك

فتابعت قائلة:

– لا أعلم حقًا يا سيلين ولكنني أشك في هذا الصياد الذي يسمى "محسن".. أظنه يعلم شيء لا أعلمه

– حقًا لا أصدق أنني أتحدث مع شخص من كوكب آخر

– شعور متبادل

قالت ضحى:

– متي ستذهبين؟

– كام الساعة معك؟

– العاشرة مساءًا

– سأذهب في الثالثة

قالت سيلين:

– لماذا لا تمرين على الصياد قبل ذهابك ربما يحمل إجابة لأي سؤال

– سأفعل هذا

نهضت سيلين وبقيت عيناها معلقة في هلع، وقالت:

– سأذهب للبيت إذا..أأنتِ يا ضحى؟

فأجابتها:

– سأذهب بعد أن أطمئن على نور

قالت سيلين بدهشة:

– هل اسمك نور حقًا؟

– لا، اسمي تايغيتا ويمكنك أن تقولي نور لا مشكلة

ابتسمت وذهبت وهي تحمل فزع ملامحها معها، اقتربت مني ضحى وضمتني إلى أحضانها وهي تقول:

– توقفي عن الخوف وثقي بالله

نزلت دموع من عيوني وأنا أقول:

– أنا خائفة

فقالت:

– ألم تتحدثي مع أدهم بعد؟

– لا تحدثت معه وكان فظ للغاية.. كان يلومني على غيابي

– لابد أنه يمر بوقت صعب أيضًا

– أتعلمين ما مشكلة أدهم يا ضحى.!، أنه لا يريد أن يخرج من ظلامه، يريد أن يظل في الظلام ولا يريد ان يجازف بالخروج أو حتى البحث عن نفسه

– لأنه خائف يا نور، عندما يخاف الشخص يركض بعيدًا عن نفسه ولا يظن أن هناك عودة حتى وإن كان طريق العودة أمامه.. أدهم كآسير لرمال متحركة تسحبه للأسفل ويريد أن يربطه أحد بحبل ويجذبه للخارج بكل ما أوتي من قوة

– أدهم يشبه فارس

– لا يا ضحى، فارس كان يحتاج فرصة واحدة للخروج من هذا الوحل ولكن أدهم إذا عرض عليه ألف فرصة سيرفضها، أدهم يقتل كل من يحاول مساعدته

– في حالة أدهم يا نور إنه يحتاج لأحد يلمس قلبه لا يلمس علاجه

– وفارس؟

– فارس عانى من شيء حطمه وحطم مستقبله، فارس كان كاره لحياته
– على الأقل فارس يستجيب للعلاج على عكس أدهم
– علاج أدهم وفارس ليس مجرد علاج نفسي أنهما يحتاجان ليد تشدهما من الوحل
ابتسمت وقلت:
– فارس يمتلك هذه اليد بالفعل
ابتسمت لي وقالت:
– وأدهم سيمتلك تلك اليد
– لا أظن، إنه أناني
– أدهم ليس أناني يا نور إنه فقط يريد أن يمتلك شيء يحبه، ويخاف من فقدان الشيء فيظل في صراع وهذا الصراع يأخذه للقاع
– وأنا لا أريد أن أكون في القاع
– لا تتركيه يا نور قد تكوني أنتِ أمله الأخير
– لا أريد أن أتركه ولكنه يؤذيني وانا أخاف الأذى
سرحت في ملامحي قليلًا وقالت:
– أتعلمين أنكِ بريئة كالهواء البارد في الليالي الشتوية..أتمنى حقًا أن تكوني أخت فارس
غفوت في أحضانها بعد أن تبادلنا أحاديث كثيرة عن كوكبنا وكوكب الأرض، صوت ما ينادي بداخلي جعلني استيقظ على نداء للصلاة، كان شيء بداخلي يجذبني للصلاة، فنهضت ضحى وهي تقول بلين:
– لنصلي الفجر قبل ذهابك

كانت تلك المرة الأولى وأول شعور لي وهي تمسك بيدي لتغسلني بالماء، حركة تلو الأخرى شعرت وكأنني أتخلص من عبئ ثقيل على قلبي وعلى أكتافي، أمسكت بغطاء أبيض وهي تحدد القبلة بينما انا بحثت عن شيء يغطي شعري ويسترني، اتجهت للخزانة العتيقة وأنا أخرج ثوب لونه أبيض باهت، كان الثوب الوحيد المتبقي في الخزانة، يبدوا أنه للسيدة مريم، أمسكت به وضممته لصدري وأشم رائحته ويبقى سؤال في عقلي، هل تكون هي أمي حقًا؟ لم تكن لي أم من قبل ولم أرى حنية للأم، لم أملك أى ذكرى لأمي، تذكرت نفسي عندما سألت أبي عن أمي وكان رده "أن هناك نجوم تولد بدون أمي.. يبقى اتجاه النجم موجه لنجم أب ولا يوجد لهم أم وهناك نجوم تفقد أمها عندما تولد مثلي"، أرتديت الثوب بعد نداء ضحى، وقفت بجانبها وقالت لي أنا أردد ورائها، قلدت حركاتها حتي أنني كنت أستمع لها وهي تقرأ، حتى سجدت شعرت وكأنني أناجي الله أنا يهديني وأنا يرشدني للخير، ظل قلبي يتمتم بخوف، لينقذني الله من التدمير ولا يبقى جوفي فارغ هكذا كانت كلماتي الأخيرة وأنا في سيارة الأجرة وأنا أنظر للبشرية بذكرياتهم وبألمهم لا يبدوا هذا الكوكب بخير أبدًا رغم ان الجميع يدعي أنه الكوكب الأعظم، أثناء نظري من النافذة رأيت نفس المكان إنها الضفة التي رأيت فيها محسن.. أدركت أنه نفس المكان وطلبت من ضحى سريعًا أن أنزل هنا، بالفعل نزلت ونزلت ضحى معي على الضفة ووقفت أبحث بين الصيادين عن محسن حتى وجدته يجلس أمام النهر بصمت، التفت لضحى وقلت لها:

– هنا يا ضحى.. سأذهب الآن

تغيرت ملامح ضحى لحزن شديد، تنظر لي بدموع ، جفت الدم من وجهها وتعرقت يديها بضعف، كانت تلك المرة الأولى التي أرى فيها ضحى بهذه الحالة وكأنها لا تريد ذهابي، كنت أحاول التماسك أمامها لكن عندما حانت لحظة للوداع كان كل شيء ينهار بداخلي، نظرت لكل شيء بطريق مجهول وأنا أتسأل هل سأعود؟ هل سأكشف الحقيقة أم سأموت كما مات أحبائي؟، كان وجداني يبكي وهو يرى اللحظات الجميلة التي قضيناها معا، لا أريد شيء سوى البقاء هنا، شعرت باستسلام تام لكل شيء فألقيت نفسي في أحضانها وأنا ممزقة بالعاطفة تابعت البكاء، فقامت بضمي إليها أكثر وأنا يتردد بداخلي "ربما تكون تلك المرة الأخيرة التي أودعك فيها.. أتمنى أن تكوني بخير وأن ترزقي بأطفال تشبه جوهرك ويرى فارس قيمتك الحقيقيه"، سحبت ضلوعي دون أن أنظر لها وركضت للصياد دون أن أنظر ورائي كنت أحترق ، لم يكن مجرد تعبير لقد كنت أحترق بالفعل من حزني ، وقفت أمام الصياد محسن والتفت ورائي لأرى ضحى فوجدتها تمضي في طريقها وتمسح دموعها ، كان يدور في جوفي أن اترك الحقيقه وأعود ولكن قال الصياد بصوت أجش:

– ان فراق القريب يمزق يا تايغيتا

حدقت فيه بصدمة، كيف يعرف باسمي فأردف قائلًا وهو يرمي شبكته للصيد:

– لكن البحث عن الحقيقة يستحق العناء أيضًا

شحب وجهي أكثر وقلت بعنف:

– كيف تعرف اسمي؟

قال بسخرية:

- أنا أعرف كل شيء يا تايغيتا

تابع:

- أتظني أن كل شيء يحدث عن طريق الصدفة.!

حدق بعيني وابتسم وقال:

- لا شيء يحدث عن طريق الصدفة..

ازدت غضب وقلت:

- من أنت؟

لوح بيديه اتجاه النهر ثم همس لي قائلًا:

- هذا هو المنفذ للكواكب الأخرى..

ثم أشار إلى نفسه وقال:

- وأنا حارس هذا المنفذ.. أتلقى الأوامر وأنفذها

وجت يديه تلتف حول خصري بقسوة، لم أستطيع الصراخ حتى وجدت نفسي أسارع الماء، ارتفعت يدي نحو الأعلى وأنا أهلوس دون وعي، كان العالم صامت، الأزرق يلتف حولي حتى رأيت صورة أدهم ترتسم أمامي، اقتربت من صورته وهو يبتسم لي وبمجرد ما لمسته أختفى، صوت ضحى وهي تقول "لا تخافي"، دموع فارس، يد سيلين الممدودة لي، اقتربت من سالينو واحتضنتني، تنفست فجأة وأنا بين يدي سالينو وبجانبي سهيل وسارة تقف أمامي، قلت بصوت مرتجف:

- أين أنا؟

قال سهيل باستهزاء:

سالينو وسهيل وسارة... أين ستكوني لابد أنكِ في كوكبنا الملعون، مرحبًا بك

رمقت سالينو بنظرة غاضبة وقالت وهي تساعدني على النهوض:

– أننا في كوكب سيريس يا تايغيتا

التقطت أنفاسي وقلت:

– كيف أنقذتوني؟

قالت سارة:

– لقد جلسنا هنا خلف التل الذي بجانب النهر منذ ذهابك.. لم يرانا أحد وظللنا نراقب النهر حتى رأيتك اليوم.. فاقتربت واخترقت الغلاف لأحملك إلى هنا

– ألم يراني أحد؟

قالت سالينو:

– منذ ذلك اليوم وقررت النجوم الأبراج عدم اقتراب أي أحد من محيط النهر، كما أرسلوا جيش للبحث عنا ولكننا أستطعنا الإختباء

تنهد سهيل وقال:

– ألديكِ خطة؟

– نعم لدي خطة

– هذا ما كنت أخشاه

ابتسمت سارة من دعابته، دققت النظر فيها وقلت:

– لماذا أنقذتيه؟

ضحكت سارة مع ابتسامات خفيفة، كانت تلك اللحظات كافية لتجعلني أشعر بشعور أفضل بينهم، تجعلني أتخلص من خوفي، وأستمد ثقة حقيقية لتنفيذ خطتي.

* * *

أنا آسف أنا مجرد وهم يركض وراء وهم لينقذ نفسه، ألم أخبرك أن لا أحد يهتم بوجودي ولا أحد يصدق وجودك، لا أحد سوانا يشعر بما نشعر به نحن، كان الغضب بداخلي كبير لحد مدمر، عادت أمامي مرة أخرى وأنا أغلق أزرار قميصي وأنتِ كطائر صغير تجلسين أمامي تستمعين لكلماتي، حتى رمقتيني بنظرة وهنة، تمتمت بتوتر:

– لا تطاق الحياة بدونك

بترت نظراتها بابتسامة وهي تستهين من ألمي وتقول:

– سوف تمل وتجد البديل

– كيف ولد هذا الجفاء من داخلك؟

– إذا ولد جفاء مني فلابد أنك أب هذا الجفاء

– لا يا تايغيتا أنا لم أكرهك يومًا

– إن التصرف بالكراهية كافي

– وقلبي؟

– لا تقلق بشأنه فهو مظلم بدرجة كافية

كانت تلك الجمل تقتلني، أنا بالفعل أجبر نفسي على كراهيتك ولكنني أفشل باستمرار، صوت أمي وهي تنادي علي بتكرار جعلني أستجمع نفسي وأنا أعبر درجات الدرج لأصل إلى سفرة الفطور وعيون المنطفئ لا ترى أي شيء، اقتربت أمي مني وقالت:

– سلمى هنا يا أدهم.. عليك الإعتذار منها

أومأت رأسي إيجابًا وأنا أحرك الكرسي لأجلس، أغمضت عيوني وتنفست بشهيق وزفير..فتحت لأجد سلمى أمامي تحرك كرسيها هى الأخرى، لم يكن

هناك غيرنا.. أمي تشرف على المطبخ، وتمارا وبيانكا تستعدتان في غرفهم.. وبما أن علاقة أمي وسلمى جيدة للغاية قبل حتى معرفتنا الجامعية فأم سلمى هي صديقة أمي المقربة وجارتنا ويتصادف الحظ لذهابنا نفس الجامعة، كنت أعلم بحركات أمي في محاولاتها الدائمة لإستدعاء سلمى في بيتنا بحجة أنها تشعر بالوحدة، سعلت ثم قلت:

- أنا آسف

عدلت خصلات شعرها وقالت:

- حسنًا ،قبلت

ساد الصمت للحظات حتى قالت:

- لابد أنها كانت قلادتها؟

أومأت رأسي إيجابًا، فأردفت:

- كنتما تحبان بعض بشدة ..

تجاهلتها حتى قالت:

- كم مر على فراقكم؟

أوقفت طعامي وأجبتها بنبرة باردة:

- ثماني سنوات

- أنها مدة طويلة جدًا.. لم أظن مرور كل هذا السنوات

تجاهلتها أيضًا، ثم قالت:

- من ترك الأخر؟

شعرت بقلبي يتوقف عن تنفسه وأنا أتذكرها بكل تفاصيلها وبكل ذكرياتنا، زأرت فيها بغضب مكتوم:

– أنا من تركتها

تابعت:

– أنا سيء.. أنا الأسوء.. أنا تركتها

تراجعت للوراء من نظراتي وتملكها الخوف، تبدلت ملامحي وتنفست وأنا أقول:

– أنا آسف

قالت بنعومة:

– لقد تدخلت في شيء لا يخصني.. أنا فقط أردت أقول لك أنك لست الوحيد الخاسر في معركة حب

ساد الصمت للحظة ثم رددت عليها قائلًا:

– هل خسرتي حبًا من قبل؟

حنت رأسها بحزن وقالت:

– نعم.. للأسف

– لماذا؟

– لم يكن النوع المفضل لأهلي كما أن مكانته الاجتماعية كانت مختلفة

– أتركتيه؟

– لقد تركنا بعض باقتناع، اتفقنا على أننا لسنا متشابهان وهكذا انتهت

تابعت قائلة:

– لقد مر سنتين لابد أنه تزوج

قُبض قلبي لهذه الكلمة، لا أعرف سبب ارتعاب قلبي لفكرة أنكِ تكوني تزوجتي أو وجدتي البديل، لا أتحمل فكرة رؤيتك مع غيري، حاولت استجماع تركيزي وقلت:

- نصيب

رفعت رأسها ونظرت لي وقالت:

- أن كنت تحبها لهذا الحد.. ابحث عنها يا أدهم

أغمضت عيني وأنا أكتم ألمي في قلبي كالمعتاد:

- لقد بنيت الكثير من الأحلام، لقد رسمتها في كل زاوية من عقلي، كان وجودها هو الشيء الوحيد الحي بداخلي، لكن حبي وحده ليس كافي لتكون بجانبي، هناك ما هو أهم من الحب

- جرحك يا أدهم.! جرحك مازال ينزف ولن يوقفه سوى وجودها

ابتسمت وأجبتها:

- لا أنكر أنه ينزف بعمق ولكنه سيشفى مع الوقت

تركتها ونهضت لأقبل بيانكا وأودعها قبل ذهابي للعمل، خرجت للهواء وأنا أتجه لسيارتي وكل ما يدور في عقلي هو حواري مع سلمى، هل جرحي سيشفى عندما تعود ولكن كيف؟، دار رأسي من كثرة الأسئلة وأنا أشد على مقود السيارة لتقف سيارتي بجانب الطريق، أخرجت مذكراتي لأكتب لك ما حدث حتى هذه اللحظة واسألك بمرار "هل سيشفى جرحي منك؟"

قد لاحظ نوح أنني اتكلم عن نفسي وليس عن تايغيتا كما أدعيت في بداية القصة، نوح طفل ذكي ويعلم أن تايغيتا هي أنا ولكنه كان يقدر أنني لا أريد إظهار حقائق هذه القصة حتى بدأت أتكلم بنفسي، ابتسم نوح بخفاء وقال:

- تتكلمين كأنها أنتِ؟

ابتسمت وقلت له:

- نعم، تايغيتا هي أنا ولكن النسخة القديمة مني

وجه نظره لي وقال:

- لماذا تكلمتي عن نفسك في هذا الجزء تحديدًا؟

- لأن هذا هو الجزء الذي تخلصت فيه من تايغيتا

مسحت على رأسه وقلت:

- هنا ماتت تايغتيا يا نوح

التقطت أنفاسي وأنا أحبس دموعي حتى أفي بوعدي لنفسي بأنني سأكون أقوى، أحتضنت نوح كي أخفي ضعفي في لحظات صامتة حتى قال:

- لا أظن أنني كنت سأحبك بالأسود وشعرك الملفوف تبدين أجمل مع الفساتين الطويلة الملونة ذات الأوشحة مع شعرك الناعم المنسدل

ضحكت من خبثه وهو يحاول أن يخفف عني، أبعدته قليلًا عن حضني وأنا أقول بطفولية:

- يبدوا أنك لا تريد أن تسمع خطتي في قتل تايغيتا

- أريد أن أسمع هيا أكملي

* * *

دلفنا إلى غرفة ملكية واسعة، كان سرير ملكي يتوسط الغرفة مع أثاث خفيف، يوجد نافذة كبيرة ذات أسلاك وعلى جانب النافذة يوجد مرآه ، تجاوزنا الحراس بسهولة بفضل صداقات سهيل مع حراس القصر، لقد كانت الغرفة في الطابق الأخير وآخر غرفة وهذا ما جعلها مميزة في نظر سالينو، قالت

سالينو أنها مكان آمن للبقاء في قصر والدها، رغم خوف سالينو الذي غلب قوة صوتها إلا أنها كانت متمسكة بي، على عكس سارة التى ظهر خوفها بسهولة، وقفنا جميعًا في غياب سهيل الذي ذهب لأخذ العقار، لا أدري هل أعيش لحظاتي الأخيرة؟ هل الحقيقة ستكلفني حياتي؟، "يا الله ساعدني "، اقتربت من طرف السرير وجلست بيأس حتى اقتربت مني سالينو وسارة واحتضنوني بشدة، دقات غامضة في قلبي مع ألم جعل قلبي يضيء بنور خفيف، تعجبت سارة وقالت بشغف:

– تلك المرة الأولى التى أرى فيها قلب مضيء

همست في أذنها:

– وآخر مرة

ضربتني سالينو على كتفي وهي تقول:

– لا تجعلني أقتلك الآن.. لن يحدث لكي شيء

– وماذا لو حدث؟

– سأحرق الكوكب بأكمله.

أليس كذلك يا سارة؟

قالت سارة بتذمر:

– أنتِ احرقي وأنا أطفئ

ضحكنا جميعًا ضحكة خافتة تهون علينا تلك اللحظات الصعبة، أخفضت رأسي على كتف سالينو بينما ظلت سارة بجانبي لم تخفض رأسها، فقالت سالينو لمداعبتها:

– أتشعرين بالخجل؟

ابتسمت سارة وفتحت ذراعيها لتحضني بقوة، حضن سارة ورأسي على كتف سالينو كان هذا هو كنز الحقيقة لي، تكفي حقيقة حبهم لي وتكفي حقيقة وجودهم بجانبي ولا تجوز على الوحدة بوجودهم، ليسوا مثاليين ولكنهم كانوا بجانبي دائمًا، هل تكون تلك لحظاتي الأخيرة؟، هل سأستيقظ لأجد سالينو بغضبها وفظتها؟، هل سأجد دعابات سهيل السخيفة؟، هل سأجد سارة ببراءتها؟، ضحى تنتظرني لصلاة الفجر؟، سيلين تهون علي وتروي لي قصص عن الأمراض النفسيه؟، فارس ودموعه مع نظراته الأخيرة لي؟، هل سأستطيع قول أخي له لو كان أخي؟، وماذا عن أدهم؟، قاطعني صوت سهيل وهو يدخل للغرفة بيديه زجاجة العقار وهو يقف أمامي يشهق أنفاسه ويعطي الزجاجة لسارة، كان الصمت يسود بحزن شديد وسارة تخرج من ثوبها زجاجة فيها ماء النهر، اتسعت حدقتا عينها وهي تخلط العقار بماء النهر ليتحول لونها للون سحري يشع من جماله تملكتنا الدهشة ولكن سرعان ما اقتربت من الزجاجة وتناولتها في يدي، تحركت نحو السرير وجلست بهدوء، أصدرت النافذة صريرًا قويًا وأنا أنظر إليهم جميعًا نظرة أخيرة، قال سهيل بصوت حزين:

– تماسكِ بالحياة..

ابتسمت وأجبته:

– نحن لا نتمسك بما لا يتمسك بينا يا أخي

ابتسم ودموعه في عيونه وقال:

– يبدوا أن عناد شعب كوكب سيريس شيء وراثي

قربت الزجاجة من شفتاي وتمتمت قائلة:

- ساعدني يا الله لا تتركني

وتناولتها بلهفة على مرة واحدة مع سقوط دمعة من عيوني النادمة، ظلت نظرات الجميع عالقة في عيني قبل أن ينتفض جسدي مع دقات قلبي المتوالية.

* * *

نظرت حولي لأجد مكان في غاية الجمال، نهر نظيف ولامع للغاية، شمس مشرقة بدلال مع نترات خضراء اللون، مع صوت عذب لإمرأة تغني بخفوت وكأن ألحانها تجذب قلبك، تحركت نحو الصوت وأنا أتفقد المكان في دهشة، اقتربت من المرأة التي تجلس على ضفة النهر.. كانت مبهرة.! خصلات شعرها السائلة مع وشاح يغطي نصف شعرها، فستانها ناعم بدلال، لم أرى وجهها بعد ولكنني كنت متشوقة لرؤيتها، اقتربت منها وجلست بجانبها.. لم تلاحظ وجودي، كانت مغمضة العيون تسيل منها دموع محترقة، توقفت عن الغناء فجأة وصاحت باتجاه النهر بانكسار:

- متى سيتوقف كل شئ؟ متى ؟

كنت في حالة مندهشة، كيف لها أن تكون جميلة لهذا الحد؟،عيونها.. ورقة ملامحها.. نعومتها، كيف لها أن تكون حزينة هكذا؟، أردت تقديم المساعدة ونطقت قائلة:

- من أنتِ؟

لم تسمعني.. لم تلتفت لي حتى.!، أنها لا تراني.؟ كررت جملتي مرة أخرى ولكن لا فائدة.!، لابد أنني سأرى الحقيقة بدون المشاركة بروحي، بينما أمسكت بوشاحها وضمته لصدرها وهي تبكي بحرقة حتى أضاء قلبها!!! كانت عيناي تكاد لا تصدق.

إنها تضيء مثلي.! على لهيب دموعها صاح صوت قوي مزعج قادم من النهر:
- أهلًا يا تايغيتا
رفعت رأسها على الفور.! ماذا؟ اسمها تايغتيا..! هل هي النجمة تايغيتا؟، ألقيت نظرة على النهر وتمعنت في نظرتي.. إنه النهر السرمدي.! إنه كوكب سيريس بدون شعب وبدون ظلام.! طار عقلي.! إنه كوكبي، ربط عقلي الأحداث سريعًا حتى قالت المرأة:
- من يتكلم؟ ماذا يحدث؟
رد الصوت القادم من النهر:
- كيف لا أستطيع رؤية ذكرياتك؟ ما همك؟
مسحت دموعها الزرقاء الخفيفة وقالت بنبرة حزينة:
- أحببت ولا أستطيع أن أكون حرة
فأجابها:
- لماذا ؟
- أنني نجمة مميزة سأقع في عهد النجوم الأبراج وسأخسر حبي
- هل حبك نجم؟
- لا، ليس نجم
- من أي كوكب؟
- إنه أرضي
سأعقد معك اتفاق، لم أرى أحدًا مثل نقاء قلبك.. إذا ولد أحد بقلب تايغيتا سأعطيه قوتي في رؤية ذكريات المميزين، ستكون مصدر قوة لها على عكس الشعب الذي سيولد، ستكون لعنة لهم حتى يستيقظون، سأساعدها في

التأقلم مع الشعوب والكواكب الأخرى، بمجرد لمسها للنهر ستملك قوتي ولغات الكواكب، ستفهم جميع الشعوب وتسمع جميع اللغات، ستكون هلاك تلك العهود، إذا ولد أحد بقلبك بعدما أقامت عهود النجوم.. سيذهب الظلام

اختفت الصورة من أمامي كفيلم مصور، بدأت أربط الأحداث إذا أنا ذلك القلب، ظهرت أمامي صورة أخرى وتلك المرأة تركض وبيديها طفل في الثامنة من عمره، وقف فجأة وابتلعت غصة في حلقها وهي تمسك بذراع الطفل، ألتفت للوراء و تزداد دقات قلبها حتى قالت لها:

– عامر عليك أن تحتفظ بقلبي جيدًا.. عليك أن تنفذ تلك الوصية، ستعطي قلبي الذي بداخلك لطفل مولود من نسلك يا عامر، عليك أن تكون شجاع يبني

تركته يبكي بشهقة وهو يمد يديه لها حتى لا تتركه، ظل يصرخ وهو يقول:

– لا تتركيني يا أمي.. لا تتركيني.!

ركضت وتابعت ركضي ورائها لأراها تقف أمام مجموعة كبيرة من أشخاص يشبهونها، وقفت على رأسهم إمرأة سمراء البشرة ذات عيون حادة قالت بتذمر:

– أين أخفيتي الطفل يا تايغيتا؟

صاحت بغضب:

– سيأتي يوم وستندمي

ردت بضحكة مستهزئة:

– ولكنني لن أكون مثلك، لن أحب بشري لديه طفل يعاني من مرض جسدي

– ستندمي.!

– حسنًا.. أين قلبك؟ ستبدأ العهود

– لن تأخذي شيء مني

تقدم الرجل غريب الهيئة وهو يمسك بعنق الرجل الآخر، كان يشده بعنف حتى صرخت تايغيتا قائلة:

– لا تؤذيه أرجوك لا

صاحت المرأة:

– أين قلبك؟ ليس لدينا وقت لتفاهتك

مدت يديها وفتحتها ببطئ حتى ظهر قلب ما ينبض، مدت يديها أكثر وهي تقول بألم:

– اتركوه

اقتربت المرأة وبيديها خنجر رفعت يديها بقسوة وطعنت قلبها بالخنجر بكل ظلم وعيون جريئة، أشارت بيديها للرجل غريب الهيئة وقالت له بطغيان:

– علينا أن نبدأ في الطقوس

انهارت تايغيتا وهي تبكي بألم، نظرت لها المرأة باستهوان وصاحت قائلة:

– أيتها النجوم.. أنتم الأقوى في الكون، هذا العهد سيجعلكم ذات أشكال قوية وقوة ملموسة، ستصبح أرض سيريس لنا وسيصبح لنا شعب كامل.. لن يبقى شيء سوى تقديم هذا القلب..

أشارت بيديها للرجل الغريب وهي تقول:

– انهي هذا الأمر

ففوجئت بالرجل وهو يخرج خنجره، وضع خنجره على عنق الرجل الذي يمسك به وشد عنقه بشكل متصل مع صرخات النجمة تايغتيا وهي تنهار أمامي، كان الموقف مؤلم لدرجة أنني شعرت بقشعريرة تسري في جسدي بأكمله حتى أن دموعي نزلت رغمًا عني، كان المنظر في غاية البشاعة.. جثة الرجل ودمائه المتناثرة على الأرض.. صرخات تايغيتا ودموعها وهي تحتضنه ويتصبب وجهها مثل برد الشتاء اللاذع، تمسكه بحسرة مميتة.. هتفت بصوت مرتجف وهي تلم شتات نفسها وتقف على قدميها:

– أنا ألعنكم جميعًا.. ألعن ظلمك.. سيأتي يوم.. وستقتلون مثل ما قتلتوني

التفتت لها المرأة ذات الملامح الحادة بوجه غاضب، اقتربت منها حتى لفت يديها على عنق تايغيتا وقالت بحزم:

– كان عليك التضحية بعد خيانتك لنا.. وها هي ضريبة الحب التافه.. أنها نتيجة حبك الأعمى

رددت بأنين مكتوم:

– كنتِ صديقتي الوحيدة.. كنتِ سري لقد سلمت لكِ أسراري...

تابعت بنبرة باردة تحمل الكثير من الانهيار:

– لماذا يا سالينو؟

كانت تلك ضربتي القاضية..! إذا النجمة تايغيتا التي حملت روحها قُتلت على يد النجمة سالينو التي تحمله روحها أقرب صديقة لي.! كانت الصدمة جمدتني عن التفكير..! وجال في خاطري سؤال وحيد، نحن لا نحمل شخصيات

النجوم ولا صفاتهم.. نحن نحمل فقط نورهم فقط نحافظ على نور النجوم كي لا يفنى.. فكيف يجمع هذا النور بين قلبين فرقهما الظلام من قبل؟

ابتعدت النجمة سالينو عن النجمة تايغيتا ورفعت كف يديها اتجاه النجمة تايغيتا، فارتفع جسدها لأعلى وانسحبت روحها وهي تسحب أخر أنفاسها وتسقط بجانب الرجل.. كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة وهي ترفع يديها لتتحسس ملامحه وتقول بهمس:

– لا تخاف لن أتركك أبدًا يا رمّاح

وقفت النجمة أمام جثتهما بثبات، كان وجهها مضطرب وتكتم دموعها بغضب.. لاتحرك طرفًا ولا ترمش عينيها حتى همست قائلة:

– الوداع يا صديقتي

مرت دقائق ثقيلة في صمت تام، ثم مدت القلب الذي في يديها لرجل غريب الهيئة وهي تقول:

– ها هو القربان أيها العراف ماذا سنفعل الآن؟

أمسك العراف بالقلب وهو يمسح عليه ويحلق المكر على نظراته، زفر بقوة قائلًا:

– لإقامة العهد يتطلب تقديم قلب نجمة للبركان الجبلي "أهونا موس"، سنسقط هذا القلب في فجوة ليتحول إلى جبل جليدي..يجب أن يقدم له هذا القلب الآن ولن يولد هذا القلب مرة أخرى.!

فتسألت قائلة:

– وماذا إذا وُلد

رمقها بنظرة حادة غاضبة وقال:

لا يمكن حدوث هذا أبدًا.. وإذا حدث وقدم قلب تايغيتا حي..سنتهي جميعًا سيقضي علينا جميعًا

اقترب منها أكثر وصاح:

- سيقضي علينا.!

بدأت باقي الأحداث لي كصور فوتغرافية لهم وهم يقدمون القلب ويقيمون الطقوس حتى ظهرت صورة عامر الطفل الصغير الذي كان يبكي وهو يرى جثة والده أمامه وجثة المرأة التي كانت بمثابة أم له، ظلت دموع عامر تتساقط قبل أن يحمله "حارس السماء"ويذهب به إلى نجمه، دار حوار بينهما كان يروي عامر فيه لحارس السماء عن أمه التي ماتت أثناء ولادته وعن مرضه المصاب به في قلبه وعن والده الذي ركض على علاجه ليالي طويلة ليستجيب الله لدعائه وتظهر تايغيتا في حياتهم، تلك النجمة الهاربة وضعت سرها بين والد عامر وعامر، أحبته كما أراد أن تحبه أمه حتى أنه كان يناديه "أمي تايغيتا"، حتى والده أعطاها حياة بشرية لتصبح زوجته ولكن تلك الصورة العائلية السعيدة لم تدوم، ظلت النجوم تؤثر على قلب تايغيتا بعد هروبها وأصبحت الحياه مستحيلة بين الخوف والقلق إلى أن تأكدوا من مكانها، قال عامر أنهم اختطفوه هو ووالده ليكونوا مجرد طعم حتى توافق تايغيتا على شروطهم وغيره، وكان عدم قبول تايغيتا يزيد الأمر سوء حتى قرروا أن يقدموا قلبها قربان لعهد النجوم الأبراج، فصح عامر لحارس السماء عن وصية تايغتيا له بعد أن أعطته قلبها الحقيقي وطلبت منه أن يكبر ويتزوج وينجب وسيكون أحد أولاده بدون قلب، وهكذا سيعطي عامر قلب تايغيتا لطفل مولود ليكبر هذا القلب بداخله حتى تعود لمحاربتهم جميعًا، سيطر الذهول على كما سيطر

على حارس السماء، كنت في حالة مزرية وكأنني أكدب الحقائق وأكدب نفسي وكأنني أجبر نفسي على عدم الرؤية أشبه الميت الذي ينازع للحياة، كانت حالتي سيئة وأنا أرى عامر الذي ظل تحت رعاية حارس السماء إلى أن حدثت معجزة لعامر وهو في سن السابعة عشر، استطاع عامر دخول أرض سيريس دون أن يحاط بأي نظرات غرابة، لم يعلم أحد من هو عامر ولم يبحث عنه أحد، رغم محاولات البحث المتتالية عنه كانت هويته الزائفة باسم "أطلس" وقربه من حارس السماء كافي لعدم معرفته، وفي سن الثامنة عشر كان حارس السماء يسمح لأبي بالذهاب إلى كوكب الأرض في السر، كان أبي مزيج من الطبيعة البشرية والطبيعة النجمية، لديه قلب نجمي وهيئة جسد نجمية لكن داخل جسده كان يسري دم في عروقه يمتزج بعرق النجوم الأزرق، كانت زيارة أبي للأرض محدودة حتى وقع في الحب.!، لكنني تسألت حقًا.. هل وقع أبي في الحب أم كانت نار الانتقام تأكل حطب قلبه لكي يعيد حق أبيه وتايغيتا؟، هل أحب السيدة مريم؟ أم كانت صفقة غاضبة لا أكثر؟، مع الوقت اتضحت نية أبي اتجاه السيدة مريم... كانت مجرد صفقة لكي يسترد حقوقه ويحقق الوصية، لم يحب السيدة مريم عندما أنجبت فارس وكان طفل بشري بالكامل.!!! لكن آماله تحققت بولادتي أصبح كل شيء كما يريد.. طفلة بدون قلب.. يسري بداخله العرق النجمي..الشيء الوحيد الذي لم يضعه في الحسبان هو أن الأم البشرية لا تستطيع ولادة نجم وتبقى علي قيد الحياة... كانت تلك لحظاتي الأخيرة عندما اختطفني من يد أخي، همست السيدة مريم لأخي بأن ينتظر بي على ظلمة الشارع، خاف أخي من ملامح أمي الهابطة وتجمع الجيران حولها، حملني إلى صدره وخرج للرصيف، كانت تظن أن بنية جسدها ضعيفة وأنها

لن تتحمل الحياة بعد ولادتي وكانت على يقين بأنها ستموت بسب ولادتها، قال لها الأطباء أن حملها في خطر وغريب فتأكدت أنني لست بشرية وأن حياتها في خطر ورغم ذلك لم تتخلى عن انجابي ولم تخبر أبي بأنها النهاية، تركتني بوجه مصفر ونظرات أخيرة وهي تهمس في أذني قائلة "أستودعتك الله"، تدق الساعة التاسعة..يحتضني أخي بعمق..دموع وصراخ السيدة بثينة والجيران على وفاة أمي..إنها أمي.!، أبي ومعطفه الأسود يقف أمام أخي ويسحبني من بين يديه، نظرت لأبي وهو يحملني ويهرب وأخي النائم كالملاك ونافذة غرفة أمي المغلقة بالدموع، طفيف نور من عمود كهربائي وظلام دامس يغطي روحي.

* * *

كان جسدي ينتفض، ترتعش يدي بقوة، يتناثر الغبار من حولي ويظلل الظلام على روحي ورؤيتي.. هل هذه الحقيقة؟ صرخت بشدة..صرخت على مقدار وجعي لأمي على مقدار وجعي لأخي الذي لم أناديه أخي، تشتعل روحي، يتقطع صوتي مع دموعي التي ليس لها معنى سوى الندم، هل ألوم أنانية أبي أم أحزن عليه لأنه لم يتوقع فقدان أمي؟ هل أحزن لأنه قتلها وندم على قتلها فأحبني بشدة؟، إنفضت أنفاسي وأنا أرى صورة أبي وهو يحملني تتلون أمام عيني، كان يحمل رضيعة إلى صدره بحنان.. يمسح على وجنتها ويقبلها بدموعه ثم خرج صوته مهزوزًا:

– سامحيني يا صغيرتي... لم أكره والدتك يومًا لكنني كنت أعيش في قلق جعلني أكره الجميع وأدمر الجميع ولكنني أقسم لكِ لم أكرها ولم أريد موتها.. سأعطيك قلب حافظي عليه جيدًا ولا تتركي أرضنا بلا عدالة

مد أبي يديه لصدره كمن يمد يده إلى شيء رخوي وأخرج منه قلب، حمل القلب النابض وأخترق به جسدي ليضعه في مكانه، احتضني بعذاب وهمس:
– لقد أعطيتك قلب تايغيتا.. سأبقى بلا قلب
اختلط الغبار مرة أخرى وهو يظهر السيدة فيرجن وهي تجلس أمام أبي بكبرياء، ثقبته بنظرة مخيفة وهي تقول له بحذر:
– سيد أطلس هل لديك ابنة؟
تلعثم أبي وقال:
– لا ليس لدي.. إذا كان لدي يجب أن تكونوا على علم
رفعت نظرها له بخبث وقالت:
– سيد أطلس هل يمكن أن يعيش النجم بلا قلب؟
– لا..لا يمكن
– هل يعيش الأرضي بلا قلب؟
– لا..لا يمكن
هل يعيش الأرضي النجمي بلا قلب ؟
لم يكمل أبي جملته حتى غرزت يديها في جسده تحديدًا مكان القلب، غرزتها بلا رحمة وهي تنظر إلى عيناه، ازداد غرز يديها وأنا أقف أمام الصورة المرسومة أمامي بذهول، هذا أبي.. هذا أبي الذي قتل.. أبي، بصوتي المنقطع وعيوني النازفة صاحت فرجين وهي تقول بطغيان مع يديها التي تلطخت بدماء أبي:
– يمكن يا سيد أطلس أن يبقى الأرضي النجمي بلا قلب
تركته ينزف وحيدًا وهي تمسح يديها بوشاحها وتقول لحارسها:

– يجب أن نعثر على الفتاة ونفهم ماذا يجري هنا.. لقد غابت الحقيقة عن أعيوننا كل هذه السنوات، لنستخدم الطريقة التقليدية لها لحين معرفة الحقيقة

أومأ رأسه إيجابًا، تابعت بغضب:

– علينا أن نبحث عن أفضل الكهنة ونفسر تلك اللعنة وأما لحارس السماء فعقابه عسير

اختفت الصورة ولكن بقي صوتي في أذني وأنا أصرخ قائلة:

– لا لا لا يا أبي لا تتركني لا لا يا أبي

لم أشعر بنفسي سوى أنني أركض.. أركض في طريق مظلم للغاية طريق مثل طريق الغابة، أركض كالهاربة وأنا أنظر ورائي فلا أرى شيء لأهرب منه ولكنني أهرب إلى أن سقطت في يد النجمة تايغيتا.! احتضنتني وأنا التقط انفاسي وقدمت لي زجاجة من الماء، أرتويت منها واعتدلت في جلستي على صخرة ضخمة بينما جلست هي أمامي وهي تمسك بيدي وتقول بابتسامة:

– كنت أنتظر هذا اللقاء.. كنت أعلم أن رجوع قلبي للحياة سيعطني فرصة لرؤيتك ياصغيرتي.. أعلم أنكِ حزينة للغاية وتشعرين باليأس وربما محبطة، تتألمي بشدة وتبعثرت حياتك ولكن.. ليس للماضي سلطة الآن لقد مضى الماضي، ماضي لن تكوني قادرة على إرجاع أمك وأبيك ولكنك قادرة على إنقاذ كوكبك، قد تكون حياتك مؤلمة وقد تغدر بكِ أحلامك، تشعرين أنكِ مختلفه عن الآخرين ويؤنبك ضميرك على الذنوب وعلى عدم وعيك ولكن أمامك فرصة في كل الأوقات أمامك فرصة وأمامك طريق يا تكملي هذا الطريق أو تقفي تبكي على ما مضى.!، ليس لكي سلطة للمستقبل ولكن

لديك نفسك عليها أن تكون شجاعة مثلك، عليكِ أن تحتضنيها وتمسكي بها.. توقفي عن البكاء وحاربي من أجل نفسك

التفت للوراء وأنا أرى فارس يلعب مع طفلين في غاية الجمال، يداعبهما وهما يركضان مع بعضهما البعض ويتوقفوا ليحمل فارس أحدهم ويركض بينما يلحقهما الآخر، ابتسمت بسعادة بالغة وأنا أقول للنجمة تايغيتا:

– من هولاء؟

رفعت نظرها لهم وقالت:

– لقد ساعدت فارس لقد تخلص من طفولته البائسة بفضلك لقد وجد نفسه

– كيف؟

– ذكريات المميزين مؤلمة للغاية.. تمتص النور الذي بداخلنا، المميزين هم الذين يسهرون في الليل على ضوء النجوم، يكتمون أحزانهم ويكتفون بالنظر للنجوم..إن استطاع أحد من شعبنا رؤية هذا الذكريات سيفقد قوته ونوره تدريجيًا إلا أنتِ

– لماذا؟

– كان هذا اتفاقي مع النهر السرمدي..أن وُلد أحد بقلبي سيستطيع السيطرة على هذه القوة لكي تساعدي المميزين وتزيد قوتك لتواجهي ظلمهم بنورك

– وهل نجحت؟

– لقد ساعدتي فارس وأخذتي منه ذكرياته السيئة وحليتي عقدة قلبه وذنبه الذي لم يرتكبه ولكن..

– ولكن؟

– هناك أحد ما سيطرتي على ذكرياته السيئة أيضًا..

- من؟

نظرت إليه وهو يقترب مني، وسيم كعادته ويزينه الأسود كما رأيته دائمًا، لم ينظر لي أو للنجمة كان يمشي في طريقه دون أن يرمش له جفن، انتفضت من مكاني وقلت بصوت مرتبك:

- أدهم.!!

فجأة تشوشت الصورة كانت تتكلم لكنني لم أسمعها، دوار شديد يحوم حول رأسي، فوجدت النجمة تايغيتا تمد طرف أصبعها على جفن عيناها وتمسح دمعتها وتقترب من وجنتي لتمسح عليهما بلطف محبط، أغمضت عيني وتنفست الصعداء

فتحت عيني مرة أخرى في ظلام دامس، أصوات متطايرة، كان عقلي يدور ويدور، أشعر كأنني نائمة لسنوات، أتضحت رؤيتي ببطئ وحذر، يبدوا سقف الغرفة مألوف، حتى لمستني يد سالينو وهي تقول بفرح بالغ:

- لقد استيقظتي..استيقظتي.. سارة..سهيل لقد استيقظت

حملتني سالينو إلى حضنها بينما أمسكت سارة بيدي بإحكام على عكس سهيل الذي كان يقفز من فرحته كأنه فاز في مبارزة، كان وجههم يفرط من الابتسامات والسعادة، نفضت أفكاري وأنا أتذكر كل الحقيقه دفعة واحدة وكل ما حدث لي في طريقي للحقيقة، لم أستطيع أن أقتل فرحتهم بحقيقتي فلتزمت الصمت وأنا أتابعهم، أعتدلت في جلستي مرة واحدة لأراهم بهذا القرب وهذه المحبة، شعرت بشيء يسري على خدي فمسحت خدي لأجد دمعة، قبضت على يدي فأنا أعلم جيدًا لمن هذه الدمعة، سعادتهم ملئت الغرفة

المظلمة وحولتها لحديقة أطفال بأصوات ضحكاتهم ومزاحهم، هل غيابي لأيام معدودة جعلهم بهذه الحالة، ابتسمت بسخرية وقلت:

– هل غيابي لأيام معدودة جعلكم تشتاقون لهذه الدرجة؟

شحبت وجههم وتوقفوا عن الضحك وكأن صاعقة من الحزن أصبتهم، كانت سالينو تجلس أمامي فسحبت عيناها كي لا تواجه عيوني، خفق قلبي بذعر وقلت:

– ماذا يحدث؟ كم غبت عنكم؟

حيرة مع نظرات هاربة يتبادلونها بخفاء، توترت يديها وتعرقت مع كآبة صوتها المتناسب مع وجهها البارد بمنتهى البرود قالت:

– أنتِ نائمة منذ.. منذ سبعة أشهر

لقد سقط عقلي مع نظرات الدهشة غير مفهومة..

* * *

عندما تسقط الأحلام تكون مؤذية أسوء من كوابيسك اليومية، تظن أن بمجرد تركك للشيء سيمضي، لكنه لا يمضي ويبقى بداخلك وبذكرياتك وأمامك لتلك المرحلة التى تهرب فيها من كل مكان وزمان حتى لا يعثر عليك، يظل المشهد يتكرر بأحداث مختلفة وتتمنى لو أن الإحتمالات اختلفت، ترى نفس الشيء مجددًا وتتمنى لو كنت أكثر تركيزًا، لو أن عيونك احتضنت الموقف كأنها اللحظة الأخيرة، لو أن يديك أمسكت به بشجاعة، بخوف، بوصب، بنهاية.!، شهقات متلاحقة ونبضات قلب متراكضة وأنا أحاول الإمساك بأنفاسي فأسحب روحي وأخرجها مرة أخرى دون توقف، تظهر حبات العرق كالأعلام في البحر، سحبت يدي وبحثت عن مفتاح

النور، أضاءت الغرفة أخيرًا.. كابوس آخر يضاف لقائمة الكوابيس، رغم هذا الشتاء الطاعن في الأجواء إلا أن روحي تحترق، حتى كوب الماء لن يطفي الحريق الذي يهلكني فأضطرت لاستجماع قوتي والذهاب للمطبخ لأنال كوب آخر من الماء، لم يكن الطريق للمطبخ بهذه الصعوبة لولا وجود صديقات أمي في جلسة نسائية، بعد أن زيفت ابتسامتي وألقيت السلام توقف عن التبسم واستسلمت لموجة هائلة من الحزن وأنا أسكب كوب ماء في مطبخنا الواسع، كان المطبخ رغم مساحته ذات أنوار هادئة وباب مغلق، ظلت عيني عالقة على قطرات الماء التي تسقط في الكأس ربما تمنيت أن تسقط دموعي بتلك السلاسة، صوت رقيق يأتي من خلفي:

– ماذا تفعل؟

التفت لأرى سلمى بابتسامتها الهادئة وفستانها الكحلى ذات الأكمام الطويلة، تقف أمامي، أجابتها بالامبالاة:

– لا شيء جئت لأشرب ماء

– أردت أن أخذ صحن ورأيتك شارد حتى أنني فتحت باب المطبخ ولم تشعر بوجودي

– أن لا أشعر بوجود شيء

– أظنها ميزة

ابتسمت بغرابة وقلت:

– لا أظنها ميزة.. فالميزة الحقيقية هي تحمل الجلوس في جلسة نسائية تتبادلون الأحاديث عن نفس الشيء ونفس الأشخاص

– أصبت..إنها جلسات مملة بالفعل وإن لم تجد شخص ما في نفس عمرك ستقتل من الملل حتمًا

–وما يجبرك على القدوم؟

– أمي تستمتع..كما أنني ابنتها الوحيدة فتفرض عليا القدوم

– أليس لديك أخوة؟

– لدي أخت في التبني لكنها تقيم بالخارج مع زوجها اسمها "سيلين".. حتى أنك حضرت خطبتها

سيلين لا تعلم من أنا ولكنني أعلم جيدًا كل من مر في حياة تايغيتا إذا كانت تايغيتا حقيقية، دارت الإحتمالات في عقلي ربما تكون تايغيتا روت لسيلين عني ولكنها لم تراني وهذا ما جعلني مطمئن، أن لا أحد يعلم أنني أدهم نفسه ، قطعت صوت سلمى أفكاري وقالت:

– أدهم..أدهم..في ماذا شردت؟

فرفعت نظري لها وقلت:

– لا شيء فقط شردت

– هل شردت فيها؟

– من؟

– تلك الفتاة التي تحبها أتملك نفس الاسم؟

– لا ليس كذلك

فقالت لي بأسلوب فضولي:

– هل يمكن أن أسأل سؤال؟

– تفضلي

– دائمًا تتكلم عن تلك الفتاة التي أحبتها ولكنك لم تذكر اسمها أبدًا

– لا أحب أن يعرف أحد اسمها وربما يجب أن تكون علاقتنا قوية لأخبرك باسمها

– أنا آسفة لأنني تدخلت في شيء لا يخصني

– لم أغضب

– هل تعلم أنني أحسدها بشدة.!

تعجبت جدًا من جملتها وأنا أقول:

– تحسديها لكونها أحبت كئيب مثلي؟

فقالت بابتسامة ناعمة:

– بالطبع لا.. أحسدها لأنها وجدت أحد يحبها مثل ما تحبها أنت

أشرت بأصبعي لها كالمعلم وأنا أقول:

– هذه أكبر جملة خاطئه.. نظن أن الحب هو الشيء الذي يقوي العلاقة على العكس تمامًا فالحب مجرد غطاء لكثير من المشاعر المطلوبة لإكمالها

– مثل؟

– الثقة.. الاحترام..إنها ليست مجرد مشاعر مراهقة إنها مشاعر حقيقة جذابة

– وماذا الذي لم يكمل علاقتكم؟

– الحب.. لقد رأيتها بحب فقط لم أراه بطريقة أخرى، الخوف من كوني أحببت، الشجاعة لم أملكها يومًا ما، كانت طوق نجاة لي ولكنني رفضته ظننت أن البحر لا يغرق، كنت أظن أنها مشاعر مراهقة، كنت أظن عدم وجودها أو دعيت عدم وجودها

– لماذ لم تخرجها من عقلك؟

– لأنني من تركتها، أنا الذي توقفت فجأة دون أن أخبرها، لو كانت هي التي تركتني ربما تقبلت الهزيمة مع الوقت لكن فكرة أنني الذي تخلصت منها تجعلني أراها في كل مكان وكل ثانية

– لأنك لم تجرب أن تحاول مع فتاة أخرى

– لا أحد يشبهها ا ولا أريد أن يشبهها احد

دام الصمت بيننا للحظات حتى أعلنت انسحابي بحجة عملي وتركتها، كانت خطواتي على الدرج ثقيلة وأنا أراكِ في ذاكرتي وجدتك بجانبي.! ربما لا تعلمين لماذا أكتب لكِ هذا، هل تشعرين بالغيرة؟، لقد أصرفت في وصف سلمى بالرقة واللين، هل لاحظتي هذا في كلماتي؟، وضعت القلم ونظرت على الكرسي الذي أعتدت رؤيتك عليه، فوجدتك.. كنتِ دائما موجوده بالقرب مني، ترتجف يدي وتتعرق وتتهرب نظراتي من رؤيتك حتى نطقتي قائلة:

– متوتر من وجودي؟

كانت النار تحرقني من فؤادي كل تفاصيل القسوة والتوتر بداخلي، نبرتي باردة دائمًا حتى ملامحي باردة لحد الموت لا أحد يصدق أنني أحترق حتى أنني كنت أحترق في تلك اللحظة على عكس ملامحي وثباتي قلت:

– لست متوتر ولا يهمني شيء

نثرتي شعرك بلطافة وأسندتي ذقنك بكف يديك بطفولتك المتطايرة قلتِ:

– انتظرك تروي لي قصة جديدة من أوهامك تغطي بها ذنبك

– لا أغطي ذنبي..أنا مخطئ ولكنني ضحية لهذا الخطأ

– عذر أقبح من ذنب يا أدهم

- لم تعودي؟

- لم تبحث عني

كان النقاش يزداد لهب نار مع ملامحنا الثابتة كمن يقتل بالسم البطيء، نظرت إليها بعمق صمت العالم من حولي وقلت:

- أنا آسف

تطاير الحزن من عينيها وأجابت:

- لن يغير أسفك شيء مما حدث.. لن يغير

- أصرخ من الوحدة.. أنا أحتضر

- لا يمكنك أن تحتضر دون سبب، ما هو مرضك؟

ابتسمت لها وقلت:

- أنتِ

- عليك البحث عن سبب أكثر منطقية

- مازالت أمي مشغولة بإثبات وجودها في عملها وحياتها العملية ولا ترى في حياتها الأسرية سوى تمارا التي تريدها أن تصبح كما تريد هي

- وماذا عن بيانكا؟

- إنها السبب الوحيد للحياة..أن ترى طفل متمسك بك.. يتعلم منك وهذا ما يجعلني أتألم لأنها تتعلم من أسوء قدوة لها.. أشعر بالخوف من أن ترى حقيقتي الكئيبة

- أتخاف من التواصل مثل الشاب الذي كان في التاسعة عشر من عمره؟

- لا أظن أن هذا الشاب تغير..ربما كبر هذا المراهق في نفسي ولكنني تجاهلت صوته دائمًا

- ظننتك تعالجت من ثنائي القطب؟
- لقد تعالجت بنسبة كبيرة بالفعل
- أنت لم تعالج نفسك بعد.. أنت تتألم بسب كرهك لهذا العالم
- أليس هذا العالم يستحق الكراهية
- ويستحق أيضًا أن تحب نفسك، عندما تضع نفسك ضمن كراهيتك للعالم ستفقد كل شيء،عليك أن تتمسك بشيء واحد وهو نفسك يا أدهم هي دوائك

أشاح نظري بعيدًا وكانت جملتك الأخيرة ترن في أذني، لم أتأخر عن كتابة هذه المحادثة أيضًا وتركت لكِ سؤال، هل أستحق أن أحب نفسي؟

* * *

كان الانفراد بنفسي هوالحل الأمثل لاستجماع أفكاري وأي طريق سأخذه الآن؟، جاءت سالينو من خلفي وأستندت علي لتجلس بجانبي في الشرفة، كما أتت سارة وبجانبها سهيل ليجلسوا بجانبي، لم يريدوا أن يتركوني في وحدتي تحديدًا بعد ما رويت له ما حدث، ظننت أنهم سيشعرون أنني من دمرت كوكبهم وأن خطأ والدي جعلهم بهذا الظلام، تحطمت كل ظنوني عندما تركتهم ووجدتهم بجانبي الآن، ساد الصمت بينا للحظات ونحن ننظر لعالمنا المظلم، هل نحن لعنة أم مختلفون؟، هل نحن ذنوب أم تجارب؟، أفكاري تتساقط علي كأسهم المعركة كل ما يدور في رأسي ماذا أفعل وماذا حدث؟، فصلت يداي عن بعضهما وأنا أنظر لهما بتمعن، تسللت يد سالينو إلى أحد يدي بينما تسللت يد سارة لليد الأخرى، نظرت سارة نظرتها النقية وقالت:

– لديك يدان في نفس الجسد ربما ينفصلان لكنهما سيظلان في نفس الجسد

نهض سهيل أمامنا بحزم وقال:

– توقفوا عن صنع الدراما

صاح قائلًا والشر ينتفض من عيناه:

– الجميع اختار السكوت عن الجريمة.. جميعهم اختاروا أن يكونوا عبيد دون أن يسألوا أو يفكروا.. جميعهم صمتوا عن الحق وعن الواقع ولم يسأل أحد هل هذه طبيعتنا أم لا؟ هل هذا شعبنا وكيف وجدنا أنفسنا؟ لم يسأل أحد وهم ينثرون جسد أقاربهم كل يوم في النهر السرمدي ولا يمر اليوم المقدس حتى يحل مكانه طفل جديد وينسي الجميع.. الجميع مذنب سوانا، نحن نرفض قواعدهم..نحن نختار أنفسنا ولسنا مثلهم.. نحن لا نسعى أن نكون مثل ما كنا لنتحرر من هذا الاستعباد

نهضت سالينو وصاحت برتجاف:

– لا يهم ما حدث ما يهم حقًا هو نحن.. ما يهم حقًا أننا لن نحني رأسنا للظلم ونكمل حياتنا..

نهضت سارة هي الأخرى ووقفت بثبات تقول:

– أنها أنذار الحرب يا تايغيتا..

قالت سالينو بصوت جهورى ممتلئ بالغضب:

– الانتصار أو الموت لا يوجد استسلام

تغرغرت عيني بالدموع ووقفت أمامهم أقول بقوة لم أشعر بها من قبل:

– لننهاهم جميعًا

احتضنت سالينو وسارة كمن يمسك بضائعته،ثم قال سهيل مازحًا:

– لا تجعلوني أنتظر كثيرًا لدينا حرب لن تنتظر أحضانكم
ابتسامنا جميعًا وتنفست كأنني أتنفس لأول مرة وقلت:
– لدي خطة
توجهوا لي جميعًا واستيقظ انتباهم فقلت:
– يجب أن نبحث عن جبل "أهونا مونس" أولًا يجب أن تبحثوا أنتم عن الجبل بينما سأنتظركم هنا
ردت سالينو قائلة:
– لماذا؟
– يجب أن أبحث عن خطة أمتص بها ذكريات أدهم.. تلك الذكريات تقوي قلبي يجب أن أطلب المساعدة من أدهم حتى تكون لدي قوة كافية لمواجهتهم
– وما الخطة؟
– سأمتص تلك الذكريات وسأواجهم عند "أهونا مونس"، ستأتي النجمة سالينو بالتأكيد وستكون هي القربان ليتفكك هذا العهد
قالت سالينو:
– وما الذي يجعلك متأكدة من أنها ستأتي؟
– لابد أنها تريد أن ترى قلب تايغيتا النابض
– كيف سيحدث هذا لا أحد يعلم.
– سيعلم الجميع أن قلب تايغيتا عاد للحياة وكأنها معجزة أو..
ابتسمت لسالينو باستهزاء وقالت:
– أو لعنة

عقدت سارة حاجبيها وقالت:

– وماذا لو فشلت هذه الخطة؟

أجبتها:

– هناك خطة بديلة؟

قالت:

– ما هي؟

صمت للحظة وقلت:

– ألم تقولوا لي الانتصار أو الموت.!

أمسكتني سالينو من ذراعي وقالت:

– لا تفعلي شيء مجنون سنضحي بأرواحنا جميعًا معًا

كانت تلك المرة الأولى التي تستيقظ العدالة بداخلي، شعرت وكأن قلبي وعقلي يرفضا هذا الضعف ويطردونه للخارج فقلت بحزم:

– لقد كنت مجنونة عندما أصرفت دموعي وعقلي وقلبي والآن أنا في كامل قواي العقلية

صاح سهيل قائلًا:

– إذا هيا للعمل.. أنا وسارة سنذهب للبحث في المكتبات عن معلومات عن جبل "أهونا مونس".. وسالينو ستأخذ تايغيتا ونلتقي عند النهر السرمدي

قلت:

– سهيل عندما أذهب أريد أن تشيع أن تايغيتا عادت للحياة

– بالطبع سيحدث

قالت سارة:

– إذا هيا

الطريق بين القصر والنهر ليس طويلًا، كانت اللحظات الصامتة ومحاولة الحذر في خطواتي ومحاولة الهروب من الأعين ملازمة لطريقنا، توقفت ونظرت لأحد المناطق السكانية التي تعوي بالكثير من أفراد شعبنا مثل السوق، داهمتني ثقة بنفسي وأنا أعدهم بالتحرير من تلك اللعنة، لقد تربيت بينهم في الظل وأنا لست منهم، لأي كوكب أنا أنتمي.. كوكب أبي وطبيعته النجمية، أيجب أن أعترف أنه تخلى عن بشريته منذ تلك اللحظة التى فقد فيها والده والمرأة التي بمثابة أمه؟، أم أعترف بأمي التى تعرضت للظلم في سبيل حبها؟، هل طبيعتنا النجمية تسري في دماء فارس؟، وما الفائدة من إجابات تلك الأسئلة إن لم أستطيع أن أثبت للعالم من أنا؟، أنا تلك المحاربة التى فرض عليها القدر السيف والحرب..هل سأبكي الآن بعد كل شيء، أنا آسفه أيتها الدموع فغضبي يثور مثل ما ثار قدري.

ها أنا الآن أمام غلاف النهر، أقف بصمود على عكس سالينو التي جلست تلقط أنفاسها، رفعت راحة يدي على بعد سنتميترات من الغلاف وقبضتها، أريد أن أكسر كل شيء حولى أريد أن أتحرر من تلك اللعنة التى انتهكت حياتي، صوت سهيل وسارة شد انتباهي ونحن نجتمع دائرة، قال سهيل بلهجة خائبة:

– لقد بحثنا في العديد من المجلدات والكتب والخرائط ولم نجد مكان هذا الجبل سوى هذه الصورة المحروق أطرافها

انتشت الصورة وأنا اتمعنها بغرابة فهي صورة بالية محروق أطرافها، تلاشى أملي في لحظة وكانت أعصابي تكاد تتلف من الغضب، لقد محوا كل شيء وكيف سأجد مكانه.!، زفر سهيل وقال:

- لكننا وجدنا إجابة لأحد الأسئلة

زمجرت سالينو بنفاذ صبر:

- تكلم.!!

فقال:

- آخر يوم مقدس قبل قتل والدك سجلت ولادة لطفل تحت النجم أطلس وعندما تغيرت ملامح حارس السماء عند ولادة هذا الطفل آثار هذا شكهم.. واتبعوا حارس السماء حتى علموا بمكانكم وعندها أقاموا زيارة لكما وتأكد شكهم من اسم والدك.. ليس من الطبيعي أن يولد طفل لنجم ما ولم يمت الشخص الذي قبله والفزع الحقيقي عندما نطق والدك باسمك قبل موته فظنوا أن النجمة تايغيتا ولدت من جديد ولكن..

قالت سالينو بغضب:

- ولكن ماذا..؟؟

أجابها بنبرة باردة:

- لكنهم لا يعلمون أن تايغيتا لم تمت يظنون أنها ولدت من جديد وأن إبعادها وتأثير ذكريات المميزين سيكون كفيل بكسر تلك اللعنة وقتلها

سحبت نظراتي لعيون سالينو وقلت بابتسامة ساخرة:

- يظنون أنني لعنة ستنتهي تحت تأثير الخوف

قالت سارة بفضول:

- ما الخطة الآن؟

تبادلنا وسهيل الابتسامات وكأننا نقرأ أفكار بعضنا البعض حتى نطقنا في صوت واحد:

- أصبحت الأمور أسهل من قبل

قالت سارة:

- أسهل..؟

قال سهيل:

- عندما يعلمون أن قلب تايغيتا مازال ينبض ستتوتر الأجواء وبالتأكيد سينقلون الأخبار إلى نجمتهم الظالمة "سالينو" وهنا سنعرف مكانها ونجبرها على الإخبار بمكان الجبل

فأجابته:

- وماذا إذ لم يفعلوا هذا؟

قال:

- إذا لم نصل لمكانها لابد أنهم سيبعثون جنود للجبل لحمايته.. توتر الأجواء سيخلق حالة من الفوضى في صالحنا

قلت لهم بحماس:

- لا أحد يستطيع العبور للنهر سوى سارة لذلك عليكِ أن تراقبي حركة نجوم الملكة "فرجين" وجميع النجوم الأبراج وعليكِ أن تدويني ملاحظات بخصوص حركاتهم وإذا اضطررتي سافري لأي قمر قريب من تلك النجوم ليساعدك أكثر

أومأت رأسها إيجابًا.. أشارت إلى سهيل وسالينو وقالت:

– عليكم نشر تلك الأخبار والانفصال في اتجاهات مختلفة للبحث عن هذا الجبل علينا العثور عليه

قالت سالينو بتذمر:

– وماذا إذا وجدنا الجبل ما خطتك البديلة إذا لم يقوى قلبك بذكريات أدهم؟

– سأحاربهم عند هذا الجبل بقوة النورالذي بداخلي وإذا خذلت..

تغرغرت عيوني بالدموع فأنا في ثقة تامة بأن أدهم لن يخذلني وسيساعدني فزفرت بإجهاد:

– لا أعلم يا سالينو

أردت أن أعتذر منك في تلك اللحظة لأنني كذبت عليكِ للمرة الأولى منذ معرفتنا، كنت أعلم الطريق ولكنني كنت خائفة من إخبارك كنت أعلم أنك ستتمسكين بي في حين أنني لست متمسكة بنفسي بهذا القدر فأنا على استعداد أن أضحي بروحي لأثبت وجودي، أنا آسفة لأنني كذبت عليكِ لأدخل الإطمئنان بداخلك، هكذا هي قلوبنا يا صديقتي نحملها بكل المشاعر وكل الإحتمالات.. سأترك كل ما أملك وألقي بنفسي في النهر على أمل أن تخيب ظنوني وأعود لكِ..

* * *

أنت غريب أم مختلف؟، منبوذ بأفكارك كالغراب المهاجر، تتجول في الأرجاء كأنك الفرد الأخير من نوعك ولا تعلم سوى أنك تريد نفسك، أن تجد نفسك ولا تبحث عنها، أن تحتضنها ولا تطعنك، أن تبتسم لها ولا تصرخ في وجهك، أن تزيل الآثار المؤلمة من روحك، والآن أنا على ضفة النهر بعد أن صارعت الحياة في هذا النهر، لقد رأيت شهب ونجوم وأنا أغرق في تيار الماء،

والآن أسرح على ضفة النهر بخوف وبغضب، جلس بجانبي محسن دون سابق إنذار، تبادلنا النظرات بلامبالاة ثم قال بابتسامة هادئة:

– لقد طال غيابك

أجبته بنبرة استهزاء:

– لم يحدث بمحض الصدفة.!

– لا أؤمن بالصدف يا صغيرتي

– لصالح من تعمل؟

– لصالح القدر

– أنت اخترت سيلين وأوهمتها أنني محاولة انتحار..لماذا؟

– لتلتقي بفارس

– كيف تعلم بخصوص فارس؟

– مثل ما أعلم بخصوص أبيك عامر

– من أنت؟

– أنا حارس الأكوان يوجد مني في كل كوكب شخص، نحن حلقة الوصل

– لماذا تساعدني؟ لماذا تريد أن ألتقي بأخي؟

– لسوء الحظ أنني لا أملك إجابة لكل أجوبتك سوى إنني كنت على علم بقصة أبيك لأنني كنت أساعده في الوصول إلى هنا.. أنا أحمي هذا المعبر وأتعايش مع سكان الكوكب حتى أكون واحد منهم– – هل حامي الأكوان بنفسه يساعدني ولا يساعد النجوم الأبراج.!

– أنا أساعد القدر والعدالة يا صغيرتي

– أنا لست صغيرتك

ضحك ضحكة قصيرة وقال:

- يبدوا أن الحقيقة فادتك

فأجبته بيأس:

- سأدمر كل شيء ليتحرر كوكبي من هذا الظلم

ابتسم وهو ينهض وقال:

- إذا أردتي معرفة سبب مساعدتي فستجديها في آخر كلمة في جملتك

ربطت الأحداث سريعًا واستنجدت أنه يساعدني لتحقيق العدالة فهو ليس سيء، نهضت وأسرعت خطواتي من خوفي وناديت قائلة:

- أريد الذهاب لبيت أخي.. أريد مال

التفت بابتسامة وقال:

- عودي أدراجك

سارع خطواته وذهب بينما عدت مكاني للضفة وأنا حائرة كيف سأذهب، أثناء حركتي ذهابًا وإيابًا وجدت مكان جلستنا بعض من النقود، أمسكتها وأنا مذهولة لقد وضع محسن بعض من المال مكاننا، كنت سعيدة للغاية فأخذتها ودستها في جيبي وغلفت نفسي بالمعطف رغم شمس الصيف إلا أنني خبأت رأسي بقلنسوة المعطف وأكملت تمشيه بين البشر، أريد الصراخ بأنني لست منكم ولست منهم، أريد الصمود.. كم شخص بينهم يحمل ذكريات سيئة وأنا أراها بكل وضوح..أنا أشعر بيهم

نفس الباب وها أنا أقف أمامهم مجددًا، تذكرت كيف أتيت هنا لأول مرة بقلب مكسور ودموع حزينة، كنت أقف خلف سيلين لتحميني، أتذكر وجه ضحى وهي تفتح لنا الباب بوجهها البشوش وضحكتها، ها أنا أقف مجددًا

أمام بيت أخي الذي جئت إليه كغريبة لاجئة، البيت الصامت يتصاعد من داخله الآن صوت ضحكات جميلة، تتعالى ضحكتهم وتتمحى معاه خوفي، طرقة..طرقة أخرى.. صوت ضحى وهي تنادي:

- قادمة

ينفتح الباب..ضحى إنها ضحى بوجهها البشوش وعيونها الجميلة، احتضنتني بحماس، كاد حضنها أن يشقق ضلوعي، صاحت بفرح:

- نور..أنتِ..

هدئت من حماسها وقلت بضحكة:

- إنها أنا.. لقد أنقذتني صلاة الفجر

ضحكت ضحكة جميلة وكأن العالم يصمت لضحكتها ولكن لافت انتباهي بطنها..تشبه..إنها حامل، صرخت باندفاع:

- أنتِ حامل..أنتِ حامل

أومأت برأسها إيجابًا، داهمتنا نظرات سيلين وهي تقول:

- نور..!!

ضمتني سيلين إلى أحضانها لكن وصل لي إحساس بالخوف الشديد، إن ضحى حامل حتى أن نظراتي لبطنها لم تفارقها من شدة الخوف، كأن العالم يصمت من حولي، خنقني شعوري بغيظ وأنا خائفة حقًا ، تمتمت بداخلي قائلة "أتمنى أن لا يكون مصير ضحى كمصير أمي"، واستمر الشعور يخنقني دون أن يبالي لحديث سيلين وضحى وكأني أكذب نفسي من طرف ويحاربني الطرف الآخر بالحقائق، تعود ضحى بحماس أكثر تقول:

- انظري..أنا حقًا لا يهمني هذا الموضوع ولكنني أتمنى أن تكوني عمة أولادي

قلت بغرابة:

- ماذا تعني عمة؟

أجابتني سيلين بهمس:

- أخت الأب

ابتسمت وصمت للحظات وقلت:

- لسوء حظهم أن عمتهم فضائية

تعرقت وجوهم من الدهشة وظلوا ينظرون بغرابة للحظات إلى أن ضمتني ضحى مرة أخرى وقالت هامسة:

- أنا سعيدة للغاية لأنكِ عمتهم

قالت سيلين بغصة:

- كيف؟ هل فارس؟

أجبتها بهدوء:

- لا، فارس أخي ولكنه ليس مثلي..هو بشري مثل أمي وأنا مثل.. مثل أبي

نظرات ضحى الصامته المندهشة:

- كنت أشعر بهذا

- أين فارس؟

- في المطبخ

ضحكت سيلين وقالت:

- لا تدخل ضحى المطبخ منذ حملها

نهضت قائلة:

- سأذهب إليه

توترت خطواتي وأنا أعرف الطريق جيدًا، كل ما يدور في رأسي هو أنني أمشي لأخي.! لدي أحد ما في هذه الحياة، دخلت المطبخ ورأيته لأول مرة، لم يتغير مثل ما تركته، نظر لي نظرة خاطفة وأكمل عمله، اقتربت منه وأنا أتعرق ويدي ترتجف إنها المرة الأولى لي أن أكون بجانبه كأخت له، تنثر أشواك بداخلي وأنا السبب في ألمه ومعاناة الجميع ولكنني لن أتراجع اليوم عن البوح بما يجول داخلي، قلت بتوتر تتماسك به نبرة من الشجاعة:

- لابد أنك تكرهني كثيرًا.. لا تريد رؤيتي ربما تريد طردي الآن .حقًا لا أريد أن أقتل سعادتك مثل ما قتلت طفولتك ولكنه ليس ذنبي وليس ذنبك..لن تكفي الحرب التى بداخلي ولن تطفىء نارك أن احترقت ألف عام.. لكنني ضحية مثل ما أنت ضحية لقد فقدت كل شيء في حياتى ولم أشعر بشعور واحد حقيقي مثل ما أشعر الآن..ربما لا أستحق دعمك

لقد فلت مني رباط دموعي وتخليت عن شجاعتي واستسلمت لانهياري:

- أنا لست سيئة ولست لعنة..كان وجودي السبب في كل دمار بينما وقفت في زاوية أتأمل دون المحاربة.. أنا لم أريد أن أدمر حياتك ولم أريد شيء مما حدث..أمنيتي الوحيدة كانت عائلة سعيدة مثل باقي الكائنات.. أنا لست فضائية ولم أتركك لقد اختطفت من بين يديك

صاحت كلماتي الأخيرة بدمار تام:

- أريد أن تراني كأخت لك..أريد أن أكون موجودة بين حياتك ولو على الهامش..أريد فجر لحياتى ودعم لحربي.. أريدك يا أخي

كانت يدي ترتجف ونظرات ضحى وسيلين مثبتة علينا حتى ألتفت فارس وضمني لحضنه، كان ذلك الشعور يعيد بنائي مرة أخرى أن تجد من يضمك لحضنه في تلك اللحظات العصيبة، أن يتقبلك الجميع كما أنت والأهم أن تتقبل نفسك، وفي النهاية فارس تقبلني كأخت له، رأى تضحياتي وحزني، رأى أخته التي تركها منذ ثمانية عشر عام، رأني لأنه أراد رؤيتي وشرد في كم مرت السنين وكبرت ولم أعد تلك الرضيعة التي حملها بين يديه، لقد أصبحت بنت جميلة لديها ضحكة حلوة تشبة أمها، فارس رأى نفسه ورأى زوجته وتعالج ليكن قادر أن يقول لي يا أختي دون تردد، ابتسم لي وهمس:

– مرحبًا بك يا أختي

ابتسمت سيلين وقالت بفرح:

– يجب أن أخبرك بأخبار سعيدة للغاية

– ماذا؟

– ستنعقد خطوبتي على تميم أخ ضحى

– ماذا..!! لقد سعدت للغاية كم هذا مبهج

كانت ليلة مليئة بالأحاديث، لم نشرب الشاي لوحدنا بعد الآن يا ضحى، ففارس يحتضنك ويحتضني وسيلين تروي لي قصة حبها اللطيفة، لقد استطاعت سيلين الخائفة أن تتخطى خوفها وترى نفسها تستحق السعادة وأن لا ذنب لها في قدر والديها والآن هي في قمة السعادة مع رجل متفهم يراعي مشاعرها ويراها كما هي، الآن يمكنني النوم براحة دون الكلام في الماضي فقط أضع أذني على بطن ضحى وأسمع ركلات مع قهقهات منيرة، تلك اللحظات حتى لو مرت ستظل في ذاكرتي، بعد أن طل الليل وذهب الجميع

للنوم وأنصرفت سيلين، أردت أن أقف في الشرفة أستنشق هواء وأزيح الهم عن عقلي، برز النور المنطلق من عمود الكهرباء ليضيء الشارع بأكلمه، تنفست الصعداء وأغمضت عيني وانتشرت علامات التفكير من عقلي، سمعت صوت فأدرت عيني ببطيء، لأجد ضحى تتقدم بجواري بابتسامتها اللامعة، همست لي:

– هل أنتِ بخير؟

أومأت رأسي إيجابًا ثم قلت بزفير:

– أحاول

– لقد أردتي رؤية الحقيقه بشدة.. هل فادتك؟

– كثيرًا، جعلتني أعود لوعي.. ليس كل شيء كما يبدوا..الآن أنا أحمل الكثير من الحقائق

– تؤلمك؟

– لا تؤلم.. فقط تحزن.. تحير وتضل الطريق.. كان أبي خائف من كونه بشري كان يظنه ضعف لأن والده قُتل أمامه وفقد أمه قبل أن يقول لها أمي..وجد الجرأة والشجاعة في النجمة تايغيتا فأراد أن يكون مثلها أو أكون أنا مثلها

– كانت أحلامه في الطريق الخاطئ إذا..

– لا لم تكن في الطريق الخاطئ لأنه لم يأذي بها أحد إلى أن وصل لأمي، تلك الفتاة الشابة اليتيمة..تربت بين جدران الملجأ واختارت أن تعمل وتحدد مصيرها وكان أبي مصيرها أسود.. لقد أحبها لمصلحته وآذها لأحلامه

– هل رأيت هذا؟

– نعم رأيت كل الأحداث لكنني لم أخبر بها أحد ولم أحدث بها حتى نفسي

– لماذا؟

– لا أريد أن أخبر نفسي بما حدث..لقد رأيت ما يكفي وملخص القصة كان مؤلم فكيف بالتفاصيل..أتعلمين ماذا فعلت.!

– ماذا فعلتي؟

– حرب..! حرب شاملة

– حرب؟

تطلعتُ فيها وقلت:

– هلاك تام، سأفعل كل ما يجب فعله

تشبكت يديها وتوترت وقالت:

– أخاف عليكِ من نفسك

نظرت باستهزاء مع ابتسامة:

– لا تخافي فأنا لأول مرة أختار نفسي

ساد الصمت للحظات فقاطعته ضحى:

– ما من أخبار عن أدهم؟

– يجب أن أجد أدهم في أقصر وقت ممكن

– للأسف هدم المبنى

شردت بعيني وقلت:

– لابد أن أعثر على طريقة للقاءه.. ربما يذهب لهذا الشارع مرة أخرى

– لا تتذمري..سنجد طريقة لا تقلقي

ضحكت بمرونة وقلت بعد ثواني:

– حقًا.. كانت صدمة لقصة حب سيلين وتميم لم أتوقعها أبدًا

- حتى أنا

- ألن تخبريني بما حدث؟

- فالواقع كان الأمر سريع..أرادت أمي أن تبحث لتميم عن عروس فتميم متغيب عن الواقع في أغلب الأحيان ومندمج في عمله، عندما جاءت سيلين إلى هنا أعجب بها تميم، قال لي يومها "إنها فتاة ذات روح جميلة..تحب عملها وتهتم بمن حولها" شعرت حينها أن بينهما رابط قوي، فتواصلت مع سيلين لتتناول الطعام معنا وتمت خطتي بنجاح.. يوم بعد يوم أصبحوا بقرب أكثر ولكن

- ولكن ماذا؟

- عندما استعاد فارس نفسه لم تجد سيلين فرصة للقدوم إلى هنا، فتواصل معها تميم لمدة شهور لتزدار معرفتهم ببعض وتقبلهم لبعض وهكذا هي قصة الحب ضحكت بتعجب وقلت:

- عندما يقول الناس قصة حب نتخيل الكثير من الأحداث..

أمسكت بيدي وقالت:

- ليست قصص الحب مهمة أبدًا بقدر التفاهم والمحبة

- انظر إلى دائرة الحب التي وقعنا فيها.. أنتِ وفارس من الحطام إلى البناء وأيضًا سيلين وتميم ليسوا ذات قصة حب بقدر المحبة والشجاعة في الاختيار وأخيرًا أمي وأبي من أنانية أبي وحب أمي من طرف واحد..أتعلمين ما العجيب.! أن أبي كان يحب أمي ولكنه حب مزيف..أصبحت لا أؤمن بالحب

رتبت على كتفي وقالت:

– سيجعل الله بعد عسرًا يسر وستحصلين على نهاية سعيدة

قلت لها بتنهد:

– لا أريدها سعيدة..أريدها هادئة لا أكثر

سحبت راحة يدي ووضعتها على بطنها فسارت بداخلي قشعريرة مريبة، أغمضت عيني ولا أستطيع تحريك يدي خطوة، تحجر لساني وتشبث الخوف بداخلي وأضاء قلبي ببريق قوي جعلني التفت للجهة الأخرى وقربت يدي من قلبي لتهدأ وأنا اتمتم بصوت باطني "توقف..توقف"، لم يستغرق الوضع لحظات حتى أنطفئ تحركت ضحى من مكانها حتى تطمئن علي، أدرت بوجهتي لها وقلت بصوت مرتبك:

– يبدوا أن السيد الصغير بدأ يحبني

لم أنتظرها تكمل جملتها وأنا أنسحب متظاهرة بالنعاس الشديد، انصرفت لغرفتي ونيران القلق تضرمت في، يتغذى على التفكير وأنا أطرده بالأمل والطمأنينة، اختبئت بين أسوار الخوف وتقيدت بالحزن وتركت نفسي كرهًا وحاربتها، وشاء القدر الآن أن أحتضنها وأتقرب منها ولتهدأ الحرب بداخلي وتشتعل حرب العدالة والحق.

كوكب الأم العذراء

أبعدت بصري عن أمواج البحر التى تلامس قدمي وتتشبث بأطراف ثوبي، مسحت على رأس نوح فتجاهل نظراتي وقال بتعجب:

– شعور العائلة جميل، أليس كذلك؟

لمست الحزن في نبرته وقلت:

– أتذكر الشعور جيدًا وكأنك في أمان تام عن قبح العالم، إذا وجدت فرد واحد في عائلتك يحتضنك مثل ما احتضنك أنا فأنت بالتأكيد محظوظ بشعور العائلة

– كنت أتمنى أن أراهم.!

– ليست الأقدار سيئة لهذا الحد فمنحتك أحد يحبك مثلي

أتصلت ملامح الإشراق في وجهه، وسأل بلهجة مبهجة:

– تشوقت لمعرفة كيفية وصولك لأدهم؟ لقد غبتي عنه الكثير

راوغت في حديثي، كان مؤلم أن استعيد تلك الذكريات وأنا أحبس شعوري بقلبي، أمنع حتى هروب دمعة واحدة من جفن عيني، أردت أن أنهي هذا الفصل المتعلق بالماضي وأبحث عن شيء مشرق لا يذكرني كيف كان حالي.!، فقلت بفرار:

– لقد مضى يومين في منزل فارس، لم يكونا يومين عاديين، لقد شعرت بوجودي وكياني لنفسي، رأيت ابتسامة فارس في الصباح ويد ضحى تداعب شعري، سمعت دقات قلبي وهي تجهز لحفل خطبة سيلين، أستطعت للمرة الأولى أن أخرج من المنزل وأذهب إلى منزل سيلين دون أن أرتبك في الطريق، تعرفت على والدة سيلين وعلى أختها أيضًا، ثرثرت بالكثير من الأحاديث مع أخي على كوب شاي ساخن، شاركتهم بأحداث كوكبي وطبيعتهم

صمت ولم أكمل كلامي، وكأن رباط الماضي يشتدد ألمًا، حل الشوق علي فدلكت رأس نوح وأنا أقول بشوق:

– رفضني وطني ولجئت لوطن آخر فرفضني هو الآخر.. بحثت على وطن يضمني فلم أجد سواهم

دفع نفسه لضلوعي فأفزعني، كتمت دموعي وأخمدت شوقي وأظهرت الحماس في عيوني قائلة:

- ما رأيك أن نتجه للحرب؟

هز رأسه بإيجابًا، نظرت له بتوجس، ثم ابتسمت قائلة:

- هل تعلم ما هو أسوء شيء في الحرب؟

هز رأسه نافيًا، فخرج صوتي هادئًا على خلاف حطامي:

- القلوب المكسورة يانوح.. القلوب المكسورة لا تهتم بروحها فتحارب بشجاعة

* * *

بين الخيال والواقع خيط ضعيف إذا انقطع، انقطعت جميع حواسك.

تكرار كوابيسي لا يحتمل، رؤيتك باستمرار يقتحم عقلي وواقعي، لا أملك أجوبة لأسئلتي ولا يرحمني ضميري، هكذا أمسكت بهاتفي واتصلت بطبيبي القديم وطلبت لقاءه، على أمل ضعيف أن يجد لي حل، كان المكان هادئ ولا يحتوي على الكثير من الأشخاص، ضممت يدي وجلست على طاولة أتأمل الطريق والأشخاص وأقفز بين أحاديثهم وملامحهم كأنني غريب عن البشر، أتخيل أن أحدهم يعاني مثل ما أعاني.!، من هنا مريض نفسي يتهمه المجتمع بالجنون؟، من هنا انفطر قلبه جاء بدموع بالية؟، من هنا يشعر بسعادة غامرة لأنه سيقابل أحد يحبه؟، عصف عقلي دون مبررات، سمحت لنفسي بكوب من الشاي لأروي همي، رفعت نظري لأرى طبيبي الدكتور "مينا" في الستينات من عمره ذا خصلات شيب خفيفة يقترب من طاولتي ليجلس، رحبت به بحرارة الذكريات القديمة، قال مازحًا:

– ما الذي جعلك تتذكر ذكرياتك القديمة؟

خجلت من انقطاعي عن محادثته وقلت له:

– أنا آسف، لم أملك وقت

– أنا أتفهمك يبنُي.. فالجميع يحاول التخلص من ذكرياته السيئة ولابد أن مدة الشهور التي قضيتها في المصحة بجانبي لم تكن جيدة

– فالواقع هذا هو الموضوع.. هل تتذكر الفتاة التي كنت أتحدث عنها في المصحة؟

ركز وجهه نحوي قائلًا:

– بالطبع أتذكرها يا أدهم لقد كنت تعاني منها أكثر من معانتك في مرض انفصام ثنائي القطب

– كنت دائمًا أتكلم عنها وأبكي.. حتى أنني عودت مرة أخرى للمصحة بسببها

كان خوفي قاسي وذاكرتي تعيد لي أحداث معانتي فالمصحة، مرة أخرى يتمكن مني الخوف ويجذبني نحو انهياري وصراخي وتناول الأدوية، تلاعب طبيبي بالحديث عندما رأى حالتي التي داهمتني قائلًا:

– لكنك كنت من أحب المرضى لقلبي يا أدهم، كنت تستجيب للعلاج

ركزت عيني على عينيه وقلت:

– هل استجبت للعلاج حقًا؟

ذهل من سؤالي وقال بنفي:

– نعم يا أدهم، لقد خضعت ستة أشهر للعلاج وكنت تستجيب ثم..

عدت كلمته بنبرة خائبة:

- ثم؟

جمع شتات كلماته وقال:

- ثم انتكست حالتك مرة أخرى.. ولكنك خضعت لخمسة أشهر وتحسنت حالتك حتى أنك كونت صداقات

- لماذا انتكست حالتي؟

- أنت وحدك تملك الإجابة يا أدهم

- هذه الإجابة هي حالتي الآن

عبس وجهه وقال:

- ماذا تعني؟

تسارعت نبضات قلبي وتملكتني الرهبة:

- قد انتكست لأنني رأيت تلك الفتاة مرة أخرى..

قال لي بصوت منخفض:

- إنها خيال يا أدهم

- لا.. لا لقد كانت حقيقة

- لم يرى أحد هذه الفتاة يا أدهم حتى أنت لم تذكر اسمها.!! ما تفسيرك لهذا؟

- لا أعلم.. لا أعلم لكنها حقيقة أقسم لك

اقترب مني وقال:

- عندما سألت والدتك عن تلك الفتاة قالت إنك تتخيلها، حتى إنك بحثت عنها ولم تجدها

صدمت وكأنني صعقت للتو وقلت له:

– لا يوجد دليل على عدم وجودها سوى كلمات أمي ولكنك اقنعتني أنها ليست موجودة

أرتبك في حديثه وانجزف مصير كلماته وهو يقول:

– تعلم جيدًا يا أدهم أننا نأخذ معلومات المرضى من أهلهم.. وإذا قالت والدتك أنها خيال لابد أنها خيال هي تمكث معك وتعلم الكثير عنك

موسيقى حزينة تنعزف في عقلي، من أصدق ومن أكذب؟، كيف أشرح وأصف؟، ابتلعت ريقي وتنفست بعمق وقلت له:

– في تلك الفترة كانت تلك الفتاة موجودة حقًا.. وربما لم تكن ولكنني تركت تلك الفتاة لأنكم اقنعتموني أنها خيال

– كان يجب أن تتركها يا أدهم حتى ولم تكن خيال لقد أثرت على عقلك ومع مرضك كان كل شيء يسوء

في تلك اللحظة قد تغيرت الألوان من حولي، أنفاسي تتصاعد وعقلي يطرحني أرضًا، ركزت على عينه مباشرة وقلت:

– لقد عادت..

انقطعت أنفاسه وضم حاجبيه وهو يقول:

– كيف عادت يا أهم؟

– أنا أراها في كل مكان وفي كل لحظة وفي كوابيسي وأحلامي وكل شيء حولي ارسم صورتها ولكن هذه المرة هي خيال حقًا

– هل تروي لي ما حدث معك بالتفاصيل وكيف رأيتها بعد كل هذه السنوات؟

– كنت دائمًا أتذكرها حتى أنني أدعيت نسيانها وحاولت بالفعل نسيانها.. مجرد لحظات عابرة أتذكرها، وصببت كامل تركيزي على حياتي العملية وعائلتي، منذ فترة قصيرة بدأت أمي بالبحث عن فتاة لي وأصبح كل شيء كابوس

هز رأسه ليستوعب حديثي وهو يقول:

– لابد أنك خفت من جود فتاة أخرى في حياتك بعدها ولهذا اصتنعت رؤيتها

– كل شيء سيء

وضع طمأنينة في نبرة صوته وهو يقول:

– سوف أعطيك بعض الأدوية.. أما بالنبسة لها عليك أن تحارب وجودها بنفسك يا أدهم، اقنع عقلك بعدم وجودها.. حارب لتترك كل شيء يتعلق بها.. واجه خيالها يا أدهم لأنك لا تراها هي بل ترى نفسك المكروه في صورتها، تصتنع أحاديث مع نفسك بصورتها، تلك الأحاديث تنفرك من نفسك وممن حولك

– سأحاول

– اذهب لمنزلك واغلق باب غرفتك وواجه خيالها وأطردها من أفكارك

ودعت طبيبي وهدئت نفسي وأرخيت أعصابي، ثقل كبير يحطم روحي، ذهبت لمنزلي وألتقيت بوالدتي لقاء سريع بسلام بسيط، تقدمت لغرفة بيانكا التي ألتهت في لعبها مع تمارا أختي الصغيرة، قبلتهما قبلة صغيرة مع ابتسامة مطمئنة، تابعتهما عن بعد ثم اتجهت لغرفتى، أغلقت الباب جيدًا وسقيت جسدي بماء بارد يغسل عني خوفي ومعانتي، ألقيت بنفسي على السرير وتابعت رؤية السقف بلا معنى، رد صوتها في أذني وهي تقول باستهزاء:

– هل استطاع طبيبك أن يعثر على دواء لآوجاعك؟

ابتسمت باستهزاء لاذع، دون النظر إليها قلت:

مرحبًا..انتظرتك

صمت لثواني ثم حركت نظري اتجاهها:

– ماذا تريدين مني؟

– روحك

ابتسمت قائلًا:

– ليست موجودة

ردت بنفس الابتسامة:

– موجودة

كانت صورتها مقلوبة في نظري وحالتي باردة وأنا أقول:

– أنتِ لست سوى خيال

– تبدوا بحالة سيئة بالفعل

كان هدوئي عاصف، وقلبي يدق بمرارة لم أستطيع كبح فكرتي وأنا أقول:

– هل تريدين دليل؟

ابتسمت بسخرية مريعة:

– دليل؟

نهضت وعيني لا تفارق عينيها، واتجهت لدرج أدويتي وأنا أخرج منه أدوية اكتئابي، أمسكت بها وأمسكت بكوب ماء واقتربت منها وقلت بعلامات استهزاء:

– ما رأيك؟

صمتت بنظرة شريرة، أفرغت الحبوب في فمي ورشفت رشفة من كوب الماء بطريقة بطيئة، عقلي لا يدرك ما فعلت، لم أتمالك نفسي من البكاء بشكل صامت أمام عينيها، وكأن داخلي ينزف بشدة، أتساءل هل هذا انتحار أم دليل؟، يعاقبني عقلي بضربات قاضية وهو يصرخ "ماذا فعلت..!!" ، لا يشعر قلبي بشيء لم يتبقَ من نبضاتي شيء، ينخفض ضغطي وكأن الحياة لون واحد، ينسحب الدم من عروقي وتتداخل الصورة، يوجد حزن عارم..
رأيتها أمامي وعيني بعينيها، كان وعي جزئي فقلت لها ببرود النهايات:
– إذا كنتِ تايغيتا حقًا ما تركتيني أموت.. الوداع أيها الخيال
لم أشعر بشيء وكأنني أتجرد من روحي وملابسي وجسدي، أصوات صارخة وصمت تام بداخلي، فرحة تداويني لأنني أثبت أنها خيال، لن يؤلمني شيء بعد الآن

❋ ❋ ❋

نهرب من اختيارتنا، نفضل الهروب والانسحاب عن المواجهة ونتحمل الأذى ولا نتحمل اختيارتنا المخطئة، نضطر للهروب إلى أن نواجه أنفسنا فنواجه كل شيء حولنا، نفهم مدى عمق المواجهة وأن عواقبها تريح أنفسنا على الرغم من الجرح الذي تتركه، تتساءل إلى متى ستظل صامت عن إهانة وجودك خوفًا من مواجهة الفراق؟، إلى متى تتهرب من اختياراتك عن مواجهة نفسك؟.
ابتعد الظلام خطوات للوراء وتقدمت أيادي الشمس لوسط السماء، رأيت ضحى وفارس يستيقظان بينما كنت أجلس في وسط البهو أمسك بكوب ماء

وأشرد في الآية التى أمامي دون تحريك ساكن، خرجت ضحى بابتسامة رائعة وقالت ببراءة:

– أتعجب من سبب الاستيقاظ مبكرًا؟

أجبت مازحة:

– إنني أودع الحياة

أكملت بنفس البراءة:

– من المحزن أن فتاة في الثامنة عشر من عمرها تقول هذا

أجابتها:

– لا أحد غيرك يراني فتاة في الثامنة عشر من عمرها..

جلست بجانبي وضمتني لحضنها وهي تقول:

– في بعض الأحيان ننضج قبل الآوان، ننظر للحياة بنظرة مريحة ونصل لمرحلة مرعبة من التخلي عن كل شيء ورؤية كل شيء بشكل آخر، لا نبالي بأعمارنا ولا نبالي بالآخرين.

قلت برجفة:

– لكنني نضجت باكرًا جدًا، لم أكون تلك الفتاة ذات الثامنة عشر سنة ولم أكون بشرية أو حتى نجمية

دلكت راحة يديها في فروة رأسي وقالت:

– عليكِ رؤيتك اختلافك بشكل أفضل، تقبلي أفكارك وتمسكي بمبادئك ولا تحاربي الذين لا يشبهونك لأن لا أحد يشبهك، في كل طريق ستجدين شخص مختلف تتقبلين اختلافه ويتقبل اختلافك، ربما لا يكون اختلافه لامع

ولكن اختلافك لامع يستحق الرؤية، أنتِ لا تشبهين أحد ولن تجدي أحد يشبهك، تخلصي من خوفك المبالغ وأسمعي صوت الحياة

صمت لوهلة ثم أشرت بسبابتي إلى اللوحة الموضوعة أمامي المزخرفة بكلام لم أفهمه بعد وقلت بابتسامة:

– أتذكر عندما جئت لهنا وتسألتم عن اسمي شعرت بالخوف وبدأت ابحث عن اسم يشبه البشر فوجدت كلمة "نور" مزخرفة بسيطة، فقلتها بطلاقة ولكنني لم أفهم الكلام المكتوب بعد، ما المكتوب؟

قالت بصوت جميل:

– (نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (٣٥)

رددّت بنبرة هادئة:

– ليهدينا الله لنوره

ظهر فارس أمامنا فجأة بقميص سماوي اللون وبنطال أزرق غامق نظرنا له وانفطرنا من الضحك، بدأ عليه ملامح الغضب وقال بوجه عابس:

– لا أستطيع ارتداء بدلة أبدًا في حياتي

لم أستطيع كتم ضحكتي وهو يتنفس الغضب، صرخ بتحدي:

– سأضحك هكذا عندما أراكِ بفستان

أعدُت ضبط جملته وقلت بدهشة:

– ماذا؟؟ أنا لن أرتدي فستان أبدًا في حياتي... لن أفعل

حنيت ضحى بصرها اتجاهي وقالت بجدية:

– ستفعلين

صرخت قائلة:

- لا لن أفعل

أطلق فارس ضحكة تحمل الكثير من السعادة:

- ماذا حدث.. أظن أنني رزقت بأخ

- توقف.. أقسم أنني سأقتل سخريتك هذه

تابع بمرح يثير الغضب:

- أنتظرك بالفستان

انصرف للغرفة وهو يركض من قبضة يدي، فوقفت في المنتصف ونظرت لضحى برفض وقلت:

- لا لن أرتدي

قالت بثقة:

- سترتدي

انتهت محاولة تظاهري بالتعب والهروب بفشل ذريع، وكنت بين سيلين وضحى في طريقهم لبيت سيلين لإقامة الاحتفال، علمت في الطريق أن تميم ووالدة تميم انتقلا لبيت تميم الجديد الذي سيتزوج فيه، وبعد الخطوبة ستعود والدة ضحى للإقامة مع ضحى لمتابعة حملها بحرص، وضعت خطة للذهاب ومتابعة أخبار الكوكب بعد الخطوبة مباشرة.

كانت الغرفة تتهاتف بأصوات الفتيات الحاضرين يتبادلون أحاديث أثناء تجهيز سيلين، جلست في كرسي بعيد عن أحاديث الآخرين، نادت سيلين على فتاة ما كانت الفتاة جميلة برقة، همست لها بشيء فوجدتها تقترب مني وتقول بسلام:

– هل يمكنني مساعدتك في اختيار فستان؟

كانت سيلين أخبرتهم أنني أخت فارس القادمة من الخارج ونتيجة معيشتي في الخارج فأنا أتحدث اللغة العربية لإضعاف لغتي العامية، قد أحببت هذه الحجة.

ضقت ذرعًا من إصرار ضحى وسيلين، فاستسلمت لهما واتجهت معها لغرفة أخرى تحتوي على مجموعة فساتين مبهجة، مرت دقائق وهي تعرض لي الفساتين وتلازمني في اختياراتي، كنت مؤمنة أن الأخيار يجب أن يكون نابع من قلبي، حركت يدي على جميع الفساتين إلى أن توقفت عند أحدهم، أمسكت به وأنا مبهورة، نظرت لها بنظرات سعادة وقلت:

– هذا هو

ابتسمت وقالت:

– اختيار صائب يا.؟

– نور

مدت يديها لتصافحني وقالت:

– وأنا سلمى

تفاجأت سلمى لأنني أخت فارس ولست أخت ضحى، أخبرتني أنها سلمى أخت سيلين وانصرفت لأرتدي.

لن تتخلى عن نفسك عندما تتحرر ليوم واحد من قواعد نفسك، عندما ترى بعين أخرى، عندما تغامر بشيء، ستختار نفسك باقتناع وسترى ألوان الحياة.

كنت أرتدي فستان للمرة الأولى، كيف كان ملمسه ناعم وطوله مناسب لتغطية قدمي حتى تصميمه البسيط ولونه الأسود اللامع في غاية من الإبهاج،

لن أنسى نظرات ضحى وسيلين لي عندما دخلت الغرفة للمرة الأولى كانوا مبهورين دون كلمة ظلوا ينظرون بسعادة غامرة، كان منزل سيلين واسع وأنيق يشبه بيت الملك، لم أكن أعلم أن من التقاليد أن تقام الخطوبة كما يدعون في بيت العروس، لم أكن أعلم شيء عن الفرح فكان كوكبنا ملتزم بالنجوم، شعرت أنني أريد أن يكون كوكبنا بهذه البهجة ويكون لهم الحق في اختيار العروس، أن يكون هناك حق في الحب، ولا بأس من بعض مساحيق الجمال وتسريحة جديدة لشعري تصنعها ضحى وهي فخورة بكوني صديقتها، ولا بأس ببعض الضحكات أن تغرد من حولنا كما تغرد الطيور، ونتشارك الأحاديث كما نتشارك السعادة، قالت أحد صديقات سيلين أنني أشبه الأميرة، ربما كنت أميرة لنفسي في تلك الساعات من الغناء والسعادة وتقديم المشروبات، كانت سيلين نقية كنقاء السماء، يتغنى وجهها من الفرحة، حتى حضن فارس لضحى ورقصهما مع بعضهما البعض يوحي لي أن الدموع التي ذرفتها ضحى لم تذهب عبثًا، لوحة مرسومة ولحظات لا تنسى، ولكنني شعرت بالاختناق للحظات، تملكني الخوف أن يظهر نور قلبي بين الحضور أو أي شيء غير طبيعي، اقتربت من ضحى وهمست لها قائلة:

– سأصعد للشرفة أستنشق بعض الهواء

أومأت برأسها إيجابًا ومضيت في طريقي للذهاب للشرفة في الطابق العلوي، تخطيت الدرج ودخلت من باب يشبه باب السطح، كانت المنطقة منظمة للغاية وتنير بالأضواء والزرع الأخضر المنعش مع بعض الكراسي المرتبة للجلوس عليها تسلط السماء المظلمة ضوئها علينا مع نقاط النجوم، كان

المكان فارغ ولكنني لمحت رجلًا يقف بظهره، الظلام يضمه ويخفي ملامحه، ناديت بخجل:

– معذرة.؟

التفت لأرى أدهم أمامي..! كنت في دهشة من أمري إنه أدهم.! ماذا يفعل هنا.. لقد استجابت السماء لأمنيتي، ابتسمت بحماس شديد وقلت:

– أدهم..أنت هنا..كيف؟

عاد خطوة للوراء ونظر لي بخوف محكم، تابعت قائلة:

– لقد بحثت عنك كثيرًا..

أختبأت عيناه عن عيني وعبست ملامحه كأنه لا يريد رؤيتي، ظننت أنه غاضب لأني تركته كل هذه المدة فقلت له بنبرة اعتذار:

– هل أنت غاضب مني؟ صدقني لم أعلم أنني سأغيب كل هذه الفترة.

التزم الصمت دون أن يحرك جفن، اقتربت منه فعاد خطوة للوراء، بمجرد النظر إليه أدركت أنه هناك خطب ما، عدت للحديث بخيبة أمل:

– ما بك يا صديقي؟

قال بعد تفكير قصير:

– لا أريد رؤيتكِ

– لماذا تتحدث هكذا يا أدهم..!

رفع حاجبيه ونظر لي بغضب مع نبرته الحادة:

– فقط اتركيني لا أريد رؤيتك.. لا أريد معرفتك بعد الآن..أذهبي

تغرغرت عيني بالدموع وهو يصرخ علي، لم يتحدث معي هكذا أبدًا حتى في أسوء حالاته، صعب علي تقبل أن أدهم صديقي يقف أمامي، قلت بلهجة باكية:

- اهدأ أرجوك

زاد من حدة صوته ونظر لعيني بجحود قائلًا:

- لا أريدك في حياتي بعد الآن

كانت تلك النظرة لا تنسى أبدًا، تمتلئ بالكثير من الغضب والكراهية ، لقد عانيت كثيراً من نظرات الكراهية إلا هذه النظرة كانت صامتة ومؤلمة، كانت تخبر مشاعر الكره وتترجم أنك لم تعد مرغوب، الخسارة التي تحمل كل هذه الكراهية ليست سهلة أبدًا، شدّ رباط نبرته وحدت نظرته وقال بجدية:

- اذهبي في طريق بلا عودة..لا تعودي..هل تستطعين فعل هذا؟

كتمت دموعي وأسألتي، حملت الباقي من كرامتي وحملت معها نهاية صداقتي، كانت قصة بلا قصة، كانت صداقة وخسرت صديقي، كان حب وقتل حبي، لم نحصل على نهاية مقنعة ولا أسباب، فقط تركتني في منتصف الطريق بحجة أنك لا تريدني في حياتك، كانت تلك النظرة الأخيرة، ربطت على قلبي وسكنت عيناك وقسوتها بداخل قلبي كي لا أنسى، أدرت ظهري وتوقف الزمن بي، سقطت دمعة واحدة من عيني اليسرى فمسحتها وهدأت نفسي بأن هذه الدمعة الوحيدة التي ستسقط على فراقك، أردت البكاء بشدة والصراخ، أردت أن ألتف مرة أخرى وأقول له "لماذا..لماذا يا صديقي"، هل كانت الذكريات رخيصة لدرجة أن نصبح أغراب بنظرة واحدة، فقدت الحياة ولكنني لم أفقد حربي، رفعت فستاني وتقدمت وأنا أركض على الدرج،

أركض وكأنني أريد السقوط الآن، أصتدمت بضحى التي أمسكتني من كتفي بعيدًا عن أنظار الجميع وقالت بقلق:

– ماذا بك؟

أخفيت جميع مشاعري وقلت:

– يجب ان أذهب الآن.. لقد حان وقت الحرب.

مسحت على وجهي بنعومة ولمست حزني المدفون بين عيوني وقالت:

– أستودعك الله

توقفت وعدت لها بنبرة مكسورة أتساءل:

– أيتغير الأشخاص في ليلة وضحاها؟

اقتربت لتلمسني مجددًا..وقالت:

– يتغير الأشخاص في المواقف يا نور

احتضنتها وقبلت رأسها ثم قلت:

– ستبقينني في عقلي ومشاعري دائمًا

سحبت يدي وعبرت بين المارة دون أن ألفت انتباه أحد، كنت أعلم أنني لست محاط أنظار ولا أحد يعلم أنني قريبة فارس سوى القليل، لم يرانا أحد من قبل ولن يرانا أحد بعد الآن، تجاوزت البوابة ورفعت فستاني وبدأت أركض، تتسابق أنفاسي ولم أفكر بشيء وأطلق عنان نفسي للركض بلا توقفت وبكامل طاقتي، اصطدمت ذراعي مع الهواء وينظرون الناس بغرابة، لم أبالي بشئ فأنا تركت روحي تهرب، يصرخ داخلي لأجد نفسي أمام رصيف النهر، بطأت خطواتي واقتربت خطوة تلو الأخرى، لا يراني أحد الآن، أمعنت النظر بالأسفل وأنا أمسك بحافة السور، صد السكون من حولي، عيوني تتألم

وروحي تتحرر، حاوطت يدي بعنقي فلم أجد قلادتي.! لقد سقطت ولن أستطيع العودة لأخذها، ربما يجدها أدهم وتظل ذكرى له، تركت نفسي أسقط سوف أجد وجهتي مثل كل مرة.

ألتقطتني يد سارة وهي تهز جسدي بقوة لأستيقظ، انتفضت وأزحت خصلات شعري عن عيني، همست سارة بدهشة:

– ما هذا الفستان؟ ماذا حدث؟

تجاهلت سؤالها وقلت بلامبالاة:

– لا تهتمي.. هل هناك أخبار؟

– نعم، لقد وجدت الطريق للنجمة سالينو

– جيد، ماذا عن سالينو وسهيل؟

– مازالوا يبحثون

سحبت نفسي وقلت لها بحذر:

– سأذهب إلى هذه النجمة، وسأعود بخطة مأكدة لتدمير كل شيء

قالت متعجبة:

– كيف ستذهبين؟

نظرت للسماء وقلت:

– سأتمنى أمنية من قلبي.. أخر أمنية.

كوكب الأم العذراء

أمواج قادمة بنعومة، يهمس الصمت في أذني، أستسلمت لشرودي، أشعر بإيمان قوي بداخلي، تمر أفكاري كالقطار، تمر بلا وجهة، طار عقلي لتلك

اللحظة، تلك اللحظة التي غيرت حياتي، لقد تركت تايغيتا الخائفة أمام أدهم تبكي وركضت نور لتنقذ ما تبقى من وجدانها، توقف الوقت ومرت تلك الثانية التي رأيت حقيقة قوتي، قطعت شرودي ونظرت لعيون نوح التي تلهمني هذه القوة، تلك النظرة التي تثبت قدم نور بداخلي وتترك تايغيتا الطائشة، أستنشق نفس عميق وقلت لنوح بتفكير:

– أتعلم ما هو أسوء شيء يا نوح؟

قال نوح ببراءة:

– ما هو؟

– أن تكتم مشاعرك، ترفض أن تصرخ في الوقت الذي يلازم فيه الصراخ، ان تمتنع عن البكاء وأنت في أشد احتياج له، عليك أن تتحرر مشاعرك، أتركها تبكي..تصرخ..تسأل ..تعاني، المشاعر تعيد بناء نفسها مرة أخرى ولكن كتمنها يسبب ضرر كبير.

– كيف يكون الضرر؟

– عندما تحبس مشاعرك بداخلك..تؤذيك وتجرحك وتضمر النار في قلبك وتظل ملامحك ثابتة، تترك فيك أثر لن ينسى وسيظل يؤلم، حررها بالدرجة التي لا تؤذي فيها نفسك من الحزن ولا تكتم فيها مشاعرك

– وعندما نترك العنان لها؟

– تتحرر ولا تؤذينا بنفس القدر، تترك أثر هادئ، لا تقتلنا المشاعر مدام حررناها..تقتلنا المشاعر عندما نحاول الهروب، عندما نحبسها

– لكنك لم تبكي على أدهم؟ لم تحرري مشاعرك؟

قلت بإشفاق:

– لهذا كان الضرر كبير ومؤلم.

شردت لثواني ثم التفت لنوح وقلت له بحماس:

– ألا تريد أن تعلم ماذاحدث في الحرب؟

– لا..لا.. أكملي..كيف ذهبتي لتلك النجمة؟

نظرت للسماء وقلت بثقة:

– آمنت بقدرة الله في تحقيق المعجزات، لقد جلست سارة أيام تبحث عن طريق لتلك النجمة ولم تتوقف عن متابعة النهر تحسبًا لعودتي، ولم يخيب الله ظنًا، كان يقال أن النجوم تحقق الأمنيات النابعة من القلب الصادق، كانت تحقق أمنية سالينو دائمًا..وكذلك تحققت أمنيتي بصعقة واحدة من السماء.

وجدت نفسي في مكان مظلم، نظرت للمكان فكان يشبه الغابة التي رأيتها في حلمي، ظلام دامس ودخان أسود يحاط بينا من كل الاتجاهات، فحصت المكان بدقة ولم أرى شيء، دققت بعيني مرة أخرى فوجدت ظل أسود يقترب مني، أدركت لحظتها أنني في نجم سالينو، الظل يقترب والظلام يشتد، وجدت نفسي فجأة أمام نفس تلك المرأة التى رأيتها في حلمي، تغيرت ملامحي من فرط الغضب وأمسكت على نفسي بصعوبة بالغة، سكتت للحظة وهي تتأمل ملامحي بابتسامة سعادة، وقالت في فرح:

– أنتِ تايغيتا.؟

رمقتها بنظرة حادة وقلت:

– لابد أنك تذكرتي النجمة التى قتلتيها منذ سنوات

تغيرت رأسًا على عقب وقالت بنبرة غاضبة:

– لقد ندمت..أقسم لك أنني ندمت كثيرًا ونلت عقابي على أكمل وجه

– لن يغفر لكي الندم.

قالت بنبرة حزينة تائبة:

– اسمعيني لمرة واحدة فقط

وضعت يدي أسفل قدمي وأخرجت الخنجر الذي ربطته وأخفيته في حذاء، كانت فكرة سارة جيدة لتوخي الحذر بإخفاء هذا الخنجر، لم أتحكم بغضبي وكراهيتي رفعت سلاحي نحوها وأنتفضت عليها وأغمضت عيني فلم أجد سوى صورة سالينو صديقتي ترسم في خيالي، توقفت بضع سنتميترات من مكان قلبها بينما هي لم تتحرك ساكنًا كأنها تنتظر الموت باستسلام، رميت بسلاحي على الأرض وصرخت بكل ما أوتيت من قوة، صرخت من حجم ضعفي ومن نقطة ضعفي اللعينة، كيف أقتلها...!، جثوت على ركبتي باستسلام، كانت نظرتي حزينة وغضبي يشقق جميع أجزاء جسدي، أدخلت جميع أصابعي في فروة رأسي وفركتها بقوة بالغة، أستعدت وعيي ووقف أمامها مرة أخرى وقلت بعيوني التي تشتعل نارًا:

– أقسم أنني يمكني قتلك ..لكن للأسف نجمك تحمله قلب صديقتي سالينو التي لا تشبهك أبدًا .. أن سالينو التي قتلت تايغيتا منذ أعوام ، تحمل صديقتي سالينو قلب نجمك التى تكاد تفديني بروحها

تتساقط الدموع من عينيها وقالت:

– كانت كذلك علاقتي مع تايغيتا.. كنت بئر أسرارها..لقد خذلتها وتحكم بي الحقد والكراهية، لم أتحمل حبها وبرائتها...ياليتني انتهي من هذا العذاب

فكرت لبرهة وقلت لها:

– يمكنك أن تغسلي ذنبك؟

نظرت لي باستغراب:

– كيف؟

– لننهي هذه الوعود

قالت بخيبة:

– لا يمكن..لقد أعطيت قلب تايغيتا لأهونا مونس لن يعود هذا الجبل أبدًا

ابتسمت بمكر وأردفت:

– وماذا لو مازال هذا القلب ينبض؟

انصدمت:

– لا يمكن..كيف؟

– لقد أعطتك تايغيتا قلب مزيف.. قلب بشري ومازال قلبها ينبض بداخلي

ظلت منبهرة لثواني :

– أكان هذا قلب عامر؟

قلت باستهزاء:

– هذا أبي.

– أباكِ؟

– لقد حفظ قلب تايغيتا بداخله حتى ولدت طفلة جديدة من أم بشرية وأب نصف نجمي ونصف بشري نتيجة تأثير قلب تايغيتا داخل أبي أعطاه روح نجمية وجسد بشري

تابعت:

– وإذا المفأجاة بطفلة تحمل قلب تايغيتا من جديد ويعيش أبي بدون قلب

– أنتِ اللعنة

اقتربت منها وابتسمت:

– نعم، أنا اللعنة.. اللعنة التي قُتل أبيها بطعنة واحدة...اللعنة التي قتل والدها أمها.. اللعنة التي جعلت أخيها يعيش في خوف لسنوات طويلة..اللعنة التي عرضت حياة صديقتها للخطر.. اللعنة التي خسرت صديقها وحبها..

نظرت لي بدموع متساقطة وقالت:

– يقع جبل أهونا مونس في شمال الكوكب..لن تستطيعي رؤيته إنه خفي من تلك اللحظة التي أقامت فيها الوعود، عليك استشعار مكانه ولمسه ربما يظهر عند لمسك له

قلت:

– ماذا بعد ذلك؟

قالت بلهجة منخفضة:

– قدمي قلبك وستنتهي الوعود

التفت لأنصرف فصاحت قائلة لتوقفني:

– تلك الكراهية ستقتلك يا تايغيتا.. تخلصي من كراهيتك حتى لا تحرقي الأبرياء مثل ما فعلت أنا..أرجوكِ لا تؤذي كراهيتك من لا ذنب لهم..

مضيت قدمًا وتركت كلامها يتردد في عقلي، نظرت للسماء وأغمضت عيني وتركت روحي تسبح في سلام، مرت ثواني وأنا لا أشعر بجسدي حتى لامست قدمي سطح ما، فتحت عيناي لأجد سارة أمامي في المكان التى لابثت فيه لمراقبة النجوم، قالت باندفاع:

– ماذا حدث؟

قبل أن أروي لها وجدت سالينو وسهيل يتقدمون نحوي، اقتربت سالينو مني وقالت بخوف:

- هل أنتِ بخير؟

صمت للحظات ثم قلت بعد تفكير:

- كم يتبقى للوصول لشمال الكوكب؟

قالت سهيل:

- ربما ساعات؟.. نحن لا نعلم الوقت على هذا الكوكب

- جيد لدينا وقت كافي

قالت سالينو:

- وقت كافي؟

استجمعت نفسي وقلت لسارة:

- علينا الاستعانة بكوكب آخر لحماية سكان الكوكب من الصراع

قالت سالينو بغضب:

- أي حرب؟

بدأت أروي لهم ما حدث لي، وأن هذه الطريقة الوحيدة لإيقاف الحرب وإنهاء الوعد، كانوا في حالة صدمة مع لحظات من التفكير، اقتربت مني سالينو وقالت:

- لن يشكل هذا خطرًا علي حياتك؟

آسفة يصديقتي، كانت هذه خطتي البديلة منذ البداية هي العثور على الجبل وتسليم قلبي، لم أعرف هل سأنجو؟ أم لا؟، لكن ما أعرفه أنني لا أستطيع حمل هذا القلب بداخلي، لا أستطيع رؤيتكم تتألمون، لن أترككم تعيشون في

هذا الظلام، أنتم تعانون من الظلام وأنا أعاني من النور، لقد كذبت عليكِ من أجلك، فقلت:

- لا لن يشكل خطر.

اقتنعت سالينو وقالت بتوتر:

- إذا يجب أن نستعين بشيء أكثر سرعة للوصول لكوكب آخر

قالت سارة:

- قمر بيانكا.

نظرنا لها جميعًا، تابعت قائلة:

- كان جدي يقول أن هذا القمر قادر على تقديم المساعدة دائمًا... أنا من كوكب أورانس أستطيع نقلكم لهناك

قلت لها بتردد:

- ألن تحصلين على موافقة وما شابه؟

- أورانس هو كوكبنا الأم ولكن قوتنا تنقسم على أقمار أورانس.. تنتمي قوتي لقمر بيانكا ولهذا سيساعدنا بدون مقابل لأنني من شعبه وأحمل قوته

- كيف سنفعل هذا؟

- أستطيع الاستعانة بقوة أكبر وإحداث عاصفة تنقل جميع شعبكم لبيانكا

- أحسنتِ..ماذا تنتظرين؟

- ليس بهذه السهولة.. على قوة بيانكا أن تستيقظ بداخلي حتى أستطيع نقلهم ويستطيع قمر بيانكا مساعدتنا

فقال سهيل:

- وكيف تستيقظ هذه القوة؟

- أحتاج أن أصب كامل تركيزي وأنا أحاول من داخلي

أشرت لسالينو وقلت لها بجدية:

- سنتحرك الآن اتجاه الشمال

بدأنا في اجتياز التلال الصغيرة، كانت الطرق الجبلية متحطمة، عبرنا الطرق في ظلام وصمت تام، مرت ساعات ولم يصدر لي صوت، انشغل تفكيري بما سأفعله، اتقترب نهايتي؟، وماذا لو كانت نهايتي.!، لا أشعر بالخوف لأن الشيء الوحيد الذي أخاف منه كسرني بعيون واضحة، صمت كما يصمت الفجر دون صراخ ودون جواب، عبرنا المنطقة الأولى التى تؤدي للطريق الجبلي الشمالي، الغريب أننا لا يوجد حولنا جبال حقيقية جميعهم طرق متحطمة، ومناطق عالية القمة مع بعض الطرق المظلمة بهلاك، أشارت سالينو للمنطقة وقالت:

- هنا تقع المنطقة الشمالية

لم أشعر بساعات الطريق أبدًا، ولكنني شعرت بصمت سالينو الغريب، تجاهلت شكوكي وبدأت أتقدم فوجدت يد سالينو تمسك بي وتقول:

- هناك شيء حتمًا

أزحت يديها وقلت بلهجة مطمئنة:

- لا يوجد شيء

- لا أصدقك

- إذا نجونا سأخبرك بالتأكيد

لم تكمل نظرتها اتجاهي حتى وجدنا الطريق يتشقق من تحت أقدامنا، نظرنا لبعضنا البعض بصدمة وأفواهنا مفتوحة، بدأت الأرض تتشقق أكثر، صاحت في سالينو:

- اركضي اتجاه النهر لابد أن سارة تنقلهم

هزت رأسها نافية وقالت:

- لن أتركك

عاد صراخي بشكل أقوى:

- اركضي..اركضي في الاتجاه المعاكس

كانت تصلبت مكانها ولا تريد التحرك، دفعتها في الاتجاه المعاكس للطريق وهي تبكي وترفض تركي، تشققت الأرض بحرارة أكبر، دفعتها بشكل أقوى حتى أنفصلت عني في الضفة الأخرى وفصل بيننا تشقق الأرض، بقيت في الضفة التى أمامي وبقيت أنا في الاتجاه الآخر، نظرت لها بنظرة باكية، ورفعت يدي لأودعها وهي تبكي بمرارة وصوت عالي، أدرت لها ظهري وتركتها خلفي، لم يبق لي الكثير من الوقت وسوف يتحطم الكوكب، وبما أن التشقق حدث فربما الجبل يشعر بوجودي كما قالت النجمة سالينو، تركت كل فرص التفكير وركضت بشدة، ركضت مسافة لا بأس بها حتى ألمتني قدمي بوخزة، توقفت وأنا أرى قدمي فوجدت شيء ضخم يخرج من باطن الأرض، كان يسرع ويرتفع لأعلى يشبه الجبل، إنها جبل يخرج من باطن الأرض.!!، لاح أمامي ظله وهو يرتفع، توسلت لنفسي بأن أكمل الطريق لنهايته، ركضت وتمسكت بأحد صخور الجبل وهو يرتفع، كانت الصخور تتساقط من جانبي وأنا أتابع تسلقي للجبل المتحرك، هو أملي الوحيد وبراءتي

الوحيدة، جرحت يدي وتقطع فستاني حتى حذائي سقط كما سقطت الصخور، كان التمسك بالجبل وهو يرتفع مريب وأنت قابل للسقوط في أي وقت، يدي تؤلمني بشدة وأنا أقبضها بشدة في أحد صخور الجبل، كان يشبه الانهيار، كان يتحرر من جليده، البخار يحيط بيا من كل مكان والأرض تتشقق من الأسفل وأنا أرتفع، تمسكت بحماس أكبر وقولت لنفسي "علينا إنهاء تلك المهزلة"، تابعت الصعود وأخذت استراحة لمدة ثواني قليلة لملاحقة أنفاسي، توقف الجبل فجأة وتوقفت أنا عن متابعة الصعود، رميت عيني لأسفل لأجد المسافة عميقة للغاية يبدوا الوصول للأرض مستحيل، أدرت رقبتي لستمترات أخرى فوجدت النهر أمامي..!، كيف جاء هذا الجبل بجانب النهر؟، أخذت نفس عميق وتابعت التسلق بحماس، انقضت علي سطح الجبل، الوصول للسطح يشبه الوصول لجهنم، سطح الجبل مثقوب بفتحة كبيرة وعميقة من الوسط، أقف على حافة الهاوية، قدمي تشعر بالثلج وأنفاسي تهبط كما يهبط براكين النار بداخله، أنه يغلي من الداخل، نظرت للأسفل فوجدت سارة تكاد تنتهي من نقل جميع الشعب بعاصفة واحدة أقامتها كبوابة للوصول لقمر بيانكا ، الآن وصل صمتي الحقيقي، يقف بالأسفل تلك الأشكال التى تسمى بالنجوم الأبراج، يحاولون الجنود إيقاف سارة التي لا تتوقف ولا تهدأ عاصفتها المائية، تصرخ فيرجن من الأسفل وهي تطلب مني التراجع، تعدل وضع سارة بعد ما انهت نقلهم جميعًا حتى آخر فرد، هرمت قوتها وارتمت في أحضان سهيل الذي أمسكها بقوة وساندته سالينو، نظرة باردة اتجاه كل شيء، صراخ النجوم الأبراج، هروب جنودهم وإلقاء أنفسهم في النهر، حتى رأيت تلك النجمة سالينو تتقدم من وسطهم

بكبرياء ونظرات صامتة أشارت إلى منطقة القلب، لاحت بنظري إلى سارة وسالينو وسهيل وهم يتمسكون ببعضهم البعض، صوبت نظراتي الأخيرة عليهم وأنا أعيد شريط حياتي ببساطة مع كل أحداثه، تأخرت لدقائق في أخذ هذا القرار، هل نجازف في هذه الحياة للحصول علي الكرامة ؟ أم أننا نجازف للعدالة؟، لنجازف بحقيقة أنفسنا ولا نهرب منها، لنحطم العقل والمنطق ونبعد المشاعر ونعيش بأرواحنا، كأن أحد ما يمسك بيدك كي لا تسقط ولكنك لا تشعر بتلك اليد، أنت تسقط بالفعل، لمست منطقة القلب، هنا تنتهي كل المشاكل وتبدأ كل القصص، غرزت أصابعي فوجدتني في جسد لازج قابل لإدخال أصابعي، سحبت قلبي وهو ينبض بضربات قاسية، لا أريده أن يؤلمني بعد الآن، على حافة الموت لست قادرة على نسيانك يا أدهم، فإذا وداعًا للكراهية وللقلوب وللحقيقة ولكل شيء حاربت من أجله، سحبت قدمي نفسها خطوات للوراء وهي ترى نظرات سالينو الصارخة ويد سارة التى تحاول الإمساك بالهواء ودموع سهيل، لن يقبل هذا البركان القلب بدون جسد الذي عاش فيه هذا القلب، كانت تلك كذبتي يا سالينو..، سحبت النفس وأمعنت النظر في السماء وتركت جسدي وروحي تسقط للوراء وأنا اقترب من النيران الملتهبة، ظلت عينيّ ثابتة على السماء ونورها، كما يبدوا كل شيء جميل من الخارج، أحتضن قلبي وتتساقط دموعي ببطئ شديد، يستغرق الأمر ثواني لسقوطي ويستغرق وداع عيني ساعات، كل شيء لامع وكل شيء أسود ملون بالكامل، أغمضت عينيّ وتركت كل مشاعري تحترق. كانت ابتسامتي بلهاء وفرحتي واضحة كاحمرار الشفاف، هكذا نبض قلبي بقوة تداخلت الصورة في عيني، كأنما الرياح تتمايل على آفاق عقلي وقلبي لم تمر

ثواني حتى مر أدهم بجانبي ومر دون حتى نظرة منه، تبدلت ملامحي للخوف شعرت وكأنني طير اختطف في قفص حديدي للتو، عدت أدراجي بنظرة كئيبة مع شعوري بالاختناق، قلت لها:

- لماذا لم يراني؟

حنت رأسها بأسف وقالت:

- لن يراكِ.!

ناديت عليه بصوت جهوري:

- أدهم..أدهم

أمسكت بيدي بمرارة ولمعت عيناها بنيران القهر قالت:

- لن يسمعك ولن يراكِ.!

ثار غضبي وقلت لها:

- لماذا؟ لماذا؟

- هذه هي الطريقة الوحيدة ليجد نفسه.. الطريقة الوحيدة لإنقاذك

كان قلبي ينزف غضب ويدي تشتعل كالحطب، فقدت كل الأحاسيس وكتمتها جميعًا في الداخل وسحبت زفير مرير، فوجدت النجمة تايغيتا تمد طرف إصبعها على جفن عيني وتمسح دمعتي وتقترب من وجنتي لتمسح عليها بلطف محبط، أغمضت عيني وتنفست الصعداء

فتحت عيني مرة أخرى، أنا أرى السماء مرة أخرى.!!، كيف أرى السماء؟، هل هذا حلم؟، عدلت من وضعية النوم فوجدت سالينو تجلس بجانبي، المكان مدمر بالكامل، كل شيء محطم ومتناثر، تضم سالينو ركبتيها علي قلبها

وتخفي رأسها، يجلس أمامي سهيل وهو يحتضن سارة على كتفه.!، قلت بخوف:

– هل مت وهذه روحي؟

رفعت سالينو رأسها اتجاهي واقتربا سارة وسهيل مني، فقلت مازحة:

– إذا لم أمت

اجتمعا في حضني بلحظة عفوية، كأننا عدنا من الموت للتو، ضمتهم لضلوعي واستنشقتهم به، قلت بضحكة:

– هل بقى الكوكب لنا؟

نظرت لي سالينو وقالت:

– بقت العدالة لنا يا تايغيتا.

وجدت نور بسيط يشرق من جانب كوكبنا.!!، هناك نور قادم وفجر يشرق باتجاهنا، نهضت وأنا أشير للنور بارتعاش وأقول:

– انتهى الأمر.. لقد تحررنا.

ابتلعت ريقي وأنا أجد قلب سالينو وقلب سهيل يضيء أمامي.!، داهمتني ضحكة وسعادة باكية، وقفت سارة بجانبي وهي تشاهدهما يعود نور قلوبهما، فهمست لي قائلة:

– ما هذا النور؟

فقلت لها:

– إنه نورهما الحقيقي، نور القلوب بدون تحكمات وبدون نجوم، إنهما بقلوبهما الحقيقة لقد انتهت الوعود وبقيت القلوب بنورها الحقيقي.

شروق الشمس ونحن نجلس بجانب بعضنا البعض، نتبادل الضحك والابتسامات، نسمع سهيل وهو يعترف بحبه لسارة، أمسك سهيل بيد سارة ونهضا للذهاب لقمر بيانكا ومتابعة أحوال الشعب بعد ما عاد النور الحقيقي لقلوبهم، تقدما من أمامنا فوجدتني أنظر لسالينو وأقول:

– دعينا لا نتكلم في الماضي.. في الموت في كل شيء.

نظرت بحزن وقالت:

– لقد عدُت من الموت يا تايغيتا..كيف قذفك البركان قبل تحطمه؟

ابتسمت وقلت لها:

– كانت قوتي في ذكريات المميزين، تجمعت في فارس وبقى أدهم..رفض أدهم مساعدتي وكانت هذه المساعدة الحقيقية.

بدأت أروي لها الحلم الذي لم أستطيع اكماله في غيبوبتي، وشرحت لها أن تمالك أدهم لنفسه سبب في رجوع قوتي وعودتي، سأكون سعيدة لأن تخليه عني سبب تنفسي الآن وسأكون غاضبة لأنه تركني دون علمه بهذا

– أنتِ بدون قلب يا تايغيتا..ماذا ستفعلين وكيف ستعشين؟

– أريد التوقف عن محاربة كل شيء، أريد حياة جديدة، أخرجت سالينو بعض من الأوراق البالية وضمتها في يدي وقالت بابتسامة :

– كنت أكتب الأيام الصعبة التى مرت بدونك

أمسكت الورق وأغلقت عيوني تستشعر الضوء، ثم فتحتها بعد نفس عميق، بابتسامة وأنفاس هادئة قلت لها :

– ربما أعود يومًا ما لزيارتك .

– وعد؟

– وعد

نهضت وظلت عينيّ علقة على وجهها الحزين، أكره لحظات الوداع لأنني لا أملك الكلمات فتظل النظرات عالقة في ذهني، أكملت طريقي باتجاه النهر حتى وقفت على الضفة، شعرت بحيرة وأنا أترك كوكبي، لن أهرب مثل كل مرة ولن أعاني، وكأنك متسامح مع كل شيء أذاك، تنتهي الكراهية بداخلك ويبقى السلام، وجهت رأسي وابتسمت لسالينو، نظرة أخيرة باردة وضعت قدمي في النهر ليسحبني بهدوء ولطافة وبدون مضاربات لكوكبي الآخر، كانت رحلة سريعة في الفضاء حتى وصولي للأرض.

بمجرد خروجي صفعتني موجة حارة من الهواء، تقدمت خطوات نحو الضفة وأنا أتأمل قرص الشمس، رفعت خصلات شعري ونفضت عنها قطرات الماء وأنا أجلس، اقترب مني محسن وجلس بجانبي بوجهه البشوش، ربما تخطى الثلاثين من عمره، قال:

– كنت في انتظارك

ابتسمت قائلة:

– هل مازلتُ محسن؟

– لا لست محسن أنا الشعري اليمانية

– كنت أعلم أن هناك خطب ما

– هل أروي لكِ ما حدث يوم قدومك للأرض؟

ابتسمت وقلت له:

– يبدوا الأمر سخيفًا ولكنني سأسمعك

بدأ يروي لي منذ قدومي للأرض، كان الحديث ممتع معه ومثير للتكملة، حتى مضى الوقت سريعًا وطلبت الانصراف لمحادثة فارس وضحى، فوراً بعد أن أصبحت على الطريق، استطعت رؤية البشر كما هم، بنفس عميق وبإرادة جديدة، كأنني أتحرر من الخوف والكراهية وأتخلى عن كل شيء يؤلم، تمشيت..أنظر لكل شيء بأنني أنتمي لنفسي، بهدوء ركبت سيارة أجرة للوصول لبيت أخي، كنت متشوقة لأروي لهم ما حدث، بعد أن نزلت وتقدمت نحو المبنى رأيت حارس المبنى ينادي علي:

– آنسة نور

التفت له وأومأ لي بعين مرتعبة وهو يقول:

– لقد ذهب السيد فارس وزوجته للمستشفى مساء البارحة

ارتعبت وقلت:

– لماذا؟

– لقد شعرت بألم النفاس

انقبض قلبي، مازالت ضحى في شهرها السابع، ركضت أبحث عن سيارة أجرة وأنا أخفق خوف وفزع، كاد عقلي يشت طوال الطريق وكأنني أعيش اللحظة بعشر سنوات، ارتبكت وأنا أركض باتجاه بوابة المشفى، تحركت نحو الاستقبال وسألتهم بلهفة عن "فارس وضحى"، وصفت الطريق لقسم الولادة، تقدمت بخطوات مسرعة للطابق الثالث، أبحث بعيني عن رقم الغرفة، رمشت عيني وأنا أرى فارس يقف يضع رأسه على الباب وسيلين تجلس على الجدار تبكي، اعتصر قلبي لدموع سيلين وارتجفت يدي، خطوة تلو الأخرى ببطئ مميت، تحركت نحو فارس وقلت بتلقائية:

- ماذا حدث؟

انفرط أمامي من البكاء وسند رأسه على كتفي، لم أشعر بشيء، أرفض الإجابة، قرب أذنه وهمس لي بقطرات دموعه:

- ماتت..!!!

تمزق قلبي من الكلمة، توقف الوقت.. الثواني.. الناس..، لا أدرك شيء ولا أفقه ما يحدث، انخلع كل شيء من حولي، ماذا يعني الموت؟ الفقدان؟ الشوق؟ لن أراها مرة أخرى، لن ألمسها، ماذا يعني الموت؟ الفراق البطئ، لقد ماتت ضحى لقد صابت توقعاتي بأنه أول أم لطفل نجمي حقيقي، أغمضت عيني في حزن وتركت صراخ فارس على كتفي، فسكت صراخه في أذني وظل وجداني يبكي بصمت، أرى كل ذكرى بيننا، لقد ماتت من علمتني الحياة، تدفقت نيران الفراق والشوق بداخلي، لقد تأخرت خمس دقائق فقط فكلفت ضحى حياتها، لا أريد قول الوداع، لا أريد رؤيتك تذهبي، صرخت.. بكيت بشدة..لكنني لا أتذكر حقًا كيف كانت حالتي، كنت أبكي على اشتياقي لها، الموت جزء من الحياة، يومًا ما ستدرك الفراق الحقيقي.

كوكب الأم العذراء

صمت وتأملت وجهه للحظات، أستوعب لحظات الخوف والألم التى مررت بها في فراق ضحى، كأني انتظر فارس يخبرني أنها مزحة، ضحى على قيد الحياة ولم تتركيني، تضيق على أنفاسي وتزداد القبضة ضيق، شعرت بألم يغص روحي، أسمع صوت ضحى.. لمسة يديها.. ابتسامتها، دارت الأرض بي، نظرت لنوح وأسندته وأنا أقول بدموعي:

– عندما أنصرف الجميع لدفن جثمان ضحى..كنت أسند رأسي على جدار المشفى أنظر إلى دقات الثواني وهي تسحب روحي، لا يتوقف الوقت..تدق التاسعة وتتساير معاها الثواني، طلب مني فارس البقاء من أجلكم، لم أشعر بشيء حتى أوقفت أحد الممرضات وطلبت منها رؤية مواليد غرفة ضحى، ساعدتني الممرضة رفقًا بحالتى،

رعب يصل لملامح وجهي، ترتعش يدي كما ترتعش دموعي، قلت له بنظرة باكية:

– كنت تلك المرة الأولى التى رأيتك فيها

حدق بي وهو ينكر جملتي، أظهر مدى خوفه وهو يقول:

– أنا ابنها؟

هزّيتُ رأسي إيجابًا وأنا أبكي بشدة، لم أتحمل رؤية نوح في هذه الحالة، لف رأسه بغضب وهو يمسح دموعه، قربت جبهة رأسي منه وأنا أهمس:

– كنت صغير للغاية.. كانت الممرضة تقول أن أحدكم نجى، لم ينبض قلبك بعدما..حملتك بين يدي وقربتك من حضني..نبض قلبك بداخل حضني.. دق.. هكذا علمت أنك أول طفل حر يولد من كوكبنا، لم تولد من النهر السرمدي ولم تحمل نور نجم معين في قلبك..ولدت حر

صرخ في أذني بنبرة باكية:

– كانت أمي..!

أغمضت عيني لأتفادى دموعه، حاوطت يدي حوله وأنا أكمل:

– التفت لأجد فارس خلفي، أراد فارس أن تعيش معي وتتأقلم مع حقيقة جسدك ثم تعود للأرض..صدقني رفضت من صميم قلبي أن تعيش بعيدًا

عن توأمك وأبيكِ ولكنني تذكرت ما حدث معي ولم أريد أن تعيش ما عشته، كان يجب أن تتم ثمانية سنوات

– لماذا؟

– أتظن من السهل أن أفرقك عن عائلتك.. لقد قطعت وعد لفارس بأنك عندما تتم الثامنة سأروي لك الحقيقة.. لن أعيد خطأ أبي، حتى فارس سيحكي لتوأمك الحقيقة.

نظر بهدوء وتنفس مع لحظات صمت يغطيها صوت بكائي، وجدته يضمني بشدة لحضنه ويواسيني وهو يمسح على رأسي، كانت حنية ضحى واضحة به، قال بدموع ساكنة:

– أتيتي لهنا.. تخليتي عن عمرك لتربيتي؟

– أنت عمري يا نوح..أنت طفلي..أتعلم ينوح عندما لجئت لهذا الكوكب قلت لأمواج هذا البحر أنك ابني، يطلقون عليه اسم "كوكب الأم العذراء"، لا يعلمون من يعيش هنا ولكن سالينو أطلقت هذا الاسم على كوكبنا

سألني بحزن:

– لقد مر ثمانية سنوات..ما هي أحداث هذه القصة بعد ثمانية سنوات؟

أجبته بلهجة حزن تبادل شعوره:

– لقد حكمت سالينو أرض سيريس.. حكمتها بالعدل وتخلينا عن النجوم ونورها أصبحنا أحرار نحمل النور الحقيقي في قلوبنا، تزوجا سهيل وسارة في القصر الملكي.

– وتوأمي؟

- لا أعلم عنها شيء إلا اسمها.. لقد سميتها "بيانكا" وأختار والدك اسم "نوح"، لم يعلم أنكما توأم ولد وبنت

مرت ساعة ونوح صامت يحاول استعاب الموقف، كنت أعلم أنني سأشعر بكل هذا الحزن عندما أخبره، لقد قطعت وعد لفارس بدمي ودموعي بأنني لن أترك نوح حتى يصبح بخير، لقد مر على نوح ثمانية سنوات ولم يضيء قلبه سوى مرة واحدة عند ولادته، ربما سيتأقلم نوح سريعًا مع البشر وربما يغلب في عروقه الدم البشري، أردت أن أعطيه الحياة التي فقدها، دام بينا الصمت حتى تذكرت الأوراق التى كتبتها سالينو لي، نهضت وأحضرتها من الصندوق الخشبي المغلف، جلست بجانبه وأخرجت الرسالة الأخيرة وأنا أقراها بصوت عالي.

لا تقلقي لا أحد يتعلق بأحد إلى المدى البعيد، لا تقولي أن الأوطان تفرقنا لطالما كانت أرض الصداقة تجمعنا، لا تهم أن تتقابل أجسادنا أو حتى تدمع عيوننا، يكفي أرواحنا التي أحبت بصدق، أرض غير الأرض، النور غير الظلام، نور الأقدار جمعتنا وفرقتنا الأوطان، على الرغم من إيمانًا الصادق نظل نخاف من الوداع، لا تقلقي سأظل معك عندما تتلاشى أفكارك، سأركض إلى خيالك، عندما أفتقر الحديث معك سأنطق باسمك، سأحكي للعالم عن أحد أبطال حياتى وهي صديقتي، لن تذهبي من تفكيري ولن ألومك يومًا على تركي، سأتذكر أنك حاربتي جذورك لكي تبقي بجانبي، انتظري.. الشمس تشرق من جديد، سأظل أعلم أن الظلام اخترقه النور بسببك، ياليت الأوطان لم تفارقنا، لو تقبل العالم صداقتنا، ياليت الأقدار لم تحطمنا، سيشهد العالم يومًا ما على ما حدث.

لاحت ابتسامة حفيفة على وجه نوح وقال بلهجة جدية:
- أريد العودة.. أريد لقاء أختي.
-لم يأن الوقت بعد
أومأ نوح دون جدال، ثم أسند رأسه على ركبتي، شحب وجهه وظلت عيونه معلقة في السماء إلى أن أغلق عينيه بإحكام، كانت المياه تلامس أطراف قدمي بخفة، أمسح يدي بين حلقات شعره، رفعت رأسي لأتابع السماء، ساد صمت مخيف مع همسات الأمواج، نظرات للظلام..للخوف بداخلي، هدوء يخيم على روحي فقد حاربت بشجاعة لأخرج بانتصار عظيم، لم أخرج بانتصار عظيم أو خسارة فادحة، خرجت بروحي ونفسي، خسرت وكسبت، تركت وتُركت، في ظل شرودي وأنا أستنشق الهواء ويتلألأ الظلام من حولي، تمسك يدي بالرسائل برعشة خفيفة، قلت لنفسي بسلام:
- ماذا لو لم أخرج من هذا البركان؟ لو خسرت حياتي حقًا.. كنت سأفوت كل هذا السلام بعد كل هذا التعب، لو لم أنتظر وتخليت فعلًا عن وجودي، تلك الحياة هي الرحلة بكل لحظات الفرح والحزن والشجاعة والخوف فكيف نتخلى عن الرحلة عند المشاكل؟ ربما تنتهي تلك المشاكل وتأتي بعدها انتصارات عظيمة وخسارة أخرى، نتخلى عن حياتنا، عن أنفسنا، نستسلم وننجو مرة أخرى، مهما كانت خسارتك مهما كنت في الظلام، في القاع، في فم الخوف، تحصد الطريق وحدك، على حافة الهاوية أو في الدَرَك..اختار الحياة..اكمل حياتك، لا بأس ببعض الحزن وبعض الخوف، في النهاية اختار أن تتنفس..أن ينبض قلبك.

خرج بخار كثيف من الأمواج، بدأت تتطاير القطرات في الهواء وتتماسك في انضباط رَصِين، الأمواج ترتفع بشكل عشوائي وتدور لتتجمع في فجوة واحدة، تتصاعد الأمواج لأعلى وتترابط، ضممت نوح إلى صدري وخبأت رأسه بين أحضاني وهو ينظر لي بتوجس، كان العرق ينبثق من رقبتي ووجهي، عيناي معلقة في الهواء مع تتطاير الأمواج، وقف أمامي بعد ما تركب شكلها في ثواني معدودة، قال بصوت جهوري:

– مولاتي.. لقد حان الوقت.

ليس لدي قلب يدق بذعر ولكن استيقظت مشاعر حادة في عروقي، خليط من الشوق والغضب، من الشجاعة والخوف، فأغمضت عينيّ وحملت نوح وأنا أتقدم خطوات نحوه، تنفست بعمق وتركت نفسي اندمج مع الأمواج في عاصفة متراكمة.

بعد حادثه انتحاري بدأت استجمع قواي وعقلي، كنت صامت لأيام عديدة وجالس على سريري دون أي حركة أو ردة فعل ، أرى تلك اللحظه التي ركضت فيها خلفك، بحثت عنها في جميع الوجوه ولم تكن موجودة، لن يصدقني أحد بكون انتحاري مجرد دليل لنفسي ولكنني كنت أصدق نفسي، كانت محاولة جيدة لأكون بخير وأفكر في كل شيء بمنطق آخر، الزيارات كانت تحسن من نفسيتي وبدأت استجيب لعقلي، أنا أتركك هنا، أتركك بعد عناء طويل وحرب طويلة لنسيانك، لقد فقدت كل شيء من أجلك، لم تعودي ولم أفي بوعدي لكي، سأحبك على طريق الفراق، اليوم يوم خطبتي، أنا أيضًا أستحق بفرصة أخرى، يجب أن أرى أحد آخر غيرك، يمكنك أن تكرهيني بقدر ما تشائي ولكن أخاكِ أحبني بنفس قدر كراهيتك، لقد عدت اليوم من زيارته في المشفى بعد أن أنغمر

في غيبوبة لمدة ثمانية سنوات، ربما تتسألي عن سبب معرفتي به؟، لقد بحثت عن كل الخيوط التى تؤدي إليكِ، تابعت كل الخيوط التى تؤدي لأخيكِ فارس، ذهبت للعنوان الذي أعرفه مرارًا وتكرارًا، كنت أقف أمام منزلك وأنا أخاف من المواجهة ربما تكوني في الداخل، قضيت ليالي أتأمل دون جدوى، حتى تعرفت على أخيك عندما كنا ننتظر نفس الطبيب، كانت خطتي في اتباعه وظهوري أمامه، جلست بجانبه وروى لي قصته وقصة فقدان زوجته، كانت بيانكا نائمة على كتفه، أول مرة أرى فيها طفلة بهذا الجمال، تمنيت تكون ابنتي، كنت أريد إرضاء ضميري والتعرف على أخيكِ، أرادت أن أسكت صوت ترددي بشأن وجودك، بحثت عنك باسم نور وبحثت عن أخيكِ وتقربت منه ربما أراكِ، لم أراكِ بجواره ولكنني تقربت من فارس كثيرًا، كنت سعيد بتلك اللحظات التى أمر به بجانبه وبجانب بيانكا، كنت أعتني ببيانكا عندما يطرأ عمل إضافي لفارس، وفي يوم ذهب فارس للعمل ولم يعود، لقد تحطمت عندما وجدته على سرير مشفى بعد فقدانه للوعي وحادثه المؤلم واستسلامه لغيبوبة، لقد اعتنيت ببيانكا هذا اليوم، لقد أستطعت أن اعتني بيانكا لثمانية سنوات وكأنها ابنتي، كنت على أمل أن تعودي وأكذب كل من جعلني أصدق أنكِ وهم، كان يجب أن أتركك في طريق ما وأودعك لكي تتنفس روحي، أمسكتي بيدي لأتنفس واليوم سأترك يدكِ لأتنفس، ربما أرتكبت خطأ في بحثي عنك وتقربي من فارس، في طريق هذا الخطأ وجدت بيانكا وهي الصح الوحيدة، هذه آخر مرة سأكتب لك لأنني سأكون منشغل بعائلتي الجديدة، ربما هذه آخر دموع سأنزفها للأبد، أعطاني القدر فرصة أخرى ولن أتركها تضيع كما ضعتي أنتِ.

قاطع كتابتي صوت أمي وهي تطرق الباب وتستأذن الدخول، دخلت

مبتسمة لوجهي المضيء وبدلتي الجديدة، تراني بحب وأنا اتجهز في منزل سلمى، ربت على كتفي وقالت:

- إنها سعادة غامرة لرؤيتك

ابتسمت وقبلت رأسها وقلت:

- هيا حتى لا نتأخر

جلسنا بانتظام في جلسة عائلية، كانت الصالة واسعة ونحن نجلس بشكل دائري، ليست المرة الأولى التى أزور فيها بيت سلمى، المرة الأولى فراقك والثانية لقائي بسلمى، بجانبي سلمى وجانبي الآخر أمي، والدة ووالد سلمى وضحكات بيانكا، يبدوا كل شيء على ما يرام، لم يتبقى سوى القليل على عقد خطبتي ووضع خاتم جميل في يد سلمى، حاوطت نظري بجمال الزهور والأنوار الهادئة، أفرغت جيبي لأخرج الخاتم بابتسامة، تحركت نحو يديها فوجدت صوت الحارس الذي يقف أمام الباب يقول بصوت مرتفع:

- هناك مدام مع طفلها تريد رؤية المدام سيلين

لم أكمل جملتي حتى وجدتها تخرج أمامي، بفستان أبيض قصير، خصلات شعرها القصير منسدله، تنظر نفس النظرة، يتناثر شعرها ببساطة، ملامحها ترتعش ببراءة، صوتها لا يفراق أذني وقلبي ينتفض، إنها هي.!، تمسك بطفل صغير في أصابع يديها، هبطت أنفاسي وصعدت بمرارة، انسحب الدم من وجهي وتساقط العرق من جبيني، يحتد الألم قلبي، ينبض بنفس النبض التى نبض به، لقد ظننت نسيانك..ظننت أنكِ لن تعودي، فزع عقلي لرؤيتك وأنا أقول:

- تايغيتا..!!

* * *

كان يقف بغضب في وسط القاعة، يهبط نفسه ويتصاعد وسط ضجيج السيوف من حوله، كان يرتدي رداء يحلق من حوله في هواء عاصف، أرتص الحراس من حوله بانتظام، أشار بغضب لأحد الحراس الذين تقدموا بجانبه ويديه ترتعش، كان أقرب حراسه وعلى الرغم من ذلك فلا أحد يستطيع تفادي غضبه، أخرج رسالة وهو يقدمها له بخوف واحساس بالهلع، زاد غضبه بنظرة غل كارهة ونبرة صارخة:

- لا أريد رسائل الآن..

ابتعد الحارس خطوات للوراء، وهو يرى ظهره فقط، أمعن النظر في النافذه الواسعة التى أمامه، ترسم له جميع خطوات النجوم والكواكب، يرى بها كل ما في الكون، رمى النافذة بنظرة تحصد الكثير من الألم، يقف منكس الرأس، ازدادت نبضات قلبه المتوجسة، انتفض في سخط وصرخت كل حواسه وهو يقول:

- أريد النجمة تايغيتا.. أريدها فورًا

حارب لكونك مختلف

تمت

شُكر خاص

أشكر دار إبهار والقائمين عليها لمساهمتهم في نشر هذه الرواية،
وأشكر كل من دعمني من بداية خواطري إلى الآن...
لقد وصلنا لهذا النجاح معاً.

للتواصل مع الكاتب :

Instagram: fatma_selim_writing